الحياة الفكرية في المدينة المنورة

في القرنين الأول والثاني للهجرة

تأليف

الدكتور عدنان علي الفراجي

الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية ببغداد



Title: AL-ḤAYĀT AL-FIKRIYAH FĪ AL-MADĪNAH AL-MUNAWARAH
FĪ AL-QARNAYN AL-ᵓAWAL WAL-ṮĀNI LIL-HIJRAH
(The intellectual Life in Medina
during first and second century
of the Hegira)

Author: Dr. ᶜAdnān ᶜAli Al-Farāji

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 368

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الحياة الفكرية في المدينة المنورة
في القرنين الأول والثاني للهجرة

المؤلف: الدكتور عدنان علي الفراجي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 368

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنـــان

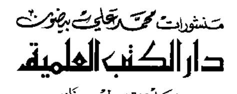
الطبعة: الأولى

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م.١٤٢٧ هـ



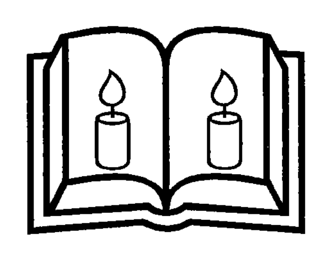
منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ — ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ — رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com





المقدمة

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النَّبي الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فـــلا يخفى على القارئ الكريم ما للمدينة المنورة من أهمية في صدر الإسلام. فقد كانت دار هجرة رسول الله ﷺ، ومهبط الوحي ومهد التشريع الإسلامي، فضلاً عن كونها عاصمة الدولة الإسلامية الفتية.

وفي زمـــن الخلفـــاء الراشـــدين ظلـــت المدينة المنورة عاصمة الدولة العربية الإســـلامية إلى سنة ٣٧ هجرية فكانت تنطلق منها جيوش التحرير والفتوح ناشرة لـــواء الإســـلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولم يمض غير أقل من ربع قرن حتى صـــارت المديـــنة مركزاً سياسياً وإدارياً لدولة مترامية الأطراف تشمل بلاد الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وجزءاً كبيراً من الشمال الأفريقي فضلاً عن خُراسان وبلدان آسيا الوسطى وغيرها.

وفي الوقت نفسه كانت المدينة تضم آلاف الصحابة الذين أخذوا علمهم عن رســـول الله ﷺ، فيذكر أنَّهُ لما توفي رسول الله ﷺ، ترك في المدينة ما يقرب من اثني عشـــر ألـــف صحابي، خرج منهم إلى البلدان نحوٌ من ألفين، وعشرة آلاف توفوا بالمدينة.

وإذا كنا أمام هذه الكثرة من الصحابة العلماء (وأكثرهم من المدينة) فإن عدد التابعين أكثر من ذلك، وحيث أن الصحابي عند العلماء هو: من صحب النَّبي ﷺ، أو من رآه من المسلمين، فإن التابعي هو من صحب الصحابي، فكم يكون العدد إذن؟ لاشك أنَّهُ كثير، ولذلك فإن العلماء قسَّموهم إلى طبقات بلغت عند بعضهم خمس عشرة طبقة، وهكذا نقول عن جيل أتباع التابعين الذين قد لا يمكننا حصر أعدادهم.

وإذا عرفنا أن المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني قد احتضنت أهم ثلاثة أجيال وهم: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، وأن هذه المدّة الزمنية قد شهدت نهضة علمية زاهرة في مختلف مجالات العلوم والمعارف، ولاسيّما العلوم النقلية، ولأنَّ الجانب العلمي يشكل حلقة مهمة من حلقات التاريخ الإسلامي (السياسية والاقتصادية والاجتماعية...)، ودراسته تعكس الجانب الحضاري الذي بلغته مدينة من المدن، أو بلد من البلدان في زمن ما، ولكون المدينة المنورة مثلت مركز ثقل علمي وفكري في القرنين الأول والثاني للهجرة. ولأسباب أخرى غير ذلك جعلت من المدينة في هذين القرنين بالذات جديرة بأن تكون موضوع بحث علمي، لذا فقد وقع اختياري على موضوع «الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة» ليتألف منه هذا الكتاب.

منهج البحث:

المادة الأساسية في الكتاب تتألف من الفصول العلميّة التي قسّم كل منها إلى ثلاثة محاور، الأول: التعريف بالعلم ونشأته وتطوره عبر مدة البحث مع بيان سماته وخصائصه وما إلى ذلك، الثاني: ترجمة لنماذج من مشاهير العلماء الذين برزوا في ذلك العلم من صحابة وتابعين وأتباع التابعين، مع شيء من الاختصار في تراجمهم، والثالث: تعريف بمؤلفات علماء المدينة في ذلك العلم.

وسيلاحظ القارئ الكريم أن تقسيم تراجم العلماء لم يتم وفق العصور التاريخية السياسية، (الراشدي والأموي والعباسي الأول) وهي التي شغلت القرنين الأول

والثاني للهجرة، وذلك لتداخل حياة العلماء في أكثر من عصر، لذا تناولنا تراجم الصحابة فالتابعين فأتباع التابعين في كل علم من العلوم.

ولأنَّ علماء المدينة عبر أجيالهم – كما هو حال غيرهم من العلماء آنذاك – لم يكن لديهم تخصص في علم معين، فقد برز أحدهم في أكثر من علم. لذا سيجد القارئ أن بعض أسماء العلماء تتكرر في أكثر من فصل، لذا عملنا جاهدين على تجنب التكرار في المعلومات عبر هذه الفصول.

وأهم المعايير التي اعتمدت في كون العالم المترجم له من أهل المدينة، هي: الاستيطان بالدرجة الأساس، فضلاً عن النشأة في المدينة والتعلم بها، والتعليم فيها، دون النظر إلى مكان الوفاة في المدينة أو خارجها، وقد ذهب إلى هذا الرأي من قبل كثير من العلماء منهم: ابن حبان البستي، ولكثرة من ورد في موضوع الكتاب من أسماء العلماء والرواة من غير المترجم لهم، فقد آثرنا عدم التعريف بهم في الهوامش لأنَّ ذلك سيثقل الكتاب ويطيله ويخرجه عن موضوعه، ومع ذلك فقد تم التعريف ببعض الأعلام الذي اقتضت الضرورة العلمية التعريف بهم.

لا شك أن موضوع الكتاب يغطي مدة طويلة، مع ذلك فلم يكن بد من تناوله بهذا الشكل، وذلك لأنَّهُ لو اقتصر الحديث عن القرن الأول الهجري مثلاً، لوجدنا تداخل علمي كبير بين علماء الصحابة وعلماء التابعين وهكذا لو أخذنا القرن الثاني فإن كثيراً من علماء القرن الأول كانت وفياتهم في القرن الثاني وبرز نشاطهم فيه. وقد أشرنا إلى كون صورة الحياة العلمية لم تتكامل إلاَّ في قرنين من الزمن، فالقراءات والتفسير والحديث والفقه والسيرة وغيرها، نشأت وتطورت عبر ثلاثة أجيال علمية، هم: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، فدوِّنت فيهما المدونات واستقرت فيهما الهيكلية العلمية التي ظلت متوارثة عبر القرون اللاحقة.

ولطول مدة البحث وتنوع مادته برزت مسألة تعدد المصادر والمراجع التي لها علاقة بموضوع الكتاب، مما قد يجعل القارئ الكريم يفترض وجود كتب معينة فات على الباحث مراجعتها، والواقع فإن هناك آلاف المصادر والمراجع التي تمت بصلة

إلى البحث، حتى أن الباحث ليعجز عن حصرها أو تعدادها، لكننا نعتقد أننا بذلنا ما نستطيع لمراجعة ما يكفي لسد موضوع البحث، وإن كان ذلك أقل من الطموح.

انـتظم الكتاب في ثمانية فصول، نعتقد أنها تتناسب وحجم الموضوع وتنوع مادته العلمية وغزارتها.

الفصل الأول: تناول بشيء من الإيجاز الحياة العامة في المدينة المنورة، ذكرت فيه سبب التسمية، والموقع والمساحة، وأهم المعالم الجغرافية للمدينة، ثمَّ نبذاً موجزة لتاريخ المدينة قبل الإسلام، وكيف استوطنها الأوس والخزرج وسائر القبائل العربية الأخرى، بعد ذلك تحدثت عن التركيبة السكانية للمدينة من أول الهجرة فما بعد، ثمَّ تـناولت تـاريخ المدينة في القرنين الأول والثاني، بدءاً بعهد الرسول ﷺ، والخلفاء الراشـدين، ومـروراً بالعهد الأموي فالعباسي الأول، مركزاً على الجانب السياسي والإداري، ثمَّ نـبذة موجزة أخرى عن الحياة الاقتصادية ومستوى المعيشة في المدة موضوع البحث.

والفصـل الثاني تناول التعليم وطبيعة النشاط التعليمي ومؤسساته في المدينة، مبـتدئاً بنظرة الإسلام إلى العلم وكونه الدافع الأساس له، وإلى البدايات الأولى لهذا النشـاط التعليمي والتي تركزت حول القرآن الكريم، مع بيان مكانة المدينة العلمية، ومحـور نشـاطها، وأهم مراكز الحياة الفكرية فيها، وعلى رأسها المسجد النبوي الشريف، ونظام الحلقات العلمية ومجالس العلم فيه منذ نشأته إلى نهاية مدة البحث، ثمَّ الكتاتيب التي أسهمت في أداء دورها العلمي المنظم في المدينة منذ عهد مبكر. ثمَّ بيوت العلماء ودورها في الحياة الفكرية، مع أمثلة لذلك، وبينت مكانة المرأة المدنيَّة في الحـياة الفكرية – بإيجاز – مع ذكر طرق وأساليب التعليم التي أسهمت في نقل المعلـومات من جيل إلى جيل من العلماء إلى طلبة العلم، والتي عهدها أهل المدينة آنذاك.

أمَّا الفصل الثالث فقد خصص لعلوم القرآن التي برز منها علم القراءات وعلم التفسير، ففي الأول تطرق إلى التعريف بالقراءات وسبب تعددها وما ورد في ذلك

من الأثر، والعلاقة بين القراءات وتدوين القرآن، ودور المدينة الرائد في تدوين القرآن على عهدي الخليفتين أبي بكر وعثمان (رضي الله عنهما)، وكون اختلاف القراءات هي الدافع لتدوين القرآن في عهد الخليفة عثمان ﷺ، فالإشارة إلى مدرسة القراءة في المدينة، مع إيراد نماذج لتراجم من برز في علم القراءات في عهود الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ثمّ أوردنا المؤلفات في القراءات في المدينة. بعد ذلك تحدثنا عن علم التفسير، فعرّفنا هذا العلم، وكيف نشأ وتطور من عهد النّبي ﷺ والصحابة إلى عهود التابعين وأتباع التابعين، ومواقف كل فريق من التفسير. ثمّ أوردنا تراجم لنماذج من برز في هذا العلم في القرنين الأول والثاني الهجريين. وأوردنا في آخر الفصل المؤلفات في هذا الموضوع.

واختص الفصل الرابع بالكلام عن علوم الحديث، فتناول علم الحديث وأهميته ونشأته وتطوره رواية وتدويناً منذ عهد النّبي ﷺ والصحابة إلى العهود اللاحقة وبيّنا أن التدوين كان يتم في كل عهد بالرغم من تحرّج بعض مشاهير العلماء منه في كل جيل، إلى أن استقر أمر التدوين رسمياً في نهاية القرن الأول الهجري، ولأنّ ظاهرة وضع الحديث قد برزت في العالم الإسلامي آنذاك لأسباب ونتائج مختلفة، فقد تطرقنا إلى جهود علماء المدينة في مقاومة هذه الظاهرة الخطيرة، والسبل التي سلكوها في هذا المجال، وكيف نشأت مدرسة للحديث في المدينة ورجالها البارزين، والسبل التي سلكوها في هذا المجال، ثمّ أوردت نماذج لتراجم من مشاهير المحدثين من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأخيراً أوردت المؤلفات في هذا الباب.

والفصل الخامس خصص بالحديث عن الفقه كأحد العلوم التي تميزت بها المدينة، فقد عرّفنا هذا العلم وتتبّعنا نشأته وتطوره في عهد النّبي ﷺ والعهود التالية، ومصادره (أصوله) في كل عهد، ثمّ تناولنا مشاهير الفقهاء من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وبيّنا سمات مدرسة المدينة الفقهية، وكيف تبلور مذهب الإمام

مالـــك الفقهي في المدينة، ثمَّ ختم الفصل بالحديث عن مؤلفات أهل المدينة في هذا الموضوع.

وتـــناول الفصل السادس علم السيرة النبوية (المغازي) التي هي أساس التاريخ الإسلامي، فعرّفنا هذا العلم، وذكرنا بعض سمات مدرسة المدينة في السيرة والتاريخ، ثمَّ تـــرجمنا لمشـــاهير علماء المدينة الذين اهتموا بالسيرة ورووها وكتبوا فيها، بدءاً بأبان بن عثمان وعروة بن الزبير، إلى أن اكتملت صورة السيرة النبوية بابن إسحاق والواقدي، ثمَّ عملنا قائمة لمشاهير مؤرخي السيرة رواة ومؤلفين.

وفي الفصـــل الســـابع تطرقنا إلى الأدب في المدينة، فتناولنا فيه ثلاثة محاور، الشعر، والخطابة، والقصص. ففي الشعر تحدثنا عن عصر ما قبل الإسلام، ثمَّ عصر الرسالة، وما جرى من تبدل في الأغراض الشعرية، واستخدام الإسلام للشعر سلاحاً للدفاع عن الدين، وأغراض الشعر في عصر الراشدين، والشعر في العصر الأموي وفي العصر العباسي الأول. وفي مبحث الخطابة تناولنا تعريفها ونشأتها وتطورها تاريخياً مـــنذ عهد الرسول ﷺ مروراً بعهود الخلفاء الراشدين، فالأمويين فالعباسيين مع إيراد نماذج لخطب مختلفة، ولمختلف الأغراض. وفي القصص تحدثنا عن تعريفها ونشأتها في الإسلام وأغراضها مع تراجم لنماذج من القصّاص في المدينة المنورة.

ولا أبالغ إذا قلت أن المدينة كانت في مركز الريادة العلمية تتصدر باقي المدن العربية الإسلامية في حمل مشعل العلم والحضارة.

تحليل مصادر البحث:

لقـــد أفدت في بحثي هذا من مصادر ومراجع كثيرة كانت بلا شك الأساس الـــذي قامت عليه هذه الدراسة، ولكثرتها يمكن تقسيمها على مجاميع حسب تنوع مادتها العلمية مع مراعاة ترتيبها ضمن مجموعتها حسب أهميتها، وأولويتها، وكالآتي:

كـــتب الـــتاريخ العـــام: ويقف على رأس هذه المجموعة كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، والذي ضم أخبار القرون الأولى بإســـهاب. وكـــان لهـــذا الكتاب حضور فاعل في كثير من فصول الرسالة،

ولاســيّما ما يتعلق بطبيعة الحياة العامة في المدينة، فضلاً عن كونه المصدر الأساس لكثير من المقتبسات التاريخية المتعلقة بتاريخ المدينة. ومن الكتب التاريخية الأخرى في هــذا المجــال، كتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت٢٣٠هـ) الذي ضم هو الآخر معلومات قيّمة عن الجوانب السياسية والإدارية لتاريخ المدينة، وكتابي مروج الذهب ومعــادن الجوهــر، والتنبيه والإشراف للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، فيما يتعلق بتاريخ المدينة قبل الإسلام، وجوانب من تاريخ المدينة في عهود الخلفاء الراشدين وذلك في الفصل الأول بخاصة.

وبدرجــة أقــل أفدت من كتاب التاريخ لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) إذ أخذت منها جميعاً معلومات قليلة متناثرة هنا وهناك.

أمَّــا الكتب التاريخية المتخصصة بمعلوماتها عن عصر معين فقد أفدت في هذا المجال من كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨هـ)، الذي كرّس كتابه عن عصر النَّبي ﷺ، فكان هذا الكتاب المعين الأول في معلومات هذه الحقبة كأخبار المغازي وحياة النَّبي ﷺ في المدينة، وأخبار الوفود ووضع المسلمين في عصر النَّبي ﷺ، وأيضاً كتاب المغازي للواقدي (ت٢٠٧هـ)، في تفصيل أخبار غزوات النَّبي ﷺ.

كــتب التــراجم والطبقات: ويقف على رأس هذه الكتب، الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد المعروف بكتاب الواقدي (ت ٢٣٠هـ)، فقد ضم هذا السفر الضخم معلومات قيمة عن تراجم الصحابة والتابعين وأتباع التابعين من أهل المدينة بخاصة، فضلاً عن المعلومات المتعلقة بتراجم غير أهل المدينة، والواقع فإن كتاب ابن سعد هذا لم يفارق فصول الكتاب جميعاً.

وكــتاب مشــاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) من كتب التراجم القيمة فقد قسم المؤلف علماء كل بلد على ثلاثة أقسام: صحابة، وتابعين، وأتــباع التابعين، وبدأ بالمدينة فترجم للصحابة فيها، ثمَّ تحدث عن الصحابة في كل عصــر ومصر، فالتابعين في المدينة وغيرها من الأمصار ثمَّ أتباع التابعين، ولم يكد

فصل من فصول الكتاب يخلو من ذكر هذا المصدر لكثرة من تناولهم بتراجمه. كما أفـــدت من كتاب المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ). وهذا الكـــتاب يمـــزج بين الحوادث التاريخية والتراجم إلاّ أن ما أورده عن التراجم غني بمعلوماته لاسيّما عن مشاهير علماء المدينة، فأفدت منه في الفصول جميعاً، ولكتاب الطـــبقات لخلـــيفة بـــن خـــياط أهمية بالغة في ضبط أسماء التراجم وتاريخ وفياتهم ومعلومات أخرى يسّرها لنا هذا الكتاب عند دراسة تراجم العلماء. وتضمن كتاب حلـــية الأولـــياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ) تراجم مهمة ومفصلة لحياة الصحابة المدنيين وبتفصيل، وكذلك لمشاهير التابعين وأتباع التابعين فكـــان لهـــذا الكتاب حضور متميز عند الحديث عن الجوانب العلمية لحياة النماذج العلمية التي ترجمت لها.

وقـــد غطى كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) جوانب من تـــراجم العلمـــاء المدنيين الذين قصدوا العراق، أو العلماء الذين قصدوا المدينة من العراق، أمثال محمد بن إسحاق، والواقدي، وعبد العزيز بن أبي سلمة ابن الماجشون وابـــن أبي الزناد وغيرهم كثير. وأفدت من كتب الذهبي (ت ٧٤٨هـ) التي خصص معظمها بالتراجم، وعلى رأس هذه الكتب تذكرة الحفاظ، وكتاب العبر في خبر من غبر، وسير أعلام النبلاء، ومعرفة القراء الكبار، وغيرها ولأنَّها تتضمن في كثير من مادتها علماء المدينة في مختلف عصورهم. فقد كانت الفائدة منها كبيرة.

وكـــان لكتب الطبقات الأخرى المتخصصة دور في إغناء المعلومات حسب الفصـــول، أمثال طبقات القراء لابن الجزري (٨٣٣هـ) عند الحديث عن القراءات، وطبقات المفسرين للداوودي (ت ٩٤٥هـ)، عند الحديث عن علم التفسير، وطبقات الفقهاء، للشيرازي (ت ٤٧٦هـ) عند الحديث عن الفقه، وهكذا، وأفدت كذلك من التـــراجم الخاصـــة بالصـــحابة أمثال كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العســـقلاني (ت ٨٥٢هـ) وكـــتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القـــرطبي (ت ٤٦٣هـ) ومن الكتب الأخرى المخصصة لتراجم علماء المدينة كتاب

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي (ت ٩٠٢هـ) فقد خصص الكتاب لتراجم أهل المدينة من أول الإسلام إلى عهده، ولا تفوتني الإشارة إلى مصدرين مهمين في التراجم أغنياني بالمعلومات، هما: كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي (ت ٦٧٦هـ) وكتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

وكان للكتب الخاصة بالقراءات دور في إغناء المبحث الخاص بها: ومن هذه الكتب، كتاب المصاحف للسجستاني (ت ٣١٦هـ) إذ انفرد بمعلومات قيّمة عن تدوين القرآن وذكر القراءات وما إلى ذلك، ومن الكتب القيّمة في هذا المجال، كتابا غاية النهاية في معرفة القراء، وتقريب النشر في القراءات العشر لمؤلفهما محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وكتاب الأحرف السبعة للقرآن للداني (ت ٤٤٤هـ)، وغيرها، وأفدت من كتب التفسير في شرح الآيات القرآنية والوقوف على معانيها وجهود علماء المدينة في استنباط الأحكام منها وبيان مقاصدها. ومن هذه الكتب: جامع البيان في تفسير آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، والجامع في أحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ومن كتب التفسير الحديثة التي أفدت منها في هذا الجانب تفسير القاسمي (ت ١٩١٤م) المسمى محاسن التأويل، وأفدت من كتاب صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني وغيرها.

وساعدتني كتب الحديث في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، من جهة، ومن جهة أخرى الاستشهاد بنصوص الأحاديث فيما له علاقة بتراجم الصحابة وفضائلهم، وفضائل المدينة المنورة، وجوانب علمية أخرى، وعلى رأس هذه الكتب: الجامع الصحيح للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، والجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، وكتب السنن الأخرى، ومنها كتاب السنن: لأبي داود (ت ٢٧٥هـ) وكتاب السنن لابن ماجة (ت٢٧٥هـ) والسنن للترمذي (ت ٢٩٧هـ) وسنن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، فضلاً عن كتب المسانيد في الحديث ومنها مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، والمعجم الكبير للحافظ الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، وكتاب

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ومن الكتب التي عنيت بعلم الحديث على تفاوت درجات صحته، ودراسة سنده ومتنه، أفدت من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، وكتاب الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

وكان لكتب الفقه وأصوله فائدة جليلة في الفصل المتعلق بهذا الموضوع: ومن بين الكتب التي أفادتني في هذا الباب كتاب المستصفى من علم الأصول للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وكتاب الموافقات للشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، وكتاب الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت٦١٣هـ)، ومسلّم الثبوت للبخاري الهندي (ت ١١١٩هـ)، ونيل الأوطار للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، وبلوغ المرام شرح أدلة الأحكام للصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، وثمة كتب تخصصت بالحديث عن مذهب الإمام مالك ، وبيان فضله وأصوله وما إلى ذلك، ومنها كتاب ترتيب المدارك... للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، وكتاب الديباج المذهّب لابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) وغيرها. أفادتني عند الحديث عن الإمام مالك (رحمه الله) مذهبه وآدابه، وحياته الخاصة... إلى غير ذلك.

ومن كتب الجغرافية والبلدان: أفدت من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في التعريف ببعض الأماكن وإيراد المعلومات التاريخية حولها، وبيان مواقعها، وما إلى ذلك، وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ت ٩٠٠هـ)، وكتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) ومن الكتب المتخصصة في جغرافية الجزيرة العربية أفدت من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني (ت ٣٤٤هـ)، الذي أورد معلومات قيّمة عن الحجاز عامة، والمدينة خاصة، ولكتابي وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، وخلاصة الوفا، للسمهودي (ت ٩١١هـ)، فائدة قيمة في المعلومات المتعلقة بجغرافية المدينة المنوّرة، إذ أورد معلومات مفصلة ودقيقة عن أودية المدينة وجبالها وأنهارها وعيونها وما إلى ذلك، فأخذت من هذه المعلومات في أماكنها لا سيّما في الفصل الأول من الرسالة.

وأفدت من الكتب اللغوية والأدبية: فمن كتب معاجم اللغة كتاب لسان العرب

لابن منظور (ت ٧١١هـ)، الذي أفادني في توضيح مدلولات الكثير من الكلمات والألفاظ التي وردت في الكتاب، وكتاب تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) وكتاب مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ)، وغيرها.

ومن الكتب الأدبية التي أفدت منها، كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي أورد معلومات تتعلق بالخطب، والقصص وما إلى ذلك، وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ).

وكان للكتب التي اهتمت بالتعليم ونشاطه وطرق انتقاله وإيصاله، دور في إغناء المعلومات الخاصة بطبيعة النشاط العلمي في المدينة، منها كتاب جامع بيان العلم وفضله...، لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) وكتاب تذكرة السامع والمتكلم... لابن جماعة (ت٧٣٣هـ) وكتابي الكفاية في علم الرواية، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وكتاب الإلماع للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، وكلها تصب في بيان فضل العلم وطرق نقله، ولكتاب آداب المعلمين... لابن سحنون (ت٢٤٠هـ) فضل في إغناء المعلومات الخاصة بمراكز التعليم في المدينة لا سيّما الكتاتيب والمساجد، وكيف كان يجري التعليم، ونماذج من المعلمين وما إلى ذلك.

وثمة كتب وبحوث علمية حديثة عربية وأجنبية أفادت البحث ببعض الآراء، وما توصلت إليه من استنتاجات من خلال معالجتها لجوانب معينة من الحياة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، وهي كثيرة ومتنوعة صنفها كتّاب عرب ومستشرقون، نلاحظ فيها آراء قيمة ومادة علمية، يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر والمراجع، المثبتة في نهاية الكتاب.

وهنا لابدّ من القول بأن جميع مصادر الكتاب قد أسهمت كل منها في موقعه وحسب أهميته ومحتوياته في إغناء هذا البحث ومدّه بمقومات الحياة، وهي وإن لم نستعرضها هنا جميعاً فإن ذلك لا يعني التقليل من أهميتها، ولا يعني أن الباحث قد تجاهلها.

ولأنّ هـــذا الكـــتاب يشـــهد طبعته الأولى وينشر من قبل دار الكتب العلمية لصاحبها العالم الجليل، والناشر القدير الأستاذ محمد علي بيضون، فإني أدعو الله تعالى له وللقائمين على هذه الدار بالموفقية، وبالجزاء الأوفى منه سبحانه، لما لهم من دور في خدمـــة العلم والعلماء، وجهد متميز في نشر الكتاب العربي الإسلامي فبارك الله فيهم وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وخـــتاماً فإني لا أدعي الكمال لنفسي فإن الكمال لله وحده، وإن هذا البحث هـــو محاولـــة يسيرة للكشف عن جانب من حضارة أمتنا التي بلغت أوج ازدهارها الفكـــري في القـــرون الإســـلامية الأولى، وهـــو بحاجة إلى إغنائه بالملاحظات والإرشـــادات لـــتقويمه، فما من بحث متكامل ومنزهٍ عن النقص. وما توفيقنا إلاّ بالله... وله الحمد في الأولى والآخرة.

الفصل الأول

نظرة في الحياة العامة للمدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة

التسمية:

المدينة لغوياً: من مدن بالمكان إذا أقام به، أو أنها من دان إذا أطاع، فالميم زائدة؛ لأنَّ السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها...، والمدينة اصطلاحاً: بيوت مجتمعة كثيرة تجاوز حدّ القرى كثرة وعمارة، ولم تبلغ حدّ الأمصار، وقيل: يقال لكل مصر (مدينة)[1].

أمَّا المدينة فإذا أطلقت في التاريخ الإسلامي فإنَّه يراد بها - غالباً - المدينة المنورة، قال السمهودي: «والمدينة وإن أطلق على أماكن كثيرة، فهو علم مدينة الرسول ﷺ... بحيث إذا أطلق لا يتبادر إلى الفهم غيرها، ولا يستعمل فيها إلاَّ معرفة»[2].

ويضيف ابن منظور، أن التسمية «غلبت عليها تضخيماً لها...»[3]، وعن سبب تسميتها بالمدينة يذكر السمهودي قوله: «لأنَّهُ أي النَّبي ﷺ، سكنها وله دانت الأمم...»[4]. والواقع فإن التسمية وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، يقول الحميري: «سماها الله ﷻ المدينة، وكذلك يسميها الرسول ﷺ»[5]،

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦، (مادة مدن): السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت، ١/٨-٩ و١/٢٢.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ١/٢٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (مادة مدن).

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ١/٢٣.

(٥) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، بيروت، =

فمن المواضع التي وردت في القرآن الكريم وتضمنت لفظة «مدينة» وقصد بها «المدينة المنورة» نذكر:

- سورة التوبة، الآية/١٠١ ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ...﴾.
- السُّورة نفسها، الآية/١٢٠ ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ...﴾.
- سورة الأحزاب، الآية/٦٠ ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾.
- سورة المنافقون، الآية/٨ ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ...﴾.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت فيها لفظة «المدينة» وقصد بها «يثرب» أو المدينة المنورة نذكر:

قول النَّبي ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها»(١). وقوله ﷺ: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها»(٢)، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ»(٣). وغيرها.

ويبدو أن للمدينة أسماء أخرى تعرف بها سواء كان قبل الإسلام أو بعده حتى أن السمهودي ذكر أن لها، أربعة وتسعين اسماً(٤)، وكان فيما قاله معلقاً على هذه

=

١٩٨٤، ص٤٠١.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، القاهرة، ١٩٥٨، ٢٧/٣.

(٢) م.ن، ٢٩/٣. مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، دار التحرير القاهرة، ١٣٢٩هـ، ١٢١/٤.

(٣) البخاري، الصحيح، ٣٠/٣، مسلم، الصحيح، ١١٩/٤.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ٨/١-١٨. قارن: العباسي، أحمد بن عبد الحميد (ت ق ١٠هـ) عمدة الأخبار في مدينة المختار، الرياض، بلا.ت، ص٥٥-٨٢. الظاهري، خليل بن شاهين

=

الأسماء العديدة، «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة»[(١)].

على أن أشهر هذه الأسماء التي تعرف بها المدينة المنورة هو «يثرب»، وقد اختلف في سبب تسميتها بهذا الاسم، فقد ذكر الإخباريون أن يثرب اسم شخص هو «يثرب بن قانية بن مهلل بن أرم... نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب...»[(٢)] وقيل إنَّهُ اسم أرضها «فالثرب: أرض حجارتها كحجارة الحرّة...»[(٣)] فلربما سميت بذلك لطبيعة أرضها. وقد وردت لفظة يثرب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ (الأحزاب/١٣). وكذلك وردت في الكتابات المعينيّة القديمة مما يدل على قدمها[(٤)].

ومن أسمائها المأثورة «طابة» وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف فعن جابر بن سمرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى سمى المدينة طابة»[(٥)]. وفي رواية أخرى عن أبي حميد قال: «أقبلنا مع النَّبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة»[(٦)]. ونسب إلى الرسول ﷺ أنَّهُ سماها «طيبة» وأنه كره اسم يثرب، فمما يروى في ذلك قوله: «تسمونها يثرب ألا وهي طيبة»[(٧)].

=

(ت ٨٧٢هـ)، زبدة كشف الممالك...، باريس، ١٨٩٤م، ص١٤.

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ١/٨ و١/٢٥-٢٧.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٦، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٤، ٢/١٢٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧، ٥/٤٣٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثرب).

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٠، ٤/١٢٨.

(٥) مسلم، الصحيح، ٤/١٢١.

(٦) البخاري، الصحيح، ٣/٢٦، مسلم، ٤/١٢٣-١٢٤.

(٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٥.
=

الموقع والمساحة:

تقع المدينة في إقليم الحجاز، الذي يمتد بين أطراف بوادي الشام إلى اليمن، وسمي بذلك «لأنَّهُ حجز بين الغور وبين نجد»[١] أي ما بين مباسط تهامة ومشارف نجد ويتخلله جبال ومرتفعات ووديان ومنخفضات[٢].

والمدينة عبارة عن واحة تقع في منخفض مستو من الأرض، يقول ابن الوردي في وصفها: «وهي مدينة غاية في الحسن في مستوى من الأرض وثمرها في غاية الطيب والحلاوة، ولها مخاليف وحصون...»[٣]. ويحيط بالمدينة حرّتان من الشرق والغرب، والحرّة عبارة عن مرتفع من الأرض يتألف من حجارة سود نخرة، وهاتان الحرتان هما: حرّة واقم في الشرق، وحرّة الوبرة في الغرب[٤]، وقد ورد في الحديث ذكر الحرّة بمعنى «لابة» فعن أبي هريرة أن النَّبي ﷺ قال: «حرّم ما بين لابتي المدينة على لساني»، وفي رواية أخرى: «ما بين لابتيها حرام»[٥].

ومن المرتفعات التي تحف بالمدينة من شمالها وجنوبها جبلا أُحد في الشمال وعائر (عيْر) في الجنوب، وقد وردا في لفظ الحديث النبوي الذي حدد حرم المدينة من الشمال والجنوب، فعن أبي طلحة أن النَّبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إني أحرّم ما بين جبليها»[٦]، وفي رواية أخرى عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النَّبي ﷺ قال: «المدينة

=

السمهودي، وفاء الوفا، ١/١٦-١٧.

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت حوالي ٣٤٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تح. محمد الأكوع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩، ص٨٥.

(٢) ينظر للمزيد: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجز).

(٣) ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ). خريدة العجائب وفريدة الغرائب، البابي الحلبي، القاهرة ١٣٠٣هـ، ص ٣٨.

(٤) عن هاتين الحرتين ينظر: السمهودي، خلاصة الوفا...، دار الطباعة الخديوية، مصر، ١٢٨٥هـ، ص٣٠٤. أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص٤٠١.

(٥) البخاري، الصحيح، ٣/٢٥-٢٦. مسلم، الصحيح، ٤/١١٢-١١٣.

(٦) مسلم، الصحيح، ٤/١١٤-١١٢. وينظر: فنسنك، أ.ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، بريل، ليدن، ١٩٦٩. مادة (حرم).

حرم ما بين عيْر إلى ثور...»[١]، وثور جبل يقع بمقربة أحد، وبذلك تكون المدينة محاطة من معظم نواحيها بتضاريس جغرافية عبارة عن حرّات وجبال[٢].

وممن ذكر تحديد المدينة الجغرافي السمهودي والحميري وغيرهم، يقول الحميري إنها: «ما بين طرفي قبا إلى طرف الجرف»[٣]، وتحديد السمهودي أنها: «ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف»[٤]، وهذان التحديدان يعكسان الحدود من الشمال والجنوب. أمَّا الشرق والغرب فهما الحرتان بلا شك.

هذه المساحة التي ورد ذكرها في مصادر – ربَّما تكون متأخرة نسبياً – لكنها تعطي فكرة تقريبية لمساحة المدينة، فقد ذكر الزركشي أنها (أي المدينة): «بريد في بريد»[٥]، وبذلك تكون مساحتها (على التحديد المذكور آنفاً). (ثمانية وأربعين ميلاً مربعاً)[٦].

والمدينة يتخللها أودية، وفيها آبار وعيون تغذيها الأمطار التي تهطل في الشتاء والربيع ومن أهم أودية المدينة: وادي بطحان، الذي يشق وسط المدينة، «ووادي قناة» في شمالها ووادي العقيق في غربها، ويبدو أن التجمع السكاني في المدينة كان حول هذه الأودية[٧]، يقول ابن الوردي «... بها نخل ومزارع وقبائل عرب...»[٨].

---

(١) مسلم، الصحيح، ٤/١١٤-١١٢. وينظر: فنسنك، أ.ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، بريل، ليدن، ١٩٦٩. مادة (حرم).

(٢) البليهشي، محمد صالح، المدينة المنورة، مطابع جامعة الملك سعود، بلا.ت، ص٣٥ (مع خارطة).

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٤٠٢.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ١/٨-٩.

(٥) الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، أعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص ٢٢٦.

(٦) ن.م ٢٢٦، حاشية رقم (٤) تعليق المحقق مصطفى المراغي.

(٧) عن أودية المدينة يراجع: السمهودي، خلاصة الوفا، ص٢٤٨ وما بعدها. العباسي، عمدة المختار، ص٤٤٧.

(٨) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٣٨.

لمحة عن تاريخ المدينة قبل الإسلام:

إن تاريخ المدينة في عصر ما قبل الإسلام، مثل سائر تواريخ الأماكن الأخرى يكتنفه نوع من الغموض، ولاسيّما ما تعمق منه في القدم(١)، فتزعم المصادر العربية أن أول من سكن المدينة «قوم من جرهم وبقية العماليق قد اتخذوا النخل والزرع...»(٢) أي إن القبائل العربية سكنتها منذ زمن بعيد «بدليل أن اسمها ورد في الكتابات المعينية»(٣)، ثمَّ ما زالوا بها حتى وفد عليهم اليهود وذلك في القرن الأول الميلادي أو بعده بقليل(٤)، على أثر طرد الرومان لمن كان منهم في بلاد الشام، إذ «لحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادي القرى، وتيماء ويثرب...»(٥).

وكان ممن نزل المدينة من اليهود، بنو قريظة وبنو النضير وقد «سكنوا حرّة واقم شرق يثرب وهي من أخصب المناطق، أي سكنوا منطقة العوالي»(٦). أمَّا بنو قينقاع «فتختلف الآراء حول كونهم عرباً تهودوا أو أنهم نزحوا مع النازحين...»(٧) فقد «سكن هؤلاء في الجزء الجنوبي الغربي من واحة يثرب»(٨) وهناك بطون أخرى منهم أقل شأناً، انتشرت في أماكن أخرى من المدينة بمرور الزمن، منهم بنو مريد، وبنو القصيص، وبنو ثعلبة وبنو زيد اللات وغيرهم(٩). وقد اختلف أيضاً في نسب

---

(١) ينظر: جواد علي، المفصل، ص٤/١٣٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩. أيضاً: ياقوت، معجم البلدان، ٥/٨٤.

(٣) حسن خالد، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٤. أيضاً: جواد علي، المفصل، ١/١٢٨.

(٤) شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧، ص١٤.

(٥) البلاذري، فتوح، ص٢٩. قارن: الحموي، معجم البلدان، ٥/٨٤.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ١/١٦٠.

(٧) العمري، أكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٨.

(٨) الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٩٧. أيضاً: السامرائي، خليل إبراهيم، وثائر حامد، المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عصر النبوة، الموصل، ١٩٨٤، ص١٩.

(٩) العباسي، عمدة الأخبار، ص٣٨، العمري، المجمع المدني، ص٥٩.

بعـض هذه القبائل، فمنهم من ذكر كونها يهودية الأصل، ومنهم من قال إنهم عرب تهـودوا، وعلـى أية حال فقد يكون الواقع يضم كلا الرأيين، وعلى الرغم من أن الـيهود الذين سكنوا المدينة قد «شاركوا في الحياة العربية وتقاليدها، غير أنهم بقوا يحافظون على طقوسهم ومراسيمهم الدينية»(١).

الأوس والخزرج:

«كان قدوم الأوس والخزرج على أثر حادث (سيل العرم) المذكور في القرآن الكـريم(٢)، فأجمع عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة، الخروج عن بلاده وباع ماله بمأرب، وتفرق ولده، فنزلت الأوس والخزرج (يثرب)، وارتحلت غسان إلى الشام، وذهـبت الأزد إلى عمـان...»(٣) وإن كنا لا نعرف متى جاء الأوس والخزرج إلى المديـنة بالضـبط، ويظهر أنهم كانوا فيها قبل القرن الرابع الميلادي، وأنهم في أول أمـرهم أقاموا خارج المدينة، وبمرور الزمن «عفوا وكثروا وعزّوا...»(٤)، فتغلغلوا فيها إلى أن استوطنوها.

عـاش الأوس والخزرج (أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو) في المدينة إلى جانب بقـية سـكانها مـن اليهود والقبائل العربية الأخرى، وأنهم لما رأوا المال والأطام والنخـيل في أيدي اليهود. عقدوا معهم حلف جوار يأمن به بعضهم بعضاً. وبقوا على ذلك دهراً، حتى نقض اليهود عهد الحلف، وشاءوا التسلط على يثرب من دون

---

(١) ينظر: شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص١٥-١٦.

(٢) ورد ذكر قصة السيل العرم في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ الخ الآية سورة سبأ/١٥-١٦، يراجع عن تفاصيلها: الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤، ١٤٧/١٩ و٧٦/٢٢. ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩، ٥٣٠/٣.

(٣) ينظـر عـن أحداث هجرة القبائل اليمانية: المسعودي، التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨، ص١٧٣. جواد علي، المفصل، ١٢٩/٤.

(٤) البلاذري، فتوح، ص٣٠٠.

الأوس والخزرج[1]. ويبدو من الروايات التاريخية أن هناك عداءً نشأ بين اليهود من جهة والأوس والخزرج من جهة أخرى في القرن الذي سبق الهجرة النبوية، وقد اختلفت المصادر في ذكر أسباب الخلاف بين الطرفين، وعلى الرغم مما تنسبه بعض هذه المصادر إلى حوادث تنم عن أخطاء ارتكبها بعض زعماء اليهود في المدينة، تجاه الأوس والخزرج[2]، ولكن الأسباب تبدو أعمق من ذلك، يقف على رأسها السبب الاقتصادي فاليهود استحوذوا على كثير من ثروات المدينة، بينما الغالبية من الأوس والخزرج يعيشون في شظف العيش، فضلاً عن محاولة اليهود الاستمرار بالتحكم في الأمور في المدينة.

وعلى أية حال، فقد دفع موقف اليهود العدائي للأوس والخزرج، إلى أن يستنجد الأخيرون بأقاربهم اليمانية، لمساعدتهم ضد اليهود، فقيل أنهم استعانوا بأبي جبيلة أحد ملوك الغساسنة في الشام[3]، وثمة رواية أخرى تذكر أنهم استعانوا بأبي كرب تبّع بن حسان ملك اليمن[4]، ومهما يكن من أمر فإن جيشاً عربياً – يمانياً سواء من يمن الجنوب، أو من يمن الشمال من الغساسنة قد ساعد الأوس والخزرج ضد اليهود.

على أن الرواية الأولى تكاد تكون أرجح من الثانية، وأن أبا جبلة بعد أن سار إلى الحجاز أظهر أنَّهُ يريد اليمن، وأنه نزل بذات حرض «ثمَّ كتب إلى اليهود يتودد

(١) السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٣. جواد علي، المفصل، ١٢٩/٤. حسن خالد، مجتمع المدينة، ص٢٨.

(٢) من هذه الحوادث مثلاً قصة الفطيون أو القطيون وكيف أنَّهُ كان يعتدي على شرف النساء، فقتله مالك بن العجلان وفرّ إلى الشام فاستنجد بأبي جبيلة الذي أنجده... ينظر تفاصيل ذلك: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٨٥/٥، السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٣، جواد علي، المفصل، ٤/ ١٣٣-١٣٥ وغيرها.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨١٠هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر...، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧، ٥٩٦/٢-٥٩٧. السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٤. الحميري، الروض المعطار، ص٤٠٢.

(٤) السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٤.

إليهم، فلما جاءوا إليه قتلهم،... ثمَّ رجع أبو جبيلة إلى الشام»[١] وبعد هذا الحادث تغلـبت الأوس والخـزرج على اليهود، وأصبحوا هم السادة وأصحاب الشأن في المدينة[٢].

لم يكن وضع الأوس والخزرج قبيل فجر الإسلام مستقراً على الرغم مما بينهم من صلة قربى، ويبدو أن اليهود كان لهم دور كبير في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين هـاتين القبيلـتين الكبيرتين[٣]، فوقعت بينهما حروب هلك فيها من الطرفين خلق كـثير، ومن هذه الحروب: حرب سمير وحرب فارع، وحرب حاطب... وغيرها وكان آخرها يوم بعاث الذي وقع قبيل الهجرة بحوالي خمس سنوات[٤].

لقد أدرك الأوس والخزرج أن حرب بعاث - وهي آخر أيامهم قبل الإسلام - قـد أنهكـت قواهم، وقتل بسببها العديد من رجالهم، لذا تطلعوا إلى جمع شملهم، وإقامـة ملـك عليهم، فاختاروا لذلك عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجي لمكانته فـيهم، غير أن ذلك لم يتم، فقد دخل الإسلام المدينة، فغيّر مجرى الأحداث فيها، فبعد الهجرة النبوية إليها جمع الله شملهم بالإسلام وتحت قيادة رسول الله ﷺ[٥]. ولم نعـد نسمع كثيراً عن لفظتي الأوس والخزرج إنَّما صرنا نسمع عن «الأنصار» وهو اللقـب الذي أُطلق عليهم في الإسلام لمناصرتهم لرسول الله ﷺ، وصاروا يفتخرون بهذه التسمية حتى غلبت عليهم، وصارت في منزلة النسب.

---

(١) ابن خلدون، العبر...، ٥٩٧/٢. السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٤ – جواد علي، المفصل، ٤/ ١٣٤.

(٢) جواد علي، المفصل، ١٣٤/٤.

(٣) ينظر: البليهشي، المدينة المنورة، ص٢٧.

(٤) ينظـر: جـاد المـولى، محمد أحمد، وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦١، ص٦٢ وص٧٢-٧٣. جواد علي، المفصل، ١٣٨/٤-١٣٩. البليهشي، المدينة المنورة، ص٢٨.

(٥) ابـن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري... (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، ط٢، تح. مصطفى السقا وآخرون، مصر، ١٩٥٥، ٥٨٤/١-٥٨٥. أيضاً: السمهودي، خلاصة الوفا، ص٩٠.

المجتمع المدني:

كـــان الأنصار (الأوس والخزرج) يشكلون الغالبية في المجتمع المدني في صدر القرن الأول الهجري:

فأمَّا الأوس فجميع فروعهم وبطونهم من مالك بن الأوس «ومن مالك تفرقت قـــبائل الأوس وبطـــونها»[1] وأهمهم خمسة: بنو عمرو، وبنو عوف، وبنو مرّة وبنو امرئ القيس، وبنو جشم، وكلهم ولد مالك بن الأوس – كما أشرنا –[2]. ومعظم مساكنهم في الطرف الشرقي لحرّة واقم، ومنطقة قباء وما حولها، وفي منطقة العوالي، وشـــرقي وادي بطحـــان، ولهـــم حصـــون خاصة بهم يتحصنون بها عند تعرضهم للمخاطر[3].

وأمَّـــا الخزرج فأشهر بطونها خمسة أيضاً، وهم «بنو عوف، وبنو عمرو، وبنو جشـــم، وبنو الحارث، وبنو كعب، وهؤلاء الخمسة هم ولد الخزرج بن حارثة[4]، ومعظـــم مســـاكنهم على طرف الحرّة الغربية، وشرق وادي بطحان، وفي المنطقة الغربية من المسجد النبوي، وفي شرقي سوق المدينة[5].

لم تبق المدينة على سكانها الذين كانوا قبل الهجرة، فقد أدت الهجرة المستمرة – في مفتـــتح القرن الأول الهجري – إلى تنوع سكان المدينة المنورة، فلم يعودوا يقتصرون على الأوس والخزرج وبعض اليهود، بل نزل معهم المهاجرون من قريش وقبائل العرب الأخرى، ومن بين أسباب الهجرة المتزايدة إلى المدينة بعد العام الأول الهجري إلى العام الثامن، هو «أن الدولة الإِسلامية الناشئة في المدينة المنورة بحاجة

---

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، مصر، ١٩٣٤، ص٥٠. أيضاً: السمهودي، خلاصة الوفا، ص٩٠.

(٢) خلـــيفة بن خياط (شباب العصفري)، الطبقات: تحـ. أكرم العمري، بغداد، ١٩٦٧، ص٧٦ وما بعدها. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٠.

(٣) السمهودي، خلاصة الوفا، ص٨٥-٨٦.

(٤) خليفة بن خياط، الطبقات، ص٨٧. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٠. السمهودي، خلاصة الوفا، ص ٨٦-٨٨.

(٥) السمهودي، وفاء الوفا، ١/١٩٨-٢١٠.

إلى المهاجرين من المؤمنين ليتوطد سلطان الإسلام فيها»[١]. وكان يشترط على كل مسلم جديد أن يستقر في المدينة.

وثمة آيات قرآنية كثيرة حثت على الهجرة وبينت فضلها وفضل المهاجرين[٢]. وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة[٣]. ولكن بمرور الزمن ضاقت المدينة بسكانها المتزايدين وما يحتاجونه من قوت ومسكن. لذا طلب بعض القبائل من الرسول ﷺ عقب الخندق العودة إلى ديارهم[٤]، غير أن الوقف الرسمي للهجرة كان بعد فتح مكة حيث قال رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعد فتحِ مكّة، ولكن جهادٌ ونيّةٌ، فإذا استُنْفِرْتُم فانْفِروا...»[٥].

إذن يمكن القول إن التركيبة السكانية لمجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ كان يضم في غالبيته الأنصار (الأوس والخزرج). والمهاجرين الذين كان أكثرهم من أهل مكة ثمّ من قريش، وظلت هذه السمة هي الغالبة – تقريباً – على مجتمع المدينة في العهود اللاحقة، باستثناء ما جلبته حروب التحرير والفتوح من الأجانب الذين شكلوا فئة الموالي والعبيد في المجتمع المدني، وكان دورهم محدوداً في المدينة[٦].

---

(١) ينظر: العمري، المجتمع المدني، ص٦٨-٧٠.

(٢) من هذه الآيات نذكر مثلاً: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ...﴾ (النحل/٤١). وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ...﴾ (التوبة/٢٠)، وغيرها. للمزيد يراجع عن الآيات التي تضمنت لفظة الهجرة: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (مادة هجر).

(٣) من هذه الأحاديث نذكر: «... من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...» البخاري، الصحيح، ٧٢/٥. وانظر الأحاديث الأخرى. فنسنك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مادة (هجر).

(٤) العمري، المجتمع المدني، ص٧٠.

(٥) الحديث بهذا اللفظ عند: النسائي: أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، السنن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧، ١٤٦/٧. وعند البخاري: «لا هجرة بعد الفتح»، الصحيح، ٧٢/٥. وينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، الأموال، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٢٢-٢٢٧.

(٦) للمزيد يراجع: ابن خلدون، المقدمة، ط٤، دار القلم، بيروت، ١٩٨١، ص١٣٦ وما بعدها. فاروق عمر، دور الموالي ومركزهم في المجتمع الإسلامي، مجلة آفاق عربية (عدد الاستشراق)، =

الحياة السياسية والإدارية في المدينة المنورة في (ق١ وق٢هـ)

١. المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ

«أخـذ الإسلام ينتشر في المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، ففيها أسلم اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج على يد النَّبي ﷺ[١]، فلما عادوا إلى بلدهم بعث النَّبي ﷺ معهـم مصـعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين»[٢] ودخـل في الإسلام على يديه رجال من أهل المدينة منهم، سعد بن معاذ وأسيد بن حضـير وغيرهـم[٣]. ثمَّ إن مصـعباً أقام في دار أسعد بن زرارة «يدعو النَّاس إلى الإسـلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاَّ وفيها رجال ونساء مسلمون...»[٤] وفي العـام التالي قدم مكة عدد من أهل المدينة فيهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان للاتصال بالرسول ﷺ ومبايعته، وكانوا من قبائل متعددة[٥]، وقد تمت البيعة في العقبة أيضاً في إحدى ليالي الموسم.

وكان من بين ما تضمنته شروط البيعة أن أهل المدينة تعهدوا للرسول ﷺ بأن يمنعوه «مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم»[٦] وأن النَّبي ﷺ قال لهم: «أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم»[٧] وسميت هذه البيعة «بيعة الحرب»[٨]

=

١٩٨٩، ص١٥ وما بعدها.

(١) تفاصـيل خـبر العقبة الأولى عند: ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣١/١ وما بعدها. ابن سعد، محمد بن سـعد بن منيع، الطبقات الكبرى، بيروت، ١٩٥٧، ٢١٩/١-٢٢٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط٢-٥، تح. محمد أبو الفضل، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦-١٩٨٧، ٣٥٥/٢-٣٥٦.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٤٣٤/١. الطبري، تاريخ، ٣٥٧/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٤٣٦/١-٤٣٧. الطبري، تاريخ، ٣٥٧/٢-٣٥٩.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٤٣٧/١.

(٥) م.ن، ٤٤١/١. وينظر: العلي، صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨، ٦٦/١.

(٦) م.ن، ٤٤١/١. وينظر: العلي، صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨، ٦٦/١.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٤٣٢/١. الطبري، تاريخ، ٣٦٢/٢.

(٨) ابن هشام، السيرة، ٤٤٢/١. الطبري، تاريخ، ٢٦٣/٢.الطبري، تاريخ، ٣٦٨/٢.

وكـــان النَّبي ﷺ قد اختار منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس»[١].

بعـــد بيعة العقبة زاد عدد الداخلين في الإسلام من أهل المدينة، وبذاك وجد الرسول ﷺ والمسلمون «قاعدة جديدة» لهم توفر لهم حرية العقيدة والعمل، ويأمن فيها من يلجأ إليها منهم وكان لابد من الهجرة إلى هذه القاعدة الجديدة.

بـــدأت هجـــرة المسلمين إلى المدينة أفراداً وجماعات[٢]، وكانت أغلب الهجرة سريّة، وبعد أن اطمأن الرسول ﷺ «إلى أن معظم المسلمين قد هاجروا، وأن الذين بقوا في مكـــة لا يرغبون في الهجرة ولا يمكن أن يدّعوا أن الرسول ﷺ قد تخلى عنهم، وأن المدينة قد أظهرت ترحيباً بالمهاجرين[٣]، اتخذ قراره بالهجرة إلى المدينة.

خـــرج النَّبي ﷺ ومعه أبو بكر الصديق ﷺ، وبعد رحلة محفوفة بالمخاطر[٤]، وصل النَّبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة التي كانت ترقب استقباله[٥]، وقد عرض كثير من الأنصـــار علـــى النَّبي ﷺ أن ينزل دورهم[٦]، غير أن النَّبي ﷺ اختار دار أبي أيوب الأنصاري، فأقام عنده، حتى بنى مسجده ومساكنه ثمَّ انتقل إليها[٧]. بعد هجرة النَّبي ﷺ إلى المديـــنة واســـتقراره بها، قام عليه الصَّلاة والسلام ببعض الأعمال الإدارية والسياســـية لمـــا تطلـــبه الظرف الجديد للمسلمين في المدينة وكان على رأس هذه

(١) ابن هشام، السيرة، ٤٤٣/١. الطبري، تاريخ، ٣٦٢/٢.

(٢) ينظـــر عن تفاصيل ذلك عند: ابن هشام، السيرة، ٤٦٨/١ وما بعدها. ابن سعد، الطبقات، (ط بيروت)، ٢٢٦/١، الطبري، تاريخ، ٣٦٩/٢.

(٣) العلي، الدولة في عهد الرسول، ص٧٧-٧٨.

(٤) عـــن حيثـــيات الهجرة وخط السير ينظر التفاصيل عند: ابن هشام، السيرة، ٤٨٠/١ ابن سعد، الطبقات، (بيروت)، ٢٢٧/١. وما بعدها. أيضاً: العمري، المجتمع المدني، ص٦٦و
Watt, Montgomery, Muhamad Prophet and Statesman, London, ١٩٦١, P.٨٩-٩١.

(٥) ابـــن هشام، السيرة، ٤٩٢/١. خليفة بن خياط، التاريخ، تح. سهيل زكار، دمشق، ١٩٦٧، ١/ ١٣.

(٦) ابن هشام، السيرة، ٤٩٤/١-٤٩٥. ابن سعد، الطبقات، (ط بيروت)، ٢٣٦/١-٢٢٧.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٤٩٨/١-٤٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ، ١٤/١. الطبري، تاريخ، ٣٩٦/٢.

الأعمال:

بناء المسجد:

فبعد بناء مقامه في المدينة بقليل شرع ببناء مسجده ﷺ بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار»[١]، وكان اتخاذ المسجد النبوي يهدف إلى تحقيق أغراض متعددة.

أولها: أنَّهُ مكان لتأدية الصَّلاة ولتلقي التعاليم الدينية، وثانيها: أنَّهُ مقر للرئاسة الجديدة الممثلة في شخص النَّبي ﷺ، فكانت معظم القرارات والتعليمات التي تصدر عن الرسول ﷺ تلقى من على منبره، وثالثها: أنَّهُ كان بمثابة دار ندوة للجماعة الإِسلامية تبحث فيه كل شؤونها العامة[٢]، وثاني أهم هذه الأعمال كان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[٣]، وكان من بين ما هدفت إليه هذه المؤاخاة «أنها يسرت لأفراد المهاجرين صلة وثيقة بأهل المدينة التي هاجروا إليها، وخففت من عزلتهم... وأمّنت لهم ملجأً روحياً يعينهم على تخفيف الشدائد عنهم، وثبتت المُثل الأخلاقية التي دعا إليها الإِسلام»[٤] وبالمؤاخاة حلّت رابطة العقيدة محل رابطة الدم التي فشلت في المدينة في أن تؤلف بين النَّاس في السابق، كما أن المؤاخاة حلت محل الحلف الذي يقلل من قيمة الحليف[٥].

وثالثها: أن النَّبي ﷺ أصدر صحيفة: تعد بمثابة (دستور) ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من جهة وبين المسلمين أنفسهم من جهة أخرى. وقد ورد في

---

(١) الطبري، تاريخ، ٣٩٧/٢. قارن: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢٤٠/١-٢٤١.

(٢) ينظر: الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، القاهرة، ١٩٦٨، ص٨٤. وينظر:
Encyclopaedia of Islam (S.V. Mosdjid).
Encyclopaedia Britannica (S.V. Mosque).

(٣) ينظر عن تفاصيل المؤاخاة عند: ابن هشام، السيرة، ٥٠٤/١، ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢٣٨/١. البلاذري، أنساب الأشراف، (ج١)، تح. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩، ص٢٧٠-٢٧١.

(٤) العلي، الدولة في عهد الرسول، ٨٨/١.

(٥) ينظر: العسلي، خالد صالح، المؤاخاة في عهد الرسول ﷺ، مجلة دراسات للأجيال، العددان ٤ و٥/السنة الرابعة، تشرين الأول ١٩٨٣، ص٢٥ وما بعدها.

نص هذه الصحيفة بنود كثيرة، منها: وحدة المسلمين فـ«المؤمنون والمسلمون... أمة واحدة من دون النَّاس... وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون النَّاس»[١]. وأن المرجع الأعلى للخلاف هو الله ورسوله فما «كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخلف فساده، فإن مردّهُ إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله ﷺ»[٢]، كما أكدت الصحيفة أموراً أخرى من بينها، الدفاع المشترك عن المدينة في حالة تعرضها للخطر[٣]. فضلاً عن ضمان حرية العقيدة للمسلمين وغيرهم، وتحريم الجريمة، وحرمة المال، والحياة، وغير ذلك[٤]. وبذلك أصبح الرسول ﷺ في المدينة رئيساً للدولة، فضلاً عن مهمته نبياً مرسلاً لهداية البشر، أمَّا الدولة التي يرأسها فهي دولة إسلامية، تطبق تعاليم القرآن الكريم، فالسياسة والحكم والتشريع في هذه الدولة جزء من رسالة الإسلام[٥].

ولكي يحافظ النَّبي ﷺ على المدينة نواة للدولة، وقاعدة لنشر الإسلام وتوسيع رقعته، كان عليه أن يواجه المخاطر والعقبات التي تهدده في داخلها أولاً، وعلى رأسها وجود اليهود الذين ناصبوا رسول الله ﷺ العداء[٦]، فقد أخذوا يشنون حرباً شعواء من الأسئلة والجدل في أمر الرسول ﷺ وصحة رسالته، ليلبسوا الحق بالباطل[٧]، وكان المتزعمون لهذه الحملة أحبارهم وسادتهم، (أورد ابن هشام قائمة

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٥٠١/١ و٥٠٣. ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ١٩٧/١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٥٠٤/١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١٩٨/١.

(٣) ابن هشام، السيرة. قارن: ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١٩٨/١.

(٤) ينظر تفاصيل نصوص الصحيفة عند: ابن هشام، السيرة، ٥٠١/١-٥٠٣. أبو عبيد. الأموال، ص ٢١٢-٢١٥. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١٩٧/١-١٩٨ وغيرها.

(٥) ينظر: لبيد إبراهيم أحمد، عصر النبوة، بغداد، ١٩٩، ص٩١.

(٦) عن صور معاداة اليهود للرسول ﷺ في هذه المدة ينظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٠٨/١ وما بعدها.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٥١٣/١. قارن: البلاذري، أنساب الأشراف (تح. حميد الله)، ١/ ٢٨٤-٢٨٦.

طويلة بأسمائهم)[١].

وعلى الرغم من أن البعض القليل منهم دخل في الإسلام (كعبد الله بن سلام)[٢]، إلاَّ أن الغالبية منهم وقفت معادية تحادّ الله ورسوله، فكيف تم للرسول ﷺ إزالة الخطر اليهودي من المدينة؟ عندما انتصر الرسول ﷺ وأصحابه في بدر على قريش في السنة الثانية من الهجرة، نقض بنو قينقاع ما بينهم وبين رسول الله ﷺ[٣]، من العهد، فحذّرهم النَّبي ﷺ من خطورة موقفهم ولكنهم أظهروا استعدادهم للحرب[٤] «فحاصرهم النَّبي ﷺ خمس عشرة ليلة حتى أنزلوا على حكمه... فأجلاهم إلى أذرعات[*] بالشام»[٥].

وبعد موقعة أحد حاول يهود بني النضير قتل رسول الله ﷺ غيلة[٦]، فحينئذ أعلن الحرب عليهم وحاصرهم ولما رأوا أنهم لا طاقة لهم بالمقاومة طلبوا الصلح، «وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاَّ الحلقة»[٧]، فنزل القسم الأكبر منهم في خيبر، وذهب آخرون إلى أذرعات.

ثمَّ إن يهود بني قريظة عمدوا إلى التحالف مع جيوش الأحزاب التي حاصرت

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/٥١٤-٥١٦.

(٢) ن.م، ١/٥١٦-٥١٧، قصة إسلامه أيضاً عند: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (جزء المغازي)، ط٢، تح. عمر تدمري، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٢، وما بعدها.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/٤٧. البلاذري، أنساب الأشراف (تح. محمد حميد الله)، ١/٣٠٨.

(٤) ابن هشام، السيرة، ١/٤٧. أيضاً البلاذري، أنساب الأشراف (تح. محمد حميد الله)، ١/٣٠٨. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، بلا.ت، ١٧/٦٨.

(*) أذرعات بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. ياقوت، معجم البلدان، ١/١٦٢.

(٥) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، ط٣، تح. م. جونس، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤م، ١/١٧٧-١٨٠. ابن هشام، السيرة، ٢/٤٨.

(٦) الواقدي، المغازي، ١/٣٦٤-٣٦٥. ابن هشام، السيرة، ٢/١٩٠.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٢/١٩١. قارن: الواقدي، المغازي، ١/٣٧٤.

المدينة، وخانوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ[١]، ولما «انتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بني قريظة العهد، اشتد الخوف وعظم البلاء»[٢]. وكادت الكارثة أن تقع بالفعل لولا أن الله سلّم، وذلك بأنه لم يتم اتفاق نهائي بين قريش ومن معهم من جهة، وبين بني قريظة من جهة على ترتيبات القتال[٣].

فلما أنقذ الله المدينة من خطر قريش وحلفائها، أذن النَّبي ﷺ في حرب بني قريظة لما كان منهم، وحصلت المناوشات بين الطرفين، وأسرع بنو قريظة إلى حصونهم، فحاصرهم النَّبي ﷺ «خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب»[٤] ثمَّ أنهم «نزلوا على حكم رسول الله ﷺ»[٥] فحكّم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، الذي حكم «أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء...»[٦] وقد منَّ النَّبي ﷺ على بعضهم بالعفو.

أمَّا الخطر الخارجي على المدينة فإنَّه كان يتمثل في قوة قريش وحلفائها في مكة، وكان لا بد من التغلب عليها لضمان أمن الإسلام واستقراره وسيادته في مركز (المدينة) وانتشاره في ربوع الجزيرة العربية، ولذلك كانت المنازلات والوقائع بين النَّبي ﷺ والمسلمين من جهة، وبين قريش من جهة أخرى مستمرة. وكانت معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة، قد حدّت من خطر قريش ووضعتها أمام الأمر الواقع، بأن الإسلام أصبح له قوة ومركز[٧]، ولم يكن ما أصاب المسلمين في أحد

(١) الواقدي، المغازي، ٤٥٦/٢ وما بعدها. ابن هشام، السيرة، ٢٢١/٢ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٥٧١/٢-٥٧٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ٤٧٩/١. قارن: ابن هشام، السيرة، ٢٢٩/٢.

(٣) تفاصيل ذلك عند الواقدي، المغازي، ٤٨٠/٢ وما بعدها. ابن هشام، السيرة، ٢٢٩/٢. الطبري، تاريخ، ٥٧٨/٢ وما بعدها.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢٣٥/٢.

(٥) الواقدي، المغازي، ٥٠٩/٢. ابن هشام، السيرة، ٢٢٩/٢.

(٦) ابن هشام، السيرة، ٢٤٠/٢. الطبري، تاريخ، ٥٨٨/٢. قارن: الواقدي، المغازي، ٥١٢/٢.

(٧) معركة بدر وتفاصيلها ينظر: ابن هشام، السيرة، ٦٠٦/٢ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٤٢١/٢ وما بعدها.

سنة ٣ هجرية إلاّ درساً لهم زاد من عزمهم على مواجهة أعدائهم[١]. فلما كانت السنة الخامسة صمدوا بوجه قوة قريش ومن تحالف معها من القبائل الأخرى، وعندما رجعت قريش ولم تحقق مكسباً في هذه المواجهة أيقنت أنَّهُ لا طائلَ لها بحرب النَّبي ﷺ فلم تجهز بعدها أية حملة لمحاربته في المدينة ولا في خارجها[٢].

ولما استدار العام ذهب النَّبي ﷺ إلى مكة يريد العمرة[٣]، وبالرغم من أن قريشاً صدّته وأصحابه عن بلوغ غايتهم، إلاّ أنَّهُ عقد معهم صلحاً عرف بـ«صلح الحديبية» الذي يعدّ بحق فتحاً مبيناً، لكونه حقق هدنة مع أقوى أعدائه لمدة عشر سنين ضمنت له حرية العمل والحركة[٤]، وأكسبت المسلمين مكانة وسمعة في أرجاء الجزيرة، إذ ازداد عدد الداخلين في الإسلام زيادة كبيرة[٥]، وقام النَّبي ﷺ في هذه السنة (السادسة) بإرسال الرسائل إلى الملوك والحكام في عصره في مختلف الأماكن يدعوهم إلى الإسلام[٦]، انطلاقاً من كون رسالته إلى النَّاس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ/٢٨) فدخل بعضهم في الإسلام.

---

(١) معركة أحد وتفاصيلها ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢/٦٠ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٢/٤٩٩ وما بعدها.

(٢) معركة الخندق وتفاصيلها ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢/٢١٤ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٢/٥٦٤ وما بعدها.

(٣) تفاصيل ذلك عند: الواقدي، المغازي، ٢/٥٧٢ وما بعدها. ابن هشام، السيرة، ٢/٣٠٨ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٢/٦٢٠ وما بعدها. أيضاً: Watt, Muhammad Prophet, P.١٨٢-١٨٣.

(٤) نصوص صلح الحديبية: الواقدي، المغازي، ٢/٦١٠-٦١٢. ابن هشام، السيرة، ٢/٣١٧-٣١٨. أيضاً الأزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، (مخطوط) محفوظ في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب تحت رقم (٢٥٠٠) الورقة ١١١-١١٢.

(٥) يقول الواقدي في ذلك: «كانت الهدنة حتى نقضوا العهد اثنتين وعشرين شهراً، دخل فيها مثل ما دخل في الإسلام قبل ذلك وأكثر، وفشا الإسلام في كل ناحية من نواحي العرب». المغازي، ٢/٦٢٤.

(٦) ينظر لذلك: خليفة، تاريخ، ١/٤٦-٤٧. الطبري، تاريخ، ٢/٦٤٤ وما بعدها.

وقبل أن نقف على النتيجة النهائية لوضع قريش في مكة، يعترضنا موضوع يدخل ضمن الخطر الخارجي، هو قوة اليهود التي تمركزت في خيبر وأصبحت شوكة في جنب الدولة الإسلامية. إذ ظل اليهود يُحيكون الدسائس والمؤامرات على النَّبي ﷺ والمسلمين، فخرج (عليه الصَّلاة والسلام) من المدينة على رأس قوة من المسلمين، وتمكن أن يحاصرهم ويحاربهم، فلما يئسوا من المقاومة طلبوا الصلح فصالحهم على نصف ثمر خيبر(١). وكذلك صنع يهود فدك(٢). ويهود تيماء ووادي القرى(٣). وكان ذلك في العام السابع من الهجرة.

وفي العام الثامن للهجرة أتم الله نعمته على نبيه بفتح مكة، ودخلت قريش في الإسلام ودانت لرسول الله ﷺ(٤)، ثمَّ أعقبتها بوقعة حنين، التي حقق فيها نصراً على هوازن(٥). وكان لهذه الانتصارات النبوية أثر عظيم في أن يدخل النَّاس في دين الله أفواجاً، فما كاد يحل العام التاسع من الهجرة إلاَّ وأخذت المدينة تكتظ بوفود القبائل التي جاءت تعلن إسلامها وتدين بطاعتها لرسول الله ﷺ(٦). مما يمكن أن نعدّه معجزة كبرى في تاريخ الجزيرة العربية إذ لأول مرة تنضوي معظم قبائلها تحت لواء واحد هو لواء الإسلام، وتخضع لسلطة مركزية واحدة في المدينة المنورة. ثمَّ قاد النَّبي ﷺ جيشاً قوامه ثلاثون ألف رجل تقريباً وقصد تبوك وكانت آخر أكبر حملة

---

(١) تفاصيل ذلك عند: الواقدي، المغازي، ٦٣٢/٢ وما بعدها. ابن هشام، السيرة، ٣٢٨/٢ وما بعدها. خليفة، تاريخ، ٥٠/١-٥١. الطبري، تاريخ، ٩/٣ وما بعدها.

(٢) الواقدي، المغازي، ٧٠٦/٢. ابن هشام، السيرة، ٣٥٣/٢-٣٥٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٧.

(٤) تفاصيل ذلك عند: ابن هشام، السيرة، ٤٠٦/٢ وما بعدها. خليفة، تاريخ، ٥٦/١-٥٧. أيضاً: علي بن عيسى، عجائب البلدان والجبال والأحجار، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا/كلية الآداب، رقم ١٤، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٥) تفاصيل ذلك عند: ابن هشام، السيرة، ٤٤٠/٢ وما بعدها. خليفة، تاريخ، ٥٧/١-٥٩ ينظر: Watt, Muhammad Prophet, P.٢٠٧-٢١١.

(٦) عن عام الوفود تُنظر التفاصيل عند: ابن هشام، السيرة، ٥٦٠/٢ وما بعدها. خليفة، تاريخ، ٦٥/٢-٦٦. الطبري، تاريخ، ١١٥/٣ وما بعدها. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٢٢/٢ وما بعدها.

عســكرية يقودها عليه الصَّلاة والسلام تمكن من خلالها من تأمين الحدود الشمالية للدولة الإسلامية(١).

ولمــا كان العام العاشر من الهجرة حج النَّبي ﷺ حجة الوداع، بيّن لأمته فيها مناسك هذه الفريضة، وأوصاهم بجملة من الوصايا وحمّلهم جملة مبادئ(٢). ثمَّ عاد علــيه الصَّــلاة والسلام إلى المدينة، ولم يلبث بعد ذلك طويل عهد حتى انتقل إلى الــرفيق الأعلــى، في ربــيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، فدفن في جوار مسجده الشريف(٣). في حجرة عائشة (رضي الله عنها).

٢. المدينـة في عصر الخلفاء الراشدين:

توفي رسول الله ﷺ دون أن يترك خليفة له يلي شؤون المسلمين – لكنه قدّم في مرضه أبا بكر فصلّى بالناس إماماً -(٤)، ولم يكن العرب (أهل الحجاز) قد عهدوا النظام الملكي وما يقوم عليه من وراثة أو أن يكون لأسرة الرسول ﷺ حق مقدس في الحكم، كما ظهر فيما بعد عند بعض المسلمين، لذا «علم المسلمون أنَّهُ لا يسعهم إلاَّ أن يقيموا دين الله، وعلموا أنهم لا يقدرون على إقامته إلاَّ بإمام يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ»(٥). فصار الأمر شورى عمــلاً بالنص القرآني ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى/٣٨).

وقد عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة ضمّ أول الأمر وجهاء الأنصار من أهل المدينة الذين رشحوا سعد بن عبادة لزعامتهم، «قال ابن إسحاق: لما قبض رسول

(١) عن غزوة تبوك وحيثياتها ينظر: ابن هشام، السيرة، ٥١٥/٢ وما بعدها. خليفة، تاريخ، ٦٤/٢-٦٥، الطبري، تاريخ، ١٠٠/٣-١١١.

(٢) عن تفاصيل حجة الوداع والخطبة يُنظر: ابن هشام، السيرة، ٦٠١/٢-٦٠٥. الطبري، تاريخ، ١٤٨/٣-١٥٢. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٧٢/٢، وغيرها.

(٣) عن وفاة الرسول ﷺ ودفنه يراجع: ابن هشام، السيرة، ٦٥٢/٢-٦٥٥. خليفة، تاريخ، ٦٨/١-٧٠. الطبري، تاريخ، ١٩٩/٣-٢٠٣.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٦٥٢/٢-٦٥٤. الطبري، تاريخ، ١٩٦/٣-١٩٧.

(٥) الأزكوي، كشف الغمة، الورقة/١٦٢.

الله ﷺ انحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة»[1]، ولما انضم إليهم المهاجرون وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ﷺ زاد بينهم وبين الأنصار التشاور، وكان للمهاجرين حججهم القوية، وكان من كلام أبي بكر أنَّهُ أثنى على الأنصار خيراً، ولكنه أدرك ببعد نظره أن وحدة الكلمة تتم باجتماعهم على رجل من قريش، وكان مما قاله للأنصار: «أمَّا ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل. ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. وأخذ بيد عمر وأبو عبيدة»[2]، ثمّ لما رأى الأنصار أن ما يذكره المهاجرون أقوى حجة، قال قائلهم: «منا أميرٌ ومنكم أميرٌ،...[3] ولكن عمر ﷺ وبعد أخذ وردّ ومخافة الاختلاف، تقدم فبايع أبا بكر ﷺ «ثمّ بايعه المهاجرون، ثمّ بايعه الأنصار...»[4]، وهكذا كانت هذه البيعة سابقة تاريخية شهدتها المدينة المنورة لانتخاب خليفة لرسول الله ﷺ عرفت بالبيعة الخاصة.

ثمّ لما كان اليوم التالي بويع أبو بكر في مسجد رسول الله ﷺ بيعة عامة، وخطب خطبة مشهورة بيّن فيها المبادئ الأساسية التي سيسير عليها في الحكم وهي في الواقع بعض الأسس التي دعا إليها الإسلام[5]. وقد قام أبو بكر ﷺ بالأمر خير قيام فكان بحق الرَّجل المناسب في الوقت المناسب وفي المكان المناسب.

وكان من بين المهام التي اضطلع فيها في خلافته أنَّهُ وجَّهَ جيش أسامة بن زيد إلى حيث أمر رسول الله ﷺ قبيل وفاته، وبذلك أظهر قوة المسلمين على الرغم من

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٦٥٦/٢. قارن: الطبري، تاريخ، ٢٠١/٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٦٥٩/٢. أيضاً: الطبري، تاريخ، ٢٠٥/٣-٢٠٦.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٦٦٠/٢، الطبري، تاريخ، ٢١٠/٣، وينظر عن بيعة السقيفة:
Muhammad Ali, Early Caliphate, Lahore, Pakistan, ١٩٥١, P.١٤-١٧.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٦٦٠/٢، الطبري، تاريخ، ٢١٠/٣، وينظر عن بيعة السقيفة:
Muhammad Ali, Early Caliphate, Lahore, Pakistan, ١٩٥١, P.١٤-١٧.

(٥) نص الخطبة التي ألقاها أبو بكر مستهل خلافته عند: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢١٢/٣. الطبري، تاريخ، ٢٢٤/٣-٢٢٥.

الأخطار التي أحاطت بالمدينة[١].

ومن الأعمال المهمة الأخرى التي تمت في عهد الخليفة الصديق، هو القضاء على حركات الردّة، فقد أعد أبو بكر الجيوش، وسيّرها لمقاتلة المرتدين[٢]. وما هي إلاّ بضعة شهور حتى قضى على المرتدين، وعاد للجزيرة العربية استقرارها ووحدتها، وثبتت أركان الدولة على يد الخليفة أبي بكر بعد أن أصابها نوع من التصدع بعد وفاة النّبي ﷺ. ثمّ كانت الخطوة الثالثة وهي توجيه الجيوش من الجزيرة العربية تحمل راية الإسلام لتنشر مبادئ هذا الدين في الأقاليم المجاورة، فبدأت موجة التحرير في عهد أبي بكر تجاه العراق والشام، واستمرت من بعده في ارتفاعها واشتدادها. وقبيل وفاته عهد إلى عمر بن الخطاب ﷺ بالخلافة[٣].

وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، صارت المدينة المنورة مركزاً إدارياً وسياسياً لدولة مترامية الأطراف فقد أصبح العراق والمشرق بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية، فضلاً عن بلاد الشام ومصر وبعض من الشمال الأفريقي ولايات تابعة للمدينة التي كانت توجه منها الجيوش وتصدر منها أوامر الخلافة إلى القادة والولاة. ولقد مثلت المدة التي حكم فيها الخليفة عمر ﷺ أعلى موجة من حروب التحرير والفتوحات في عهد الراشدين[٤].

شهدت المدينة ظهور بعض المؤسسات الإدارية والمالية والعسكرية، وفيها أقرت نظم إدارة البلاد المحررة والمفتوحة، فقد أُنشئ ديوان الجند وهو السجل الذي حفظت فيه أسماء المقاتلة وأهلهم. وتقرر في ضوء ذلك شملهم بالعطاء[٥]. كما قرر

(١) ينظر: خليفة، تاريخ، ٧٩/١. أيضاً: الطبري، تاريخ، ٢٤١/٢.

(٢) تفاصيل ذلك عند: الطبري، تاريخ، ٢٤٩/٢ وما بعدها. وينظر:
Muhammad Ali, Early Caliphate, P.٣٩-٤٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤٢٨/٣-٤٣١.

(٤) ينظر على سبيل المثال: خليفة، تاريخ، ١١٢/١ وما بعدها. علي بن عيسى، عجائب البلدان، ص ٤٥٨-٤٥٩. أيضاً: البلاذري، فتوح، ص١١٥ وما بعدها، ص٢٤٢ وما بعدها. ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ١٧٠/١، ١٨٢، ٢٠٩، ٢٥٥ وغيرها.

(٥) الطبري، تاريخ، ٦١٣/٣-٦١٥. وينظر أيضاً ما يتعلق بالحياة الاقتصادية للمدينة في هذا الفصل.

عمـــر ﷺ إبقـــاء الأراضي المحررة بيد أهلها وفرض الخراج عليها – كما سيأتي بيان ذلك – ثمَّ إن الخليفة أعاد النظر في تقسيمات الدولة العربية الإسلامية وذلك بسبب اتساع رقعتها وكثرة سكانها الذين دخلوا في الإسلام أو خضعوا لسلطانه. إذ جعلها أقســـاماً إداريـــة كبيرة ليسهل حكمها والإشراف عليها[١]، أمَّا المدينة نفسها فقد شـــهدت تنظـــيمات وخدمات شتى، وسعى الخليفة عمر ﷺ إلى توفير الأمن فيها وأوجد نظام العسس وقيل أنَّهُ «كان يعس بنفسه»[٢].

وفي أواخـــر سنة ٢٣ هجرية قتل الخليفة عمر ﷺ في المدينة، قتلته يد أجنبية آثمـــة حقودة هي يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي، وكان عمر ﷺ قائماً يصلي، ومكث ثلاثة أيام تقريباً، يعاني آلام جرحه ثمَّ لبى نداء ربه في أواخر ذي الحجة من سنة ٢٣ هجرية[٣].

ثمَّ انتخب عثمان بن عفان ﷺ خليفة للمسلمين فمكث في الخلافة اثنتي عشرة ســـنة، ســـار فيها سيرة حسنة[٤]، وقام بأعمال جليلة، لعل من أبرزها جمع القرآن الكـــريم وتدويـــنه، وذلك بتكليفه للجنة يرأسها أحد الصحابة المدنيين هو زيد بن ثابـــت ﷺ[٥]. وفي عهـــده كانت فتوحات عظيمة منها فتح أرمينية وشمال أفريقية وقبرص وغيرها.

وبعـــد مضي عدة سنوات من خلافته سادت ظروف معينة في الدولة العربية الإســـلامية منها أن حروب التحرير والفتوحات توقفت، وتنامى التيار القبلي الذي حســـد قريش على ما هي عليه من المكانة السياسية والاقتصادية، فضلاً عن وجود

---

(١) لبيد إبراهيم، الخلافة الراشدة، دار الحكمة، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٠٦.

(٢) الطبري، تاريخ، ٤/٢٠٥.

(٣) تفاصـــيل ذلك عند: الطبري، تاريخ، ٤/١٩١-١٩٤. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٥٠، ابـــن الطقطقـــي، محمـــد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بلا.ت، ص٩٦.

(٤) تفاصـــيل ذلك عند: الطبري، تاريخ، ٤/٤١٩-٤٢٢، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكـــر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٩، ص١٤٨ وما بعدها.

(٥) يراجع فصل علوم القرآن.

عناصر يهودية تظاهرت بالإسلام وأخذت تحرّض على الخليفة بحجج واهية(١). وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ(٢). الذي وسّع من دائرة دسه وتحريضه، حتى أصبح له دعاة بثهم في مختلف الجهات(٣).

وبعد تنامي مثل هذا التيار المعارض للخلافة تواعد بعض رجال القبائل التي سكنت الأمصار في موسم الحج من الكوفة والبصرة ومصر، وحاصروا الخليفة في بيته وطلبوا منه أن يخلع نفسه فرفض ذلك(٤). وبعد حصار دام ما يقرب من أربعين يوماً(٥)، قتل الخليفة عثمان ﷺ شهيداً في أواخر سنة ٣٥ هجرية(٦).

ولما آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب ﷺ بعد أن بايعه عدد من الصحابة...، كان عليه أن يعالج الظرف الجديد الصعب الذي نشأ عن مقتل الخليفة عثمان ﷺ، وقد واجه الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ الموقف بحزم، غير أنَّهُ وجد نفسه في مواجهة بعض الأطراف التي تأولت بعض الآراء في مقتل الخليفة عثمان ﷺ وتطور الموقف إلى مواجهات عسكرية(٧)، وهي وإن لم تكن من السعة والشمولية كما تصورها بعض المصادر، فقد كانت قليلة الخسائر محدودة المخاطر، غير أنها سببت فرقة في كلمة المسلمين وصفّهم.

وبخروج الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ من المدينة (مستهل خلافته) لم يعد

---

(١) ينظر عن أسباب الفتنة وأساليبها وتطوراتها ضد الخليفة عثمان ﷺ: العمر، سمير صالح، عثمان بن عفان...، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٩٠، ص١٥٤ وما بعدها.

(٢) عن تحركات ابن سبأ وتحريضه ينظر: الطبري، تاريخ، ٤/٢٨٣، ٤/٣٢٦-٣٢٧، ٤/٣٣٣ و٣٤٠-٣٤١. أيضاً: العمر، عثمان بن عفان، ص١٥٤ وص١٩٤.

(٣) ينظر: لبيد إبراهيم، الخلافة الراشدة، ص١٥٣. أيضاً: العمر، عثمان بن عفان، ص١٩٤ وما بعدها.

(٤) خليفة، تاريخ، ١/١٨٣ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٤/٣٧٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ٤/٣٧١.

(٦) خليفة، تاريخ، ١/١٨٨-١٨٩. الطبري، تاريخ، ٤/٣٧٩ وما بعدها. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٥١.

(٧) تفاصيل ذلك عند: خليفة، تاريخ، ١/١٩٩ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٤/٥٠٦ وما بعدها، وص٥٦٣ وما بعدها.

إلـــيها ثانية فقد اتخذ من الكوفة عاصمة للدولة[١]. وبذلك فقدت المدينة مكانتها السياســية عاصـــمة للدولة، بل إن الحجاز بصورة عامة تراجع عن مركز الصدارة الإداريـــة السياســية، حتى صار إقليماً عادياً من أقاليم الدولة، بعد أن كان في يده القيادة والتوجيه.

لقـــد كـــان للحروب التي خاضها الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في مواجهة خصـــومه السياسيين أثر في تدبير مؤامرة لاغتياله من قبل الخوارج، وقد نفذت هذه المؤامرة وقتل في رمضان من سنة ٤٠ هجرية[٢].

٣. المدينة في العصر الأموي:

أهم ما يُلاحظ على وضع المدينة السياسي والإداري في هذا العصر أنها فقدت سياستها عاصمة لأقاليم الدولة العربية الإسلامية.

وقـــد أســـلفنا القـــول إن الخلـــيفة علي بن أبي طالب ﷺ خرج من المدينة واستخلف عليها تمام بن العباس، ثمّ سهل بن حنيف وذلك سنة ٣٦ هجرية[٣]. ولم يعد إليها بعد ذلك إذ اتخذ الكوفة عاصمة له، إلى أن قُتل فيها شهيداً.

ولمـــا اجتمعت كلمة المسلمين على معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هجرية[٤]، اتخـــذ مـــن دمشق مقراً للخلافة كما كانت من قبل مقراً لولايته، وبذلك أصبحت المديـــنة أحـــد الأقالـــيم التابعة للخليفة الأموي بدمشق، فصار يعيّن عليها الولاة ويعزلهم. وفقدت المدينة زعامتها السياسية التي كانت تتمتع بها طوال حكم الخلفاء الراشدين، إذ كانت عاصمة الدولة الإسلامية، وكان من بين ولاتها في خلافة معاوية: مروان بن الحكم (٤١-٤٩)[٥]، وسعيد بن العاص (٤٩-٥٤هـ)[٦].

وبعد وفاة الخليفة معاوية وإعلان ابنه يزيد خليفة أعلن أهل المدينة رفضهم لهذا

---

(١) الطبري، تاريخ، ٤/٤٥٥.

(٢) خليفة، تاريخ، ١/٢٢٧. الطبري، تاريخ، ٥/١٤٣-١٥٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤/٤٥٥ أيضاً. خليفة، تاريخ، ١/٢٣٢.

(٤) خليفة، تاريخ، ١/٢٣٤. الطبري، تاريخ، ٥/١٦٢-١٦٤.

(٥) خليفة، تاريخ، ١/٢٣٥. الطبري، تاريخ، ٥/١٧٢ و٢٣٢.

(٦) الطبري، تاريخ، ٥/٢٢٢، ٢٩٣.

الإجراء، وأعلنوا خلعهم ليزيد وكان على رأسهم «عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولــوه علــيهم»[١] وهــو مــن الأنصار، ثمَّ إنهم أخرجوا «عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة»[٢]، فأرسل عليهم يزيد بن معاوية جيشاً علــى رأســه مسلم بن عقبة المريّ[٣]، فسحق المعارضة فيما عُرف بوقعة الحرّة[*] وذلــك ســنة ٦٣ هجرية[٤]. وثاني أحداث المعارضة الحجازية كانت حركة عبد الله بــن الزبير التي بدأها أبان خلافة يزيد بن معاوية فلما مات الأخير أعلن عبد الله نفســه خليفة بمكة. وكانت المدينة مثلت إحدى مراكز قوته فولى عليها أخاه عبيدة بن الزبير[٥]، وقد دامت حركة ابن الزبير نحو تسع سنوات من إعلانه لنفسه خليفة سنة ٦٤ هجرية، إلى مقتله سنة ٧٣ هجرية[٦]، بقيت المدينة فيها موالية لابن الزبير، فلمــا قتل عادت ثانية إلى طاعة الأمويين[٧]. وبعد أن استقرت الأوضاع في المدينة، عــادت العلاقــات طبيعية بين الخلافة الأموية وأهل المدينة، وذلك في خلافة عبد الملــك (٦٥-٨٦هـ). ولما آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك، ولى رجلاً من الأنصار هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على المدينة، وذلك في رمضان سنة (٩٦هـ)[٨]، ويعلق فلهاوزن على هذا التعيين بقوله: «إنَّهُ يمثل من ناحية ميل الخليفة

---

(١) ن.م، ٥/٤٨٠.

(٢) ن.م، ٥/٤٨٢، أيضاً: خليفة، تاريخ، ١/٢٩٠.

(٣) خليفة، تاريخ، ١/٢٩٠-٢٩١. الطبري، تاريخ، ٥/٤٨٣-٤٨٧.

(*) واقعة الحرّة (يوم الحرّة): وقائع المعركة التي دارت بين الجيش الأموي وعليه مسلم بن عقبة المريّ، وبــين أهل المدينة وعليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هجرية. ينظــر تفاصــيلها عــند: الطــبري، تاريخ، ٥/٤٨٤ وما بعدها. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٤.

(٤) تفاصيل ذلك عند: خليفة، تاريخ، ١/٢٩١ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٥/٤٨٧-٤٩١ و٤٩٥ وما بعدها. علي بن عيسى، عجائب البلدان (مخطوط)، ص٤٦٢.

(٥) الطــبري، تــاريخ، ٥/٥٣٠. أيضاً: الدويهي، اسطيفانوس، تاريخ المسلمين، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب – جامعة بغداد، رقم (١٣)، ص٢٠.

(٦) الطبري، تاريخ، ٦/١٨٧-١٩٣.

(٧) ن.م، ٦/١٩٢-١٩٤.

(٨) خليفة، تاريخ، ١/٤٢٨. الطبري، تاريخ، ٦/٥٠٥.

سليمان إلى أهل الديانة والصلاح، ومن ناحية أخرى التقرب من (أهل المدينة)...»[١]. ولما جاء عمر بن عبد العزيز للخلافة أقرّ أبا بكر بن حزم على ولاية المدينة المنورة[٢]، والواقع فإن الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية كانوا يسعون جادين لنيل رضا أهل المدينة لما يعلمون من مكانة أهلها في نفوسهم وفي نفوس المسلمين، ولكون المدينة مثوى رسول الله ﷺ، وأحد الحرمين، فكانوا يتقربون إليهم بالأعطيات والهبات -كما سيأتي- كما كانوا في الوقت نفسه يحثوهم على الطاعة ولزوم الجماعة.

المدينة في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٠٠هـ):

أصبحت المدينة المنورة تحت الحكم العباسي بعد سقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢هجرية، وقد بعث عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبَّاس من دمشق عند دخوله إياها بـ«حسين بن جعفر بن تمام بن العباس فخرج عنها واليها يوسف بن عروة بن محمد بن عطية»[٣].

غير أن أبا العباس أول الخلفاء العباسيين ولّى من قبله عمه داود بن علي على المدينة ومكة والطائف[٤]، ولكن ما لبث أن مات بعد مدة وجيزة. وولى مكانه خاله زياد بن عبيد الله حتى مات أبو العباس[٥].

وفي خلافة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) ظهر طموح العلويين من الفرع الحسني بالخلافة، وقد اتخذت المدينة من قبل محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية أحد مراكز المعارضة، وقد أعلن محمد النفس الزكية الثورة على المنصور في المدينة وذلك «في رجب سنة خمس وأربعين ومائة»[٦] ولكن حركته هذه فشلت مما

---

(١) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٥٦.

(٢) خليفة، تاريخ، ٤٦٤/٢.

(٣) ن.م، ٦٣١/٢.

(٤) ن.م، ٦٣١/٢. الطبري، تاريخ، ٤٥٨/٧-٤٥٩.

(٥) خليفة، تاريخ، ٦٣١/١. الطبري، تاريخ، ٤٥٩/٧، ٥١١.

(٦) خليفة، تاريخ، ٦٧٢/٢.

جعل الخليفة المنصور يتشدد نوعاً ما على بعض الخارجين(١).

غير أن سياسة الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) كانت عكس سياسة أبيه، فقد أظهر التودد لأهل المدينة وخصّهم بعطايا كثيرة(٢). وشهدت خلافة الهادي (١٦٩-١٧٠هـ) خروج أحد العلويين في المدينة ضد الحكم العباسي، وهو الحسين بن علي بن الحسن، وذلك سنة (١٦٩هـ)، فدعا لنفسه «وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة في المدينة»(٣). غير أن معظم أهل المدينة لم يؤيد الحركة، إذ «أغلقوا أبوابهم»(٤). فخرج حسين الحسني من المدينة بعد أن مكث فيها «أحد عشر يوماً»(٥). وتوجه إلى مكة فلما كان بفخ(*)، التقتهُ جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي، فقتل حسين بن علي بن الحسن، وجماعة من أصحابه وبذلك انتهت هذه الحركة(٦).

وتابع الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) سياسة والده المهدي في وصل أهل المدينة – فضلاً عن أهل مكة – بالأعطيات الكثيرة، وكان يكثر الرحلات إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة قبر النَّبي ﷺ(٧)، وكان يلقى علماء المدينة ويجالسهم ويأخذ عنهم، لاسيما من الإمام مالك بن أنس (رحمه الله)(٨). وقد عين الخليفة الرشيد ولاة أكفاء من ذوي السيرة الحسنة وكان بعضهم من أهل المدينة

---

(١) الطبري، تاريخ، ٧/٦٠٣.

(٢) ينظر الحياة الاقتصادية في هذا الفصل.

(٣) تفاصيل ذلك عند: الطبري، تاريخ، ٨/١٩٢ وما بعدها. الحموي، معجم البلدان (ط صادر)، ٤/ ٢٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ٨/١٩٤-١٩٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ٨/١٩٤-١٩٥.

(*) «فخ»: واد بمكة، قيل: وادي الزاهر فيه، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ٣/١٠١٩.

(٦) الحموي، معجم البلدان (ط صادر)، ٤/٢٣٦.

(٧) ينظر على سبيل المثال: الطبري، تاريخ، ٨/٢٣٩ و٢٦١ وغيرها.

(٨) ينظر: عياض، القاضي عياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الرباط، ١٩٦٥، ٢/٢٣-٢٤.

نفسها أمثال عبد الله بن مصعب بن الزبير، وبكار (أبي بكر) ابنه... وغيرهم[١] وبمجمل القول فإن المدينة كانت على أحسن حال في خلافة الرشيد.

وبعد وفاة الخليفة الرشيد واستخلاف ولده الأمين (١٩٣-١٩٨هـ) بقي آخر ولاة المدينة في عهد الرشيد على عمله في خلافة الأمين وهو داود بن عيسى بن موسى[٢]. غير أنَّهُ ما لبث أن غيّر ولاءه إلى المأمون بعد أن اضطربت الأمور بينهما.

ولما استقرت أمور الدولة للمأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، قامت حركة علوية قادها (أبو السرايا) انطلقت من الكوفة ولكنها امتدت إلى الحجاز الذي شهد مواجهة عسكرية بين العباسيين والعلويين، لكن العلويين تمكنوا من السيطرة على مكة والمدينة، فقد دخل محمد بن سليمان بن داود بن الحسن الطالبي المدينة وخرج عنها الوالي العباسي وبقي الأمر على ذلك حتى انتهت سنة ١٩٩ هجرية[٣]. ولما دخلت سنة ٢٠٠ هجرية كان قد قضي على أبي السرايا وأخفقت حركته في الحجاز وعادت المدينة إلى ولائها للعباسيين.

الحياة الاقتصادية ومستوى المعيشة في المدينة (ق١ وق٢هـ):

يعتمد النشاط الاقتصادي في المدينة قبل الإسلام – في معظمه – على الزراعة، وتشتهر المدينة بالنخيل، وكان تمر المدينة يسد الحاجة المحلية ويصدر الفائض إلى أماكن أخرى، وبعضه يبلغ حدّ الجودة كالصيحاني، والعجوة...[٤]، وإلى جانب التمور تشتهر المدينة بالشعير وأنواع أخرى من الحبوب، ويأتي الرعي بالدرجة الثانية بعد الزراعة، أمَّا الصناعة والتجارة فنطاقهما أقل من الزراعة بكثير[٥]. وفي القرن الأول الهجري بدخول الإسلام إلى المدينة ظلت بعض أنواع النشاط الاقتصادي

---

(١) الطبري، تاريخ، ٣٤٦/٨. وانظر قائمة الولاة في هذا الفصل.

(٢) الطبري، تاريخ، ٤١٧/٨.

(٣) تفاصيل حركة أبي السرايا: الطبري، تاريخ، ٥٢٨/٨ وما بعدها. ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٢٠.

(٤) ينظر للمزيد: البخاري، صحيح، ٥٧/٣-٥٨. الزركشي، أعلام الساجد، ص٢٦٢-٢٦٤. الحموي، معجم البلدان، ٨٢/٥.

(٥) ينظر: الشريف، دور الحجاز، ص٦٠-٦٣.

قائمة لكن وضع المدينة شهد تغيراً كبيراً في العهود الإسلامية المتعاقبة، فالمدينة منذ أن هاجر إليها النَّبي ﷺ أصبحت قاعدة الإسلام، وعاصمة الدولة التي أخذت بالنمو والازدهار في عهدي النبوة والخلافة الراشدة.

فقد تقررت مبادئ مالية جديدة في ضوء الإسلام وأخذت الدولة تعتمد على موارد مالية متعددة، كالغنائم، والفيء و(الخراج)، والجزية، والزكاة (الصَّدقات)[١] وغيرها. وبما أن المدينة هي مركز الدولة – كما أسلفنا – وأنها ظلت كذلك إلى سنة ٣٧ هجرية، فإن جزءاً كبيراً من هذه الموارد كان يأتي إلى المدينة.

ففي عهد الرسول ﷺ غنمت أموال يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة[٢]، وصولح يهود خيبر على نصف غلاتهم، وكذلك أهل فدك ووادي القرى، أمَّا أهل تيماء فإنهم صالحوا النَّبي ﷺ على دفع الجزية[٣]، وجرت بعد ذلك عقود صلح مماثلة بين رسول الله ﷺ وبعض رؤساء المدن المتاخمة لبلاد الشام على مقادير معينة من المال سنوياً، ومنهم: صاحب أيلة، وأهل أذرح، وأهل جرباء، وغيرهم[٤].

ودخلت البحرين في الإسلام ما بين سنة ٨ و٩ هجرية[٥] فحملت منها الأموال الزائدة عن حاجتها المحلية إلى المدينة (أموال الصَّدقات)، فكانت بحدود ٧٠ ألف درهماً، وقيل ١٨٠ ألفاً، وربَّما ذلك في سنتين مختلفتين[٦]. وفرضت على أهل

---

(١) الآيات المتعلقة بأحكام هذه الموارد المالية في: سورة الأنفال/٤ و٤١ والتوبة/٢٩، الحشر/٦-٧ وغيرها.

(٢) تفاصيل ذلك عند: ابن هشام، السيرة، ١/٦٤١-٦٤٢، ٢/١٩٢-١٩٣، ٢/٢٣٣-٢٤٤. الطبري، تاريخ، ٢/٤٥٨-٤٥٩، ٤٨١، ٥٨١.

(٣) تفاصيل ذلك: البلاذري، فتوح، ٣٦-٣٧، ٤٢، ٤٧-٤٨. الطبري، تاريخ، ٢/١٥٥، ١٩-٢١.

(٤) البلاذري، فتوح، ص٧١-٧٤. الطبري، تاريخ، ٢/١٠٨-١٠٩.

(٥) ينظر: النجم، عبد الرحمن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣، ص١٠١-١٠٣.

(٦) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ)، المحبَّر، دائرة المعارف العثمانية – الهند، ١٣٦١هـ، ص٧٧. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ) البدء والتاريخ، باريس، ١٩١٦، ٥/٢٥.

نجران جزية سنوية في سنة ١٠ هجرية فكانت ألفي حلة من فضة[١].

هـــذه الأموال وغيرها مما حمل إلى المدينة عملت بلا شك على رفع مستوى المعيشة فيها، حتى أنَّهُ تقرر في أصول التشريع الإسلامي أن من لا يملك مائتي درهم فإنَّه يُعطى من الزكاة[٢].

وفي عهـــد الخليفة أبي بكر ﷺ زادت الأموال الواردة إلى المدينة إذ «قدم عليه مال من معدن القبليّة ومن معادن جهينة كثير، وانفتح معدن بني سليم في خلافته»[٣] فضـــلاً عما كان يرد في العهد النبوي واستمر في عهده، فاستحدث في عهده بيت المـــال وعيّن عليه خازن، وكان الخليفة الصديق يقسم ذلك بين النَّاس «فيسوي بين النَّاس في القسم الحرّ والعبد، والذكر والأنثى والصغير والكبير سواء»[٤]. ولما توفي لم يوجد في بيت المال شيء فكان يقسمه على النَّاس حال وروده.

ولمـــا اتســـعت حركة التحرير والفتوح في عهد الخليفة عمر ﷺ، ودخلت في حظـــيرة الدولـــة العربية الإسلامية أقاليم جديدة غنية بمواردها الاقتصادية كالعراق والشـــام ومصـــر. زادت نســـبة الأموال الواردة إلى المدينة (العاصمة) من الخراج والعشـــور والجـــزية، وأموال الصلح، وغنائم الحروب وغير ذلك، فكان ذلك من الأسباب التي دفعت الخليفة عمر ﷺ إلى إنشاء الديوان وفرض العطاء للناس، وكان لأهل المدينة النصيب الأوفر من العطاء[٥].

---

(١) البلاذري، فتوح، ص٧٥-٧٨، وقال (الحلة أربعون درهماً).

(٢) ينظـــر للمـــزيد: المـــرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٩٣هـ)، الهداية شرح بداية المبتدئ، البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٥، ١٠٣/١ وما بعدها. أيضاً الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ)، سبل السلام شرح بلوغ المرام...، دار الحديث، القاهرة، بلا.ت، ٦٠١/٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ١٥١/٣.

(٤) ن.م، ١٥١/٣. أبـــو يوســـف، يعقـــوب بـــن إبراهيم القاضي (ت ١٨٢هـ)، الخراج، المطبعة الســـلفية، القاهـــرة، ١٣٥٢هـ، صـــ٤٢. الـــيعقوبي، أحمـــد بـــن أبي يعقـــوب، (ت ٢٨٤هـ)، التاريخ، بيروت، ١٩٦٠، ١٣٤/٢.

(٥) تفاصـــيل الجانب المالي وفرض العطاء في خلافة عمر يراجع: أبو يوسف، الخراج، ص٤٣-٤٤، ابـــن سعد، الطبقات، (ط ليدن) ج٣ ق١ ص٢١٣-٢١٩. البلاذري، فتوح، ص٤٧٥. الطبري، تـــاريخ، ٦١٤/٣. أيضـــاً: الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ط٤، دار الطليعة، =

وعلى الرغم من أن موجة التحرير والفتوحات قد خفت في خلافة عثمان ﷺ، إلاّ أن الأموال ظلت تتدفق على المدينة سواء من الخراج أو العشور أو الجزية أو أموال الصلح مع المدن المغلوبة، فالبلاذري يذكر مثلاً أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح، «صالح بطريق أفريقية بعد فتحها في عهد الخليفة عثمان ﷺ على ثلاثمائة قنطار من الذهب» وفي رواية أخرى «على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف»[1] أي مليونين ونصف دينار ذهب. ومن الطبيعي أن يأخذ بعض هذه الأموال طريقه إلى المدينة.

واستمر عطاء أهل المدينة في خلافتي عثمان وعلي (رضي الله عنهما) على ما كان عليه في خلافة عمر، غير أن غنائم الفتوح تناقصت في خلافة عثمان كثيراً، وتلاشت في خلافة علي تقريباً، ثمّ إن علياً ﷺ انتقل عن المدينة سنة (٣٧ هجرية) – كما أسلفنا – فلم تعد هي العاصمة بل صارت الكوفة عاصمة الدولة، فصارت واردات الدولة توجه إلى هناك.

وعلى أية حال فإن مستوى المعيشة في العهد الراشدي قد طرأ عليه تغير كبير عما كان عليه من قبل، فمنذ خلافة عثمان ﷺ انعكس الثراء على طبيعة الحياة المعيشية، إذ اتخذت الدور والقصور مما لم يكن معروفاً في عهد عمر ﷺ، يقول المسعودي: «وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور»[2]، وترك بعض الصحابة ثروات لا بأس بها بعد وفاتهم، وكانت ثروة الموسرين منهم ذات أثر اجتماعي طيب لأهل المدينة من ذويهم أو غيرهم. فيذكر أن طلحة بن عبيد الله

= بيروت، ١٩٨٢، ص١٥-١٨. العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة...، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩، ص١٤٨-١٤٩. والعطاء في الحجاز، مستل من المجلد (٢٠) من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٧٠، ص٦ وما بعدها. إلياس، عبد الوهاب خضر، نظام العطاء الإسلامي، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب/جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص٤٦ وما بعدها. محمد عمارة، «عمر والتشريع الاقتصادي»، عمر نظرة عصرية جديدة، ص٤٥-٤٦ وغيرها.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢/٣٣٢.

التيمـــي كان «لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلاّ كفاه مؤونته ومؤونة عياله، وزوّج أياماهم، وأخدم عائلهم وقضى دين غارمهم، ولقد كان يرسل إلى عائشة إذا جاءت غلته بعشرة آلاف، ولقد قضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف دينار...»[١].

وعلى الرغم من انتقال عاصمة الخلافة في العصر الأموي من الكوفة إلى دمشق إلاّ أن الأمـــوال لم تـــنقطع عن المدينة، وقد أملت الظروف السياسية ومكانة أهل المديـــنة علـــى الأمويين مراعاة هذا الجانب، فقد عرف عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أنَّهُ كان يكثر من عطاياه لأهل المدينة[٢].

وعـــندما جـــاء يزيد بن معاوية للحكم استن سنّة أبيه في إعطاء أهل المدينة لكســـب ودّهـــم، فعندما قدم عليه وفد من أهل المدينة «أكرمهم وأحسن إليهم، وأعظـــم جوائزهم...»[٣]. ولكن بعد قيام حركة عبد الله بن الزبير في الحجاز قطع العطـــاء والمســـاعدات المالـــية عن أهل المدينة، واستمر ذلك معظم خلافة عبد الـــملـــك (٦٥-٨٦هـ) وهـــو القائـــل في ذلك: «ما فرضنا لأحد منذ كان هذا الأمر»[٤]، ويعني به حركة ابن الزبير. غير أنَّهُ أعطى بعض الشخصيات المدنية[٥].

إلاّ أن الخلـــيفة الولـــيد غيّر من سياسة أبيه، فعندما زار المدينة سنة (٩١هـ)، «قسّم بالمدينة رقيقاً كثيراً بين الناس، وآنية من ذهب وفضة، وأموالاً»[٦].

كما أن الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما زار المدينة سنة (٩٧هـ) فعل مثل فعلة أخيه الوليد، وأكثر إذ «قسّم بين أهل المدينة قسماً وفرض لقريش خاصة أربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها حليفاً ولا مولى، فأجمع رأي مشيخة قريش أن جعلوها

(١) للوقـــوف علـــى ذلك يراجع: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٣/١٥٧-١٥٨. المسعودي، مروج الذهب، ٢/٣٣.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ٥/١٦٠.

(٣) ن.م، ٥/٤٨٠.

(٤) البســـوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ)، المعرفة والتاريخ، تحـ. أكرم العمري، بغداد، ١٩٧٤، ١/٦٢٨. أبـــو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ٣/٣٦١-٣٦٢.

(٥) العلي، العطاء في الحجاز، ص٢٢.

(٦) الطبري، تاريخ، ٦/٤٦٦. أيضاً: اليعقوبي، التاريخ، ٢/٢٨٥.

لحلفائهم ومواليهم... ففرض لهم أربعة آلاف فريضة أخرى»[١].

أمَّا الخليفة عمر بن عبد العزيز فإنَّه «أخرج ثلاثة أعطيات لأهل المدينة في سنتين وخمسة أشهر»[٢]، كما أنَّهُ كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن حزم «أن افرض للناس إلاّ لتاجر»[٣].

وفي العصر العباسي الأول (القرن الثاني للهجرة) لا يكاد يختلف الأمر عما هو عليه الحال في العصر الأموي، فقد أولى خلفاء بني العباس إقليم الحجاز عناية خاصة، وبذلوا جهوداً كبيرة للتقرب من أهله، واعتنوا بأمر العطاء[٤]، يذكر البلاذري أن الخليفة المنصور «شخص إلى الحجاز سنة أربعين ومائة، فأعطى لأهل المدينة عطاءاً كاملاً، وقسّم فيهم مالاً»[٥]. وأن الخليفة المهدي قام ببعض الأعمال الجليلة في المدينة منها توسيعه مسجد الرسول ﷺ فيها، ثمّ إنه «فرّق في حجه بمكة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم سوى ما حمل من مال مصر واليمن...»[٦]، إذ وصلت إليه من مصر «ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار، فقسّم ذلك كله...»[٧]، وربَّما ذلك غير الذي أعطاه سنة ١٦٤ هجرية إذ قسّم المهدي في هذه السنة «قسماً على يد المغيرة بن خبيب... وكان عدد النَّاس الذين اكتتبوا ثمانين ألف إنسان»[٨].

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ٢٩٨/٢، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ليدن، ١٨٦٩، ٢٤/٣. وينظر: الفراجي، عدنان علي، الخلافة الأموية (٩٦-١٠٥هـ)، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٧، ص٧٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٥٥/٥. وينظر: الفراجي، الخلافة الأموية، ص٧٧-٧٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٥٥/٥. وينظر: الفراجي، الخلافة الأموية، ص٧٧-٧٨.

(٤) ينظر: العلي، العطاء في الحجاز، ص٣٣.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي)، ٨٥/٣. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٨٣. ولكن يلاحظ أن العطاء قطع في عهد المنصور في حركة محمد النفس الزكية.

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ، ٩٦/٦.

(٧) الطبري، تاريخ، ١٣٣/٨.

(٨) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١١١/١.

وأثـــر عـــن الرشيد مثل هذا التوجه في وصل أهل المدينة بالمال، فقد ذكر أنَّهُ حـــج ســـنة ١٧٠ هجـــرية «فأعطى أهل الحرمين عطاءاً كثيراً، وقسّم فيهم مالاً جلـــيلاً...»[١]، وفعل كذلك في سنة أربع وسبعين ومائة «حج بالناس فيها هارون الرشيد، فبدأ بالمدينة، فقسم في أهلها مالاً عظيما...»[٢].

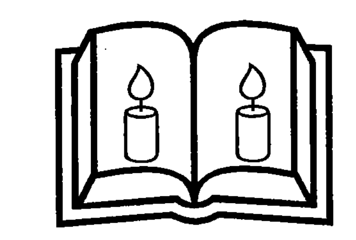
وأكثـــر من ذلك ما فعله سنة ١٨٦ هجرية «وكان أيضاً حج بالناس في هذه الســـنة ومعه ابناه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فبدأ بالمدينة، فأعطى أهلها ثلاثة أعطيات، كانوا يقدمون إليه فيعطيهم عطاء، ثمَّ إلى محمد فيعطيهم عطاءاً ثانياً، ثمَّ إلى المأمـــون فيعطيهم عطاءاً ثالثاً، ثمَّ صار إلى مكة فأعطى أهلها، فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار...»[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢٣٤/٨ و٢٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢٣٤/٨ و٢٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢٧٥/٨. أيضاً: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة ومـــا جاء فيها من الآثار، ط٢، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥، ٢٣٢/١. مؤلف مجهول «العيون والحدائق»، ٣٠٣/٣.



الفصل الثاني

التعليم وطبيعة النشاط التعليمي في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة

نظرة الإسلام للعلم:

عند دراسة الحياة الفكرية لمدينة ما أو بلد ما، يجب النظر إلى كون الدافع الحقيقي لها هو الإسلام، ولأنَّ المدينة المنورة هي المرتكز الأول الذي قامت فيه دولة الإسلام، وشرعت فيه الأحكام وانطلقت منه حملات التحرير الأولى وخرج منه الصحابة ﷺ منذ عصر النَّبي ﷺ يدعون النَّاس إلى الإسلام ويفقهونهم بأمر دينهم، فإن قوام الحركة الفكرية فيها هو الإسلام، ولأنَّ الأساس الذي يعتمد عليه الإسلام في التشريع والنظرة إلى الحياة هو القرآن الكريم والسنّة النبوية فلا بد من الوقوف عند بعض نصوصها التي كانت من دوافع الحركة العلمية.

لقد أكد القرآن الكريم أهمية العلم والتعليم وأعلى شأنه وحث النَّاس عليه، فقد وردت فيه مادة علم ومشتقاتها نحو ٨٥٠ مرة[١]. وأول ما نزل من القرآن الكريم أمر بالقراءة، ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ...﴾ العلق/١، وهناك آيات قرآنية كثيرة، منها ما يرفع شأن العلماء ومنها ما يشيد بفضل العلم، كقوله تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ المجادلة/١١ وقوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل/٤٣، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت/٤٣، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ...﴾ الزمر/٩ وغيرها كثير. ويمكن أن نجمل القول عن أثر القرآن الكريم في

---

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (علم).

الحياة الفكرية عموماً هو، كونه أكد أهمية العلم والمعرفة، وحث على الاستزادة منهما «ودعا الإنسان إلى استخدام كل الأساليب المؤدية إلى دراسة أحوال البشر في الماضي والحاضر والمستقبل، وللتمعن في ظواهر العالم والتفكير فيها.. وبذلك خلق دوافع ومحفزات قوية، وقدم صوراً جديدة، ووضع إطاراً عاماً لآفاق الفكر...»(١).

ونتيجة للأهمية التي أولاها المسلمون للقرآن الكريم، كونه الأساس في العلم والتشريع ونظم الحياة، ولما أولوه له من الدراسات المستفيضة فقد ظهرت الكثير من العلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم، كالدراسات اللغوية، والتفسير، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والقراءات، والرسم القرآني... وغير ذلك.

وفي السنّة النبوية أحاديث كثيرة تشيد بفضل العلم وتحث على طلبه، وتؤكد على ضرورة حرص المسلم عليه، فمن ذلك: قول النَّبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»(٢)، وقوله عليه الصَّلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة»(٣). وقال أيضاً: «تعلموا العلم وعلموه، وتعلموا الفرائض وعلموها النَّاس...»(٤).

ورُويَ عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «العلم حياة الإسلام وعماد الدين، ومن علّم علماً أتم الله له أجره، ومن تعلّم فعمل، علّمه الله ما لم يعلم»(٥). وكتب الحديث والسنن تزخر بعشرات الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الباب(٦).

---

(١) ينظر: العلي، «الرواية والأسانيد وأثرهما في تطور الحركة الفكرية...»، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣١، لسنة ١٩٨٠، ١٥/١.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، ٢٦/١.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)، السنن، المكتبة العصرية، بيروت، بلا.ت، ٣١٧/٣. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، السنن، بيروت، بلا.ت، ٨١/١.

(٤) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله...، الطباعة المنيرية، مصر، بلا.ت، ١٥٤/١.

(٥) المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ١٣٢/١٠.

(٦) ينظر للمزيد، البخاري، الصحيح، (باب العلم)، ٢٥/١ وما بعدها. أبو داود، السنن، (باب العلم)، ٣١٧/٣ وما بعدها. ابن ماجة، السنن، ٨٠/١ وما بعدها. المتقي الهندي، كنز العمال، =

وجـــاءت أقوال مأثورة لأعلام أهل المدينة من الخلفاء الراشدين أو غيرهم من أعــــلام الصحابة والتابعين ما يشيد بفضل العلم ويحض عليه. من ذلك ما روي عن الخلــيفة عمر بن الخطاب ﷺ قال: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه...»[(١)]. ورُويَ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنَّهُ قال: «كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه»[(٢)]. ورُويَ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قوله: «يا أيها النَّاس تعلموا، فمن علم فليعمل»[(٣)]. وقال أبو الدرداء ﷺ: «لأن أتعلــم مســألة أحب إليّ من قيام ليلة»، وقال أيضاً: «العالم والمتعلم شريكان في الخــير...»[(٤)]. ورُويَ أن رجلاً كان عند الإمام مالك (رحمه الله) فأراد أن يصلِّي (النافلة) فقال له مالك: «يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما أنت فيه، إذا صحّت النيّة...»[(٥)].

أمَّــا النظــرة الفقهــية الإسلامية للعلم والتعليم، فيمكننا القول بأن الفقهاء الإسلاميون قسّموا العلم إلى قسمين عدّوه فيهما فرضاً: فالعلم الذي هو فرض عين، وهــو مــا يجب أن يتعلمه كل مسلم من أمور دينه ومعاشه... وهو الذي ورد في حــديث الــنَّبي ﷺ قــال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[(٦)]، قال الغزالي:

=

.١٣٢/١٠

(١) ابــن عبد البر، جامع بيان العلم، ١٣٥/١. الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، المعارف الهندية، ١٣٧٩هـ، ٥/٣.

(٢) ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم...، دائرة المعارف الهندية، ١٣٥٤هـ، ص١٠.

(٣) الهيثمــي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ١٦٤/١.

(٤) طــاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ٩/١.

(٥) طــاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ٩/١.

(٦) ابــن ماجــة، الســنن، ٨١/١، المتقــي الهــندي، كنز العمال، ١٣٨/١٠. وهذا الحديث يأتي
=

«واختلف النَّاس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة... كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده... قال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها. وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام...»(١). أمَّا العلم الذي هو فرض كفاية، فهو العلم الذي «لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، والحساب... وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمَّن يقوم بها حرّج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين...»(٢). وللإمام مالك بن أنس قول في كون العلم في مجمله من فروض الكفاية، فهو كالجهاد، وقد سئل مالك عن طلب العلم أواجب هو أم لا؟ فقال: «أمَّا على كل النَّاس فلا»(٣).

بدايات الحركة الفكرية في المدينة والمكانة العلمية لها:

قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة قليل في يثرب، فقد نقل عن الواقدي قوله: «كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً»(٤)، ومع ذلك فقد وجد جماعة من أهل يثرب يعرفون الكتابة — فضلاً

=

معه أحياناً مقطع آخر هو: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، وفي صحته خلاف عند المحدثين وعلماء الجرح والتعديل، ينظر لذلك: ابن عراق، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٩٦٣هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تح. عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، ١٩٨١، ١/٢٥٨-٢٥٩.

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ١/١٤-١٦.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ١/١٤-١٦.

(٣) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٦١، الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الإسلام والتعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥، ص٩٢.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٩، وينظر: العسلي، خالد صالح، «التربية العربية قبل الإسلام»، التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، المجمع الملكي، الأردن، ١٩٨٩، ١/٤٦، ويضيف قوله: «إن لفظة قليل غير دقيقة لأنّ عدد من كان يعرف القراءة والكتابة (في المدينة) كان لا بأس به» ا.هـ. والواقع أن العدد الوارد في قائمة البلاذري في النصوص أعلاه يدل على أن العدد

=

عــن القراءة – أورد ذلك البلاذري فقال: «جاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدّة يكتــبون وهم سعد بن عبادة بن دليم، والمنذر بن عمرو، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابــت (كان يكتب العربية والعبرانية)، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير ومعن بن عــدي البلوي... وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع، وأوس بن خولي، وعبد الله بن أبيّ...»(١).

ومن بين هؤلاء وآخرين غيرهم جماعة كانوا – فضلاً عن معرفتهم الكتابة – علــى معــرفة بالرمــي والعوم، فكانوا يُسمَّوْن «الكملة» واحدهم الكامل، منهم «رافــع بن مالك، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن أبيّ، وأوس بن خولي، فضلاً عن... سويد بن الصامت، وحضير الكتائب»(٢). وبناءً على ما تقدم، يرجح البعض أن تكون في المدينة «مدرسة» لتعليم القراءة والكتابة قبل الإسلام وإن كان نطاقها محدوداً...»(٣).

وبعــد الهجرة زاد عدد الذين يقرؤون ويكتبون من المهاجرين والأنصار، حتى أن كــتّاب النَّبي ﷺ بلغوا اثنين وأربعين كاتباً أو نحو ذلك، كتبوا له في عدة أمور، مــنها: الوحــي، والرســائل، والصدقات، والمداينات، والمواثيق، والصلح، وغير ذلــك(٤). وكــان تعلم القرآن وتعليمه سبباً قوياً في النشاط التعليمي في المدينة منذ البداية، فأثر بيعة العقبة الأولى والتي بايع فيها جماعة من الأوس والخزرج رسول الله

=

لا بــأس به إذا ما قورن بمساحة المدينة آنذاك وعدد سكانها وإمكانياتها المادية المتوافرة، وحاجة النَّاس إلى العلم.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٩.

(٣) العسلي، التربية العربية قبل الإسلام، التربية العربية الإسلامية، ١/٤٦.

(٤) ينظر لذلك: الطبري، تاريخ، ٢/٤٢١. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٤٥-٢٤٦، الكتاني، عــبد الحــي بن عبد الكبير الحسني، نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية)، دار إحياء التــراث العربي، بيروت، بلا.ت، ١/١١٤-١١٥. شاكر محمود عبد المنعم، كتّاب النَّبي ﷺ، مجلة، المــؤرخ العــربي، العــدد ٤ لسنة ١٩٧٧، ص١٧٣-١٧٨. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن...، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص١٢٦ وغيرها.

ﷺ، بعث معهم النَّبي ﷺ مصعب بن عمير ﷺ، ليعلمهم قراءة القرآن مما وسّع حركة القراءة، يقول ابن هشام عن مهمة مصعب... «بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى (المقري) في المدينة»(١)، وإلى جانب المهمة التي قام بها مصعب بن عمير قبل مقدم الرسول ﷺ إلى المدينة، نجد أن رجالاً آخرين من الصحابة قاموا بواجب تعليم أهل المدينة القرآن، مثل: عبد الله ابن أم كلثوم، الذي جاء إلى المدينة بعد مصعب، «فجعلا يقرئان النَّاس القرآن»(٢).

إذن يمكننا القول إن المدينة شهدت قبيل الهجرة النبوية فتحاً علمياً بالقرآن الكريم، وفي هذا المعنى ينسب إلى الرسول ﷺ قوله: «ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة، فإن المدينة فتحت بالقرآن»(٣).

ولما هاجر النَّبي ﷺ إليها، كانت الحياة الفكرية تدور في فلك القرآن الكريم، فكان النَّبي ﷺ يتلقاه من الوحي، ويبلغه الصحابة، فيتعاهدونه بالحفظ والكتابة، ثمَّ إنَّهُ عليه الصَّلاة والسلام كان يبين لهم أحكامه ويفسر لهم ما يحتاجون إلى فهمه، ويقرؤه عليهم ويقرئونه عليه، فضلاً عن أنهم كانوا يعلم بعضهم بعضاً، ويعلمونه من يأتي إلى المدينة مهاجراً، أو من يأتي إليها وافداً معلناً إسلامه.

وكان لأهل (الصفّة)(*) دور في هذا النشاط التعليمي القرآني فكان جماعة منهم «يقرئون القرآن، ويتدارسونه بالليل ويتعلمون»(٤)، وممن اشتهر بذلك منهم نذكر: «عبد الله بن مسعود، وسالماً مولى أبي حذيفة، وأبا وائل شقيق بن سلمة، وحارثة بن النعمان، وعقبة بن عامر الجهني، وفضالة بن عبيد، وأبا حليمة معاذ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣٤/١.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢٠٦/٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١. وينظر: البليهشي، المدينة المنورة، ص٣٢.

(*) أهل الصفّة: جماعة من الفقراء لا مال لهم ولا أهل، اتخذوا المسجد محلاً لإقامتهم في المنطقة المظللة منه، لذلك سموا أحياناً بـ(أهل الظلّة). ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٣٠٥/١. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٣٩/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٥١٤/٣.

القارئ وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن حوالة الأزدي، وغيرهم...»[(١)]. لذلك أطلق على من يحفظ القرآن ويتعاهده بالمدارسة اسم القراء، قال ابن خلدون: «كانوا يسمون القراء، أي الذين يقرؤون الكتاب»[(٢)].

أمَّا مكانتها العلمية بعد عصر النبوة: فقد ظلت المدينة المنورة تؤدي دورها العلمي في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من العهود التاريخية، فكانت تدور فيها مسائل الفتوى، وتعقد فيها مجالس العلم من حديث وفقه وتفسير وغير ذلك، وكان على رأس هذه الحركة العلمية في عهد الخلفاء الراشدين (وما بعده)، الخلفاء الأربعة أنفسهم وكبار الصحابة ﷺ أمثال: أبيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعائشة (أم المؤمنين) وغيرهم[(٣)]. وكان لكل واحد من هؤلاء الصحابة دور متميز في الحركة العلمية، كما سنأتي على تراجم بعضهم في الفصول القادمة، إن شاء الله.

ثمَّ صار العلم في المدينة بعد جيل الصحابة إلى التابعين، وتصدر الحركة العلمية فيها رجال أعلام منهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، وهؤلاء الذين يقال لهم الفقهاء السبعة بالمدينة، ويدخل في عدادهم من أهل العلم من التابعين، أبان بن عثمان بن عفان، وسالم بن عبد الله بن عمر، ونافع مولى ابن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعلي بن الحسين، وغيرهم كثير[(٤)].

---

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٣٣٧-٣٨٥، وقد ضمنه أسماء أهل الصفة، وكذلك في ١/٣٩٧، حيث أورد قائمة بأسمائهم. وينظر أيضاً: هادي حسين حمود، القراء، دورهم في الحياة العامة في صدر الإسلام والخلافة الأموية، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، كلية الآداب — بغداد، ١٩٨٤، ص٣٩. العمري، المجتمع المدني، ص٩٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة (ط دار القلم)، ص٤٤٦.

(٣) ينظر لذلك: ابن قيّم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥، ١/١٢-٢١.

(٤) ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ١/٢٣، وتراجمهم في الفصول القادمة.

ثمَّ تلاهــم جيل آخر من أتباع التابعين أمثال: أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمــد، وعبـيد الله بــن عمــر بن حفص، ومحمد بن المنكدر، وجعفر الصادق، ومالك بن أنس، وخلق سواهم(١).

والواقــع أن المديــنة المنورة كانت تزخر بأعداد كبيرة من مشاهير العلماء، فجذبت مكانتها العلمية أعلام الأمراء والخلفاء وطلبة العلم، فهذا عمر بن عبد العزيز يتلقــى علمه عن علماء المدينة كعبيد الله بن عبد الله، وصالح بن كيسان، والزهري وغيرهم(٢).

وعــندما استخلف توجه بطلبه إلى المدينة لكتابة حديث النَّبي ﷺ وعلل ذلك بقوله: «فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله...»(٣).

وهــذا الخليفة المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ)، يقدم المدينة فيجلس الإمام مالــك إلى جنبه ويطلب منه أن يحدثه، ويرسل إليه ولديه موسى وهارون ويأمرهما «أن يسمعا منه كتبه»(٤). والخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، يقدم إلى المدينة (في إحدى رحلاته للحج) فيذهب إلى منزل الإمام مالك ويأخذ منه العلم والموعظة ويقول له بعد حين: «تواضعنا لعلمك فانتفعنا به»(٥). ويلتقي الخليفة الرشيد الإمام الواقدي عالم المغازي المدني المشهور، فيســألـه عن أمور تتعلق بمغازي رسول الله

---

(١) ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ١/٢٣، وتراجمهم في الفصول القادمة.

(٢) ينظــر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٤، أيضاً: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، صفة الصفوة، ط٢. المعارف العثمانية/الهند، ١٩٦٨، ٢/٧١-٧٢.

(٣) الخطــيب الــبغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣)، تقييد العلم، دار إحياء السنة النــبوية، ١٩٧٤، ص١٠٥-١٠٦. أيضاً: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)، السنن، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ، ١/١٢٦.

(٤) عــياض، تــرتيب المــدارك (ط المغرب)، ٢/٢٠. وابن فرحون، إبراهيم بن علي المالكي (ت ٧٩٩هـ)، الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت، ١/٢٧.

(٥) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٢٣.

ﷺ، ثمَّ يطلب منه الشخوص إلى العراق إن هو رغب ذلك[١]. وأمثال هذا كثير، مما يعطـــي الدلالة الواضحة على أهمية المدينة ومكانتها العلمية، وأنها كانت محطّ أنظار المسلمين — بعلمها — في القرن الأول والثاني للهجرة.

مراكز الحياة الفكرية في المدينة المنورة في ق١ وق٢هـ:

اشـــتهرت في المدينة المنورة في المدة موضوع البحث ثلاثة من مراكز الحياة الفكرية الرئيسة هي: المسجد النبوي، والكتاتيب، وبيوت العلماء.

١. المسجد النبوي:

كان للمسجد النبوي دور كبير في الحياة الفكرية في المدينة، فقد شهد منذ تأسيسه في عهد الرسول ﷺ وفي العهود التاريخية اللاحقة... حركة علمية واسعة، فكان رسول الله ﷺ يباشر التعليم فيه بنفسه، وذلك من مقتضيات رسالته، وقد أوضح الله تعالى في القرآن الكريم «أن من واجبات الرسول تعليم الناس، وتوضيح المقاصد والأهداف الخاصة والعامة للدعوة الإسلامية»[٢]، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة/١٢٩. وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ...﴾ الجُمُعة/٢ وغيرها. وبذلك يعدّ الرسول ﷺ رائد التعليم — التدريسي الأول، وقد نقل الكتاني عن كتاب القانون لليوسي ما يؤيد ذلك، فقال: «وأمَّا التعليم بصورة التدريس فأصله ما كان رسول الله ﷺ يفعله في مجالسه مع أصحابه من تبيين الأحكام والحكم والحقائق، وتفسير الآيات القرآنية، وذكر فضائلها وخواصها وغير ذلك، وهم في ذلك مجتمعون عليه»[٣]. فكان الصحابة ينهلون من علم رسول الله ﷺ في المسجد النبوي الشريف. وتزخر

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٥/٣١٥.

(٢) ينظر لذلك: حسين أمين، «المساجد الإسلامية وأثرها في نشر التعليم»، مجلة الأستاذ، المجلد ١٢، لسنة ١٩٦٣-١٩٦٤، بغداد، ص٩٥.

(٣) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/٢١٨.

كتب الصحاح والسير، بأخبار تلقي الصحابة للعلم من النَّبي ﷺ في المسجد، على شكل أسئلة يطرحونها، أو تحلّقهم حوله وهو يحدثهم، أو غير ذلك.

فمن ذلك ما أورده البخاري في باب «من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه»... عن أبي هريرة ﷺ قال: «بينما النَّبي ﷺ في مجلس يحدّث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله يحدّث.. قال: فإذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة...»[١]. ومثل ذلك ما ورد في قصة إسلام ضمام بن ثعلبة — من سعد بن بكر - ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: «بينما نحن جلوس مع النَّبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثمّ عقله ثمّ قال: أيكم محمد؟ والنبي متكئ بين ظهرانيهم، ثمّ أقبل يسأله والنبي ﷺ يجيب عن أسئلته حتى انتهى منها...»[٢].

وثمة أحاديث تشيد بفضل التعليم في مسجد النَّبي ﷺ بالمدينة منها ما ورد عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النَّبي ﷺ: «من دخل مسجدي هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[٣]. والواقع فإن المسجد النبوي هو المكان الملائم لاجتماع المسلمين وتدارسهم للعلم، وكان النَّبي ﷺ يشجع النَّاس على التعلم فيه، فقد خاطب أهل الصفّة بقوله: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع...»[٤].

ورُويَ عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: «إن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده فقال: «كلاهما خير، أحدهما أفضل من صاحبه، أمّا هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه... وأمّا هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويعلمون الجاهل

(١) البخاري، الصحيح، ١/٢٢-٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/٢٤-٢٥ (مع تفصيل للقصة)، الخطيب البغدادي.... الكفاية في علم الرواية، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، بلا.ت، ص٢٦٠-٢٦١.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ١٠/١٦٥.

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، ط٢، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٤-١٩٩٠، ١٧/٢٥١.

فهم أفضل، وإنَّما بعثت معلماً، قال: ثمَّ جلس فيهم»[١].

ولم يقتصر أمر التعليم في المسجد النبوي بالمدينة على رسول الله ﷺ وحده بل شاركه في ذلك جماعة من الصحابة ﷺ، فمن عرف إسهامه في الحركة التعليمية في المسجد أبان عهد النبوة نذكر: عبد الله بن رواحة الأنصاري ﷺ (ت ٨هـ)، فقد ذكر أنَّهُ كان يخلف رسول الله ﷺ بعد قيامه فيجمع النَّاس ويذكرهم الله، ويفقههم فيما قال رسول الله ﷺ، فربَّما خرج عليهم رسول الله ﷺ وهم مجتمعون عنده فيسكتون، فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه، ويقول: بهذا أُمرت...»[٢]. وكان عبد الله بن رواحة يدعو بعض الصحابة لعقد مجالس ليتذاكر فيها معهم الإيمان بالله وأمور الإسلام، فكان يقول: «تعالوا نجلس فلنؤمن ساعة»[٣].

وكان عبادة بن الصامت الأنصاري ﷺ (ت ٣٤هـ) ممن علّم أهل الصفّة في المسجد النبوي، وهو القائل: «علّمت ناساً من أهل الصفّة الكتابة والقرآن»[٤]. كما يذكر عبادة أن جماعة من الصحابة شاركوا في تعليم وفود القبائل العربية الوافدة إلى المدينة ومن كان يهاجر إلى المدينة معلناً إسلامه، فيروى عنه قوله: «كان رسول الله ﷺ يشغل فإذا قدم الرَّجل مهاجراً على رسول الله ﷺ، دفعه إلى رجل منا نعلّمه القرآن...»[٥].

وعرف عن أبيّ بن كعب ﷺ (ت ٢٢هـ وقيل ٣٠هـ) أنَّهُ علم في المسجد جماعة من وفود القبائل في عهد النَّبي ﷺ، فقد روى أنَّهُ «لما قدم وفد غامد على الرسول

---

(١) ابن ماجة، السنن، ٨٣/١. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٥٠/١.

(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢٢١/١.

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت، ٢٦٥/١.

(٤) ن.م، ٢٥٧. القابسي، أبو الحسن علي بن محمد بن خلف (ت ٤٠٣هـ)، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ط٢، القاهرة، ١٩٥٥، ص٢٧٣.

(٥) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح. (المنجد)، ٥٩/١٨.

ﷺ أتوا أبيّ بن كعب فعلمهم قرآناً»[١].

ومـن رواد التعليـم في المسـجد النبوي على عهد النَّبي ﷺ: سعد بن الربيع الخزرجي، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وأبان بن سعيد بن العاص...[٢] وغيرهم.

نظام الحلقات العلمية في المسجد النبوي:

كـان تلقـي العلـم يتم في المسجد النبوي على نظام الحلقات العلمية، أي إن الـذين يـتلقون العلـم يجلسـون على الأرض ويشكلون دائرة حول العالم، الـذي يسـتقبلهم بـوجهه ويلقـي علـيهم الدروس أو الموعظة أو غير ذلك، وربَّمـا يجلـس علـى كرسـي أو مكان مرتفع كالمنصة ليظهر للجميع، وينقل لـنا القاضـي عـياض صـورة لذلك فيقول: «لم يكن مالك يجلس على المنصّة إلاّ إذا حدّث عن رسول الله ﷺ»[٣]، هكذا كان يتم التعليم آنذاك.

وقد وردت أدلة كثيرة تبين أن التعليم كان يجري وفق نظام الحلقات العلمية في المسـجد النبوي (وغيره من المساجد في المدينة). فقد ذكر البخاري باباً سماه (من رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها)، وأورد حديثاً عن أبي واقد الليثي «أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله... فوقفا... فأمَّا أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأمَّا الآخر فجلس خلفهم...»[٤]. وأورد الهيثمي في باب الجلوس عند العالم عن قرّة، قال: «إن رسول الله ﷺ كـان إذا جلـس، جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً»[٥]، ونقل عن أنس قوله: «كانـوا إذا صـلوا الغـداة قعدوا حلقاً حلقاً، يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض

---

(١) ابن سعد، الطبقات، (ط بيروت)، ٣٤٥/١.

(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات، (ط بيروت)، ٥٣١/٣. ابن حجر،... الإصابة في تمييز الصحابة، دار العلـوم الحديثة (عن طبعة مصر ١٣٢٨هـ)، ١٠/١. العمري، أكرم ضياء، «التعليم في عصر السيرة والراشدين»، التربية العربية الإسلامية، المجمع الملكي، الأردن، ١٩٨٩، ٧٩/١.

(٣) عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ١٦/٢.

(٤) البخاري، الصحيح، ٢٦/١.

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٣٢/١.

والسنن»[١].

وبعد عهد النَّبي ﷺ زاد عدد هذه الحلقات التي كانت تعقد في المسجد، وتنوعت أغراضها العلمية وكان لها سمات وآداب جليلة: فمما يدل على كثرتها ما روي عن جندب بن عبد الله البجلي قال: «أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا النَّاس فيه حلق يتحدثون فجعلت أمضي الحلق، حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب،... قال: فجلست إليه فتحدث بما قضي له ثمَّ قام، فسألت عنه بعدما قام، قالوا: هذا سيد المسلمين أبيّ بن كعب...»[٢]، وأيضاً ما رواه شقيق بن سلمة ﷺ قال: «فقعدت في الحلق وفيهم أصحاب الرسول ﷺ وغيرهم...»[٣].

وكان يتم في بعض الحلقات (المجالس العلمية) تناول أكثر من علم، فقد وصف مجلس عبد الله بن عبَّاس ﷺ، على سبيل المثال، بأنه كذلك، يقول عطاء: «ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً وأعظم جفنة منه، إن أصحاب القرآن يسألونه، وعنده أصحاب الشعر يسألونه، وعنده أصحاب النحو يسألونه، كلهم يصدر في واد واسع...»[٤] ورُويَ مثل ذلك عن ابن شهاب الزهري[٥].

وكان أبو هريرة ﷺ يخصص حلقته يوم الجُمُعة عند منبر النَّبي ﷺ للتحديث عن النَّبي ﷺ، فقد روي عن عاصم بن محمد، عن أبيه قال: «رأيت أبا هريرة يخرج كل يوم جمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائماً ويقول: حدثنا الصادق المصدوق ﷺ، فلا يزال يحدث، حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس...»[٦]. ويبدو أن حلقة جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ العلمية كانت تدور

---

(١) ن.م، ١٣٢/١. الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢١٨/٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٣ ق٢ ص٦١، ويرجح أن قدوم جندب إلى المدينة كان في سنة ٣٢هـ بدليل أنَّهُ حضر وفاة أبيّ بن كعب كما أشار ابن سعد في موضع آخر من النص أعلاه.

(٣) ن.م، (ط بيروت)، ٣٤٤/٢.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥١٢/١. ابن حجر، الإصابة، (ترجمة عبد الله بن عبَّاس)، ٣٣٣/٢.

(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٢٣/١.

(٦) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين في الحديث، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، بلا.ت، ٥١٢/٣. الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٤٣/٣.

حـــول الفقه والحديث، روى هشام بن عروة قال: «كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد - يعني النبوي - يؤخذ عنه العلم»[١].

ويُلاحـــظ أن حلقات مشاهير علماء المدينة الذين تصدروا للعلم كانت تمتد ســـنين، فعند ذلك يكون للحلقة التي يرأسها شيخ معين، مكان معلوم في المسجد يخـــتلف إليه فيها طلبة العلم. فهذا سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) لما بلغ ما بلغ من رتـــبة علمـــية «اتخذ له مكاناً معلوماً في مسجد رسول الله ﷺ يجلس فيه»[٢]، وقد روى مكحول قوله: «ما كان أحد يأنف أن يأتي حلقة سعيد بن المسيب»[٣].

ومعظم المجالس العلمية (الحلقات) كانت تجري في أوقات منتظمة في المسجد النـــبوي، يعتاد عليها أهل الحلقة العلمية حتى تصبح أمراً متعارفاً عليه، فالبعض منها كـــان يعقـــد في أول النَّهار مثلاً، فقد روى عبد الرحمن بن أبي الموال قال: «رأيت القاسم بن محمد (ت ١٠٨هـ) يأتي المسجد أول النَّهار فيصلي ركعتين ثمَّ يجلس بين النَّاس فيسألونه...»[٤]، وفي رواية أخرى لابن أبي الموال «أن القاسم بن محمد كان يـــأتي من بيته إلى المسجد فيصلي ويقعد للناس ويقعدون إليه بكرة»[٥]. وفي موضع آخر ذكر يحيى بن سعيد الأنصاري، أن القاسم بن محمد «كان يتحدث بعد العشاء الآخرة هو وأصحابه»[٦]. فمن هاتين الروايتين يتبين أن القاسم بن محمد ربَّما كان له مجلســـان علمـــيان في اليوم الواحد، أو أنَّهُ كان له مجلس في أول النَّهار ثمَّ غيّر ذلك فجعله في اللَّيل أو العكس.

وكـــان مجلس علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٩٤هـ) وسليمان بن يســـار (ت ١٠٧هـ) في أول الـــنهار، فقـــد روي عن يزيد بن حازم قال: «رأيت علـــي بن الحسين وسليمان بن يسار يجلسان بين القبر والمنبر يتحدثان إلى ارتفاع

(١) ابن حجر، الإصابة (ط القاهرة) (ترجمة جابر بن عبد الله)، ٤٥/٢.
(٢) هاشم جميل، فقه الإمام سعيد بن المسيب، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ١٩٧٤، ص٢٦.
(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ١، ق٢، ص١٣٠.
(٤) ن.م، ١٤١/٥.
(٥) ن.م، ١٤١/٥.
(٦) ن.م، ١٤٠/٥.

الضحى»[١]. وضمت حلقة زيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ)، عدّة فقهاء، وكانت – فيما يبدو – تعقد مرتين في اليوم في المسجد النبوي، يقول أبو حازم لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «والله كنا في مجلس أبيك لأربعين حبراً فقيهاً ما منهم إلاّ معدود، لئن أفاد الرَّجل فائدة ليلاً ليغدون بها، ولئن أفادها بكراً ليروحنّ بها»[٢].

ويبدو أن بعض المجالس أو الحلقات العلمية كان لها مكاناً مخصوصاً في المسجد النبوي ولاسيما إذا كان العالم مشهوراً، فثمة إشارة إلى مجلس علمي متوارث كان في المسجد النبوي ذكره يحيى بن سعيد أنَّهُ «كان تجاه خوخة[*] عمر بين القبر والمنبر»[٣]، وإن هذا المجلس «جلس فيه القاسم وسالم بن عبد الله... ثمَّ جلس فيه عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر بن حفص، ثمَّ جلس فيه بعدهما مالك بن أنس...»[٤]، وكما أسلفنا عن مجلس علي بن الحسين وسليمان بن يسار أنَّهُ بين القبر والمنبر أيضاً[٥]، وكان عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ) يجلس في صحن المسجد، وكان مالك يأتيه في هذا المجلس الذي وصفه مالك بقوله: «جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، كنا نجلس في صحن مسجد النَّبي ﷺ حتى اتخذت سراويل محشوة»[٦]، وثمة أماكن أخرى ضمن إطار المسجد النبوي كانت تشهد نشاطاً فكرياً منها الصفّة التي تقع في مؤخرة المسجد والتي كان يتعلم فيها أصحاب الصفّة – كما سبقت الإشارة – ومنها رحبة البطيحاء فقد روي عن مالك بن أنس «أنَّهُ

(١) ن.م، ٥/١٦٠–١٦١.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٧٨، أيضاً: ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم...)، تحـ. زياد محمد منصور، المدينة المنورة، ١٩٨٣، ص٣١٤. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ط٣، المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٥، ١/٩.

(*) الخوخة: هي مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب بلغة أهل الحجاز، وعمم بها بعضهم فقال: هي مخترق ما بين كل شيئين... ابن منظور، لسان العرب، مادة (خوخ).

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٥/١٤٠.

(٤) ن.م، ٥/١٤٠، ١٦٠.

(٥) ن.م، ٥/١٤٠، ١٦٠.

(٦) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تقدمة الجرح والتعديل، المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٢، ص٢٨. أيضاً: ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٠.

بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء، وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة»[(١)]، ويبدو من ظاهر الرواية أن هذا المكان خصص لإنشاد الشعر أو نحوه، وحتى لا يؤثر ارتفاع الصوت في المصلين أو الدارسين للعلوم الأخرى في المسجد. ويعلق أحد الكتاب على اتخاذ مثل هذا المكان لممارسة مثل هذا النشاط الفكري بقوله: «هذا يصح أن يكون أصلاً لبناء المدارس والربط[(*)]، متصلة بالمسجد لسكنى المتعلمين والذاكرين...»[(٢)].

ومن الذين اشتهروا بالحلقات والمجالس العلمية في المسجد النبوي من التابعين وأتباع التابعين – فضلاً عمَّن ذكروا آنفاً –: محمد بن يحيى بن حبان (ت ١٢١هـ)، ذكره خليفة ضمن الطبقة الثالثة من الأنصار من أهل المدينة، وقال: «يكنى أبا عبد الله توفي سنة إحدى وعشرين ومائة»[(٣)]، ذكر الواقدي حلقته في المسجد النبوي فقال: «كانت لمحمد بن يحيى بن حبان حلقة في مسجد رسول الله ﷺ وكان يفتي»[(٤)]. وكان لأبي الزناد، عبد الله بن ذكوان (ت ١٣٠هـ) حلقة علمية أيضاً في المسجد النبوي، قال الواقدي: سمعت مالك بن أنس يقول: «كانت لأبي الزناد حلقة على حدة في مسجد رسول الله ﷺ»[(٥)]. وآل حزم، وفيهم عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥هـ)، وأخوه محمد بن أبي بكر (ت ١٣٢هـ)[(٦)]، ففي حديث ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر قال: «وقال غير الواقدي، كانت لآل حزم حلقة

(١) مالك ابن أنس، الموطأ (رواية يحيى بن يحيى الليثي)، دار النفائس، ١٩٧١، ص١٢١.

(*) الربط: الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، والرباط المواظبة على الأمر، ويقصد به هنا أماكن العبادة التي يرابط فيها الذين يلازمون أماكن معينة من المساجد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربط).

(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/٣٠٠.

(٣) خليفة، الطبقات ،ص٢٥٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة)، ص١٣٢.

(٥) ن.م، ص٣١٩، وتأتي له ترجمة لاحقاً.

(٦) خليفة، الطبقات، ص٢٦٤.

في المسـجد...»[١] وعـبد الله هذا من سادات التابعين وفقهائهم[٢]، وأمَّا محمد «فكان على القضاء بالمدينة وكان من فقهاء الأنصار»[٣]. وربيعة بن أبي عبد الرحمن (ت ١٣٦هـ) وهو ربيعة الرأي، قال الواقدي: «كانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ وكـان ربَّما اجتمع هو وأبو الزناد في حلقة، ثمَّ افترقا بعد، فجلس هذا في حلقة وهـذا في حلقة»[٤]، وذكر مالك أن مجلس ربيعة كان يقصده ذوو السن والفضل، يقـول في ذلك: «كنا نجلس إلى ربيعة وغيره، فإذا أتى ذو السن والفضل قالوا له: هاهـنا حتى يجلس قريباً منهم، وكان صاحب معضلات أهل المدينة ورئيسهم في الفتـيا»[٥]، وممـن جلس في حلقة ربيعة، أبو جعفر محمد الباقر (ت ١١٧هـ) وابنه جعفـر الصادق (ت ١٤٨هـ)، قال ابن سعد: «ولقد ذكر لي أن أبا جعفر محمد بن علـي بـن الحسين كان يجلس مع ربيعة في حلقته، وأمَّا جعفر بن محمد، فلم يزل يجلس مع ربيعة»[٦]. وذكر إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة (ت ١٤٤هـ)، في ضمن الذين كانت لهم حلقة في المسجد النبوي، قال ابن سعد: «كانت لإسحاق بن عبد الله حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، يجلس إليه فيها أهله وهم كثير بالمدينة...»[٧]، قال خليفة: «يكنى أبا سليمان، مولى عثمان بن عفان ﷺ، مات سنة أربع وأربعين ومائـة...»[٨]. ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بن عتبة...، يكنى أبا عبد الله، (ت ١٤٨هـ)[٩]، أيضـاً ممـن «كانت له حلقة في المسجد، وكان داود بن قيس الفراء

---

(١) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم...)، ص٢٨٣.

(٢) له ترجمة مفصلة في فصل السيرة والتاريخ.

(٣) البسـتي، محمـد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، نشره م. فلايشهمر، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٢٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم...)، ص٣٢٢.

(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٧٠-٦٧١.

(٦) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم...)، ص٣٢٢.

(٧) ن.م، ص٣٥٠-٣٥١.

(٨) خليفة، الطبقات، ص٢٦٦، والواقع أن جدّه أبا فروة هو من موالي عثمان ﷺ.

(٩) ن.م، ص٢٧٠، أيضاً: العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت ٢٦١هـ)، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث...، المدينة المنورة، ١٩٨٥، ٢/٢٤٨.

يجلس إليه...»[١]، قال البستي عنه: «من خيار أهل المدينة»[٢].

وللإمام مالك بن أنس المولود بالمدينة سنة ٩٣هـ، حلقة علمية مشهورة في المسجد النبوي ولاسيما أنَّهُ درّس مبكراً في المسجد، فقد كانت له حلقة في المسجد منذ سنة ١١٨، يقول شعبة: «قدمت المدينة بعد موت نافع بسنة والحلقة لمالك»[٣]، وتوفي نافع سنة ١١٧هـ[٤]، ويصف يحيى بن سعيد القطان حلقة لمالك في المسجد النبوي فيقول: «دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة، ومالك أسود الرأس واللحية، والناس حوله سكون لا يتكلم أحد هيبة له، ولا يفتي أحد في مسجد الرسول ﷺ غيره، فجلست بين يديه، فسألته فحدثني...»[٥]. وقد أشاد أهل العلم بأهليته للجلوس للتدريس والفتيا في المسجد النبوي فيقول مالك في ذلك: «ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك»[٦].

ونكتفي بهذه الإشارات التي إن دلت على شيء فإنَّما تدل على كثرة الحلقات العلمية التي كانت تعقد في المسجد النبوي، وكثرة أصحابها.

وفي ختام كلامنا عن المجالس والحلقات العلمية وسماتها ومن اشتهر فيها، نتحدث عن جانب من آدابها، فمن آدابها الصمت والإنصات إلى العالم — ويعد ذلك من سنة العلم في الإسلام — وذلك من عهد النَّبي ﷺ، فقد روى أسامة بن شريك قال: «أتيت النَّبي ﷺ وأصحابه كأنَّ على رؤوسهم الطير، فسلمت ثمَّ قعدت...»[٧]. وقد سبقت الإشارة إلى قول عمر بن الخطاب ﷺ، في الحض على

(١) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم...)، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٢) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص١٤٠.

(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٨٢/١.

(٤) خليفة، الطبقات، ص٢٥٦.

(٥) عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ٢٩/٢.

(٦) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢١.

(٧) أبو داود، السنن (رقم الحديث ٣٨٥٥)، ٣/٤. أيضاً: الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي =

الـوقار والسـكينة والتواضـع للعالم والمتعلم (تعلموا العلم... وتعلموا له الوقار والسكينة) ...»[١].

وضـرب العلماء وطلبة العلم بالمدينة أمثلة طيبة في آدابهم العلمية، تدل على حـبهم للعلم وتوقيرهم له، فهذا محمد بن عجلان أحد أعلام أتباع التابعين بالمدينة وممـن أخذ عن زيد بن أسلم، كان يقول: «ما هبت أحداً هيبتي زيد بن أسلم، ولم يكـن أحـد مـن حلقته يبتدئه بالسؤال احتراماً له، إلاَّ أن يكون يبتدئ هو شيئاً يذكره»[٢].

ويذكر القاضي عياض وصفاً دقيقاً لمجلس الإمام مالك بن أنس وما كان يسود فيه من آداب رفيعة تعكس صورة المجالس العلمية آنذاك فيقول: «كان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان رجلاً مهيباً نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع صـوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له: من أين رأيت هذا؟...»[٣]، وفي روايـة أخـرى عن مصعب ومطرف وابن سلمة وغيرهم قالوا: «كان جلساء مالك كأنَّ على رؤوسهم الطير سمتاً وأدباً»[٤].

ومن آداب المجالس أن جميع الطلبة يعاملون سواء عند العالم ليس هناك فرق بين غني وفقير، وأن أحقية الجلوس في المكان لمن سبق، فقد طلب من الإمام مالك أن يكرم ويؤثر جعفر بن إبراهيم الطالبي في مجلسه فقال: «ما هو عندنا وغيره إلاَّ سواء، إنَّما هي مجالس العلم، السابق إليها أحق بها...»[٥] كما يراعى حق الرَّجل في مجلسه إذا عاد إليه.

=

وآداب السامع، الرياض، ١٩٨٣، ١/١٩٢.

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/١٣٥.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٧٥. الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، القاهرة، ١٩٧٢، ١/١٧٦.

(٣) عـياض، تـرتيب المدارك (ط المغرب)، ٢/١٣. أيضاً: ابن سعد، الطبقات، (الجزء المتمم، ص ٤٤٢-٤٤٣).

(٤) عياض، ترتيب المدارك، ٢/١٤.

(٥) ن.م، ٢/١٧.

٣. الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من مراكز الحياة الفكرية المهمة في المدينة المنورة في المدة التي ندرسها، ويبدو أن أول من اتخذ الكتاتيب أماكن لتعليم الصبيان في المدينة هو الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ)، والواقع فإن ذلك ما أملته الظروف الجديدة للدولة العربية الإسلامية، فقد كانوا «قبل ولاية عمر إنَّما يقرئ الرَّجل منهم ابنته أو أخاه الصغير... فلما كثرت الفتوحات، وأسلمت الأعاجم، وأهل البوادي، وكثر الولدان، أمر عمر ببناء بيوت المكاتب، ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم»(١).

ويذكر القابسي وصفاً للحركة التعليمية في الكتاتيب في عهد عمر ﷺ فيقول: «... ثمَّ مات أبو بكر ﷺ... فلم يكن بلد إلاَّ وبنيت فيه المساجد، ونسخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً»(٢).

وهذا يدل على أن العملية التربوية في المدينة قد أرسيت قواعدها منذ وقت مبكر، فقد اتخذ المكان المخصص للتدريس، وانتدب لهذا العمل رجال يلازمون الطلبة، ويتقاضون أجوراً على عملهم، فمما يذكر في ذلك، «أن الخليفة عمر ﷺ أول من جمع الأولاد في المكتب، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم، وجعل رزقه من بيت المال»(٣). وثمة خبر آخر أورده ابن عساكر في ترجمة موسى بن صدقة أنَّهُ روى عن الرضين بن عطاء قال: «ثلاثة معلمين كانوا بالمدينة يعلمون الصبيان، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يرزق كل واحد منهم خمسة عشر درهماً كل شهر...»(٤). وقد قاد هذا النص أحد الباحثين إلى افتراض كون هؤلاء

---

(١) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/٢٩٣-٢٩٤.

(٢) الأهواني، التعليم في رأي القابس، ص٦٤.

(٣) الكردي المكي، محمد طاهر بن عبد القادر الخطاط، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٣، ص١٢٢.

(٤) ابن بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت ١٣٤٦هـ)، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩، ٦/٤١٥.

المعلمين كانوا يعلمون القرآن، وأن كتاتيبهم كانت كتاتيب قرآنية[١].

وفي تاج العروس قصة تؤكد وجود الكتّاب في المدينة منذ عهد الخليفة عمر ﷺ، وردت عند الحديث عن كلمة (أبجد)، قال: «ويذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ لقي أعرابياً فقال له: هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ أم القرآن، قال: والله ما أحسن البنات، فكيف الأم؟... ثمّ أسلمه إلى الكتاب»[٢].

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ورد ما يشير إلى وجود هذه المؤسسة التعليمية، فقد «جعل المعلّم يعلم قراءة الرَّجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين»[٣]. ومن أدلة وجودها، بل كونها مفتوحة لجميع النَّاس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، ما روي عن الشاعر طويس وأصله من الموالي في المدينة، حدّث عن تعلمه في صغره في الكتاتيب فقال: «... لما دخلت الكتّاب قتل عثمان، فلما تعلمت القرآن قتل علي...»[٤].

إذن فلا يمكن التسليم للرأي القائل بأن ظهور الكتّاب متأخراً، إذ يذهب بعض الباحثين إلى أنّ ظهور الكتاب كان في العصر الأموي فهذا مما لا يسنده التاريخ، بل وتدحضه مثل هذه الروايات[٥].

ووردتنا من أواخر القرن الأول والقرن الثاني للهجرة، إشارات عن كثرة هذه المكاتب وانتشارها، فمن ذلك ما روي عن أحد التابعين الذين تلقوا تعليمهم في

---

(١) ملكة أبيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة...، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٢٧.

(٢) الزبيدي محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٠٢/٧. أيضاً: الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص٦٤.

(٣) الطبري، جامع البيان، ٢١/١.

(٤) بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر (ترجمة أشعب)، ٧٩/٣.

(٥) ذكر أحمد شلبي عن ظهور الكتاب قوله: «أعتقد أن هذا المعهد نشأ في وقت متأخر نوعاً ما...» وفي موضع آخر يقول: والنتيجة التي تقرر الآن هي أن الكتاب من هذا النوع لم يظهر خلال العهد المبكر للإسلام... تاريخ التربية الإسلامية، بيروت، ١٩٥٤، ص٢٧-٢٨. رغم أنَّهُ ميز بين كتّاب القرآن وكتّاب القراءة، ويقول خليل طوطح: «ظهرت الكتاتيب في عصر بني أمية، وانتشر التعليم في العصر العباسي...»، التربية عند العرب، المكتبة التجارية، القدس، بلا.ت، ص١١.

الكتّاب في المدينة وهو عثمان بن عبيد الله (ت ١١٨هـ)[١]، قوله: «رأيت أبا أسيد الساعدي، وأبا هريرة، وأبا قتادة، وابن عمر يمرّون بنا ونحن في الكتّاب...»[٢].

وقد روي أن سعيد بن المسيب التابعي الكبير كان يثني على صبيان المكاتب في المدينة خيراً عندما يمرّ بهم، يقول يحيى بن سعيد الأنصاري في ذلك: «كان سعيد بن المسيب إذا مرّ بالمكتب، قال للصبيان: هؤلاء النَّاس بعدنا»[٣]، وفي هذا دليل على اهتمام علماء أهل المدينة بالعلم، وتشجيعهم للحركة التعليمية فيها. وذكر محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) أن أحد التابعين بالمدينة كان يعلم الصبيّ الحديث بعد أن ينتهي درسه من الكتّاب، فيقول ما نصّه: «رأيت أبا سلمة بن عبد الرحمن (ت ٩٤هـ)، يأخذ بيد الصبي من الكتّاب، فيذهب به إلى البيت، فيملي عليه الحديث يكتب له...»[٤].

الوسائل التعليمية في الكتاتيب: يظهر أن معلمي الكتاتيب في المدينة كانوا يستعينون بوسائل تعليمية مما تيسر لهم آنذاك، ومما يتناسب مع مستوى الطلبة في التدرج العلمي، فقد استعانوا بالقلم والدواة (إناء الحبر) لكتابة المعلومات التي يمليها المعلم في الكتّاب، ولكن أين تكتب مادة التلقّي؟ الواقع أن هناك ما يدل على أنهم استعانوا بوسائل أخرى أهمها:

(اللوح): فقد كان المعلم يكتب لبعض تلاميذه ما يساعدهم على التعلم على لوح ثمّ بعد أن يحفظوه يمحوه ويكتبوا غيره وهكذا، فمن نص ورد يتضمن أمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لأحد أوائل المعلمين في المدينة وهو عامر بن عبد الله الخزاعي جاء فيه: «وأمره أن يكتب للبليد في اللوح...»[٥]. وجاء في آداب

(١) هو عثمان بن عبيد الله بن سراقة... القرشي أبو عبد الله المدني... قال أبو زرعة والنسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال الواقدي (ت ١١٨هـ). تفاصيل ترجمته عند: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/١٣٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٣ ق٢ ص١٠٣.

(٣) ن.م، ٥/١٠٤.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ١/٢١٨.

(٥) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٣. وينظر: الديوه جي سعيد، التربية والتعليم في الإسلام، =

المعلمين ما نصه: «ولا بأس على الصبي إذا لم يبلغ الحلم أن يقرأ في اللوح على غير وضوء، إذا كان يتعلم...»(١)، «وكذلك كان الصبيان يأتون بالماء فيمحون به ألواحهم... ثمّ يحفرون له حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء»(٢). وفي ذلك دليل على استخدام الألواح للتلاميذ الصغار كوسيلة تساعدهم على التعلّم. و(الأكتاف) وهي رديف الألواح، فقد كان يكتب فيها الأطفال في المكاتب، ويمحى من الكتابة عقب ذلك، وقد سئل أحد فقهاء المالكية(*) عما «يكتب الصبيان في الكتف من الرسائل، فقال: أمَّا ما كان من ذكر الله تعالى فلا يمحه برجله، ولا بأس أن يمحى ذلك مما ليس من القرآن...»(٣). ومن الوسائل الأخرى التي استعين بها في التعليم بالكتاتيب، الكتابة بأطراف (القصب على الكف)، لغرض الحفظ...»(٤).

عطلة الكتاتيب: ومن الأعراف والتقاليد المتّبعة في العملية التربوية التعليمية في المدينة المنورة هي (عطلة الكتاتيب)، فقد كان لهم عطلة أسبوعية في يومي الخميس والجمعة، ويروى أن العطلة الأسبوعية كانت في الجُمُعة فقط أول الأمر، نقل القابسي ذلك فقال: «أمَّا بطالة الصبيان يوم الجُمُعة فقال سحنون يأذن في يوم الجمعة، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا، لم يُعب ذلك عليهم»(٥)، وسحنون يعكس نظر أهل المدينة وعملهم.

=

الموصل، ١٩٨٢، ص١٧.

(١) ابن سحنون، أبو عبيد الله محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد (ت ٢٥٦هـ)، آداب المعلمين، ط٢، القاهرة (مع كتاب التعليم في رأي القابسي للأهواني)، ١٩٥٥، ص٣٦١.

(٢) القابسي، الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين، (ملحق مع كتاب التعليم في رأي القابسي، للأهواني)، ص٣١٦.

(*) هو سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، نشر مذهب مالك في المغرب، وكان ثقة حافظاً للعلم، وصنف المدونة وهي التي تحوي الفقه المالكي (ت ٢٤٠هـ)، تفاصيل ترجمته عند: ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٠٥ وما بعدها.

(٣) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٥٩٠.

(٤) الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/٢٤١-٢٤٣.

(٥) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٣٥٦. القابسي، الرسالة المفصلة، ص٣١٧.

أمّا عن إلحاق يوم الخميس بالجمعة فتذكر بعض المصادر قصة لذلك خلاصتها أنَّهُ «لما خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشام عام فتحها، ومكث شهراً، ثمَّ رجع إلى المدينة، وقد استوحش الناس، فخرجوا للقائه، تلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلـــك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجُمُعة فتعبوا في خروجهم ورجوعهم، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين، فصار ذلك سنة متبعة، ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة»(١).

وثمة عُطل أخرى للكتاتيب على العرف المشتهر المتواطأ عليه، وهي: «ثلاثة أيـــام في عيد الفطر،... وخمسة أيام في الأضحى، يوم قبل النحر وثلاثة أيام النحر، واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق، ثمَّ يعودون (أي التلاميذ) إلى معلميهم في اليوم الخـــامس مـــن أيام النحر وهذا أوسط الرفق»(٢). ويظهر أن ذلك العرف استمر في المديـــنة — وفي غيرها - إذ «اقتدى به السلف في الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا...»(٣).

أمَّـــا المكان الذي كان يوجد به الكتّاب الخاص بتعليم الصبيان، فيبدو أنَّهُ لم يكـــن ثابتاً، فقد يكون بيت المعلم أو حانوتاً أو بيتاً خاصاً أو ما شابه ذلك، ويبدو أيضاً أن هذه المسألة يتعاون عليها أولياء أمور الأولاد مع المعلم، فأحياناً يقوم أولياء الأمـــور بإيجار المكان وقد قيل في ذلك: «إذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين سنة معلومة، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم»(٤)، أو أن المعلم يقوم باتخاذ المكان، يقول القابسي: «واتخاذ المكان عليه، كان بيتاً أو حانوتاً، إلاً أن يدعى إلى صبيان بأعيانهم»(٥).

وقـــد وردت توصيات تعكس وجهة نظر فقهاء المدينة بعدم اتخاذ المسجد مكانـــاً لتعليم الصبيان، فقد سُئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد، فقال: «لا

(١) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٢. أيضاً: الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢/٢٩٤.
(٢) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٣١٧.
(٣) الكتاني التراتيب الإدارية، ٢/٢٩٤.
(٤) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٩٥.
(٥) ن.م، ص٢٩٥.

أرى ذلك يجوز لأنَّهم لا يتحفظون من النجاسة...»[١].

وورد في كتاب الحسبة ما يؤيد ذلك، قال الشيزري عن مؤدبي الصبيان: «لا يجوز لهم تعليم الخط للصبيان في المساجد؛ لأنَّ النَّبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين... بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق...»[٢]. ويبدو أن الفقهاء والكتاب يركزون على نهي تعليم الصبيان الكتابة والخط في المسجد، لما يترتب على ذلك من إلحاق الأذى بالمسجد، وتنتفي مسألة المحافظة على نظافته. ومع ذلك ورغم وجود مثل هذا التحذير، فقد وجدت زوايا في المساجد لتعليم الأطفال، وإلا فما سئل الإمام مالك عن رأيه في تعليم الأطفال في المسجد، على أن الإمام مالك لا يرى بأساً بالمجيء بالصبيان إلى المساجد إذا لزموا الأدب، فقد سئل عمَّن يأتي بالصبي إلى المسجد: «أتستحب ذلك؟ قال: إن كان بلغ موضع الأدب وعرف ذلك، ولا يعبث بالمسجد فلا أرى بأساً...»[٣].

أجور التعليم: كان التعليم في صدر الإسلام تطوعاً، ولم يكن التعليم وقتها قد اتخذ مهنة، ولاسيما في المدينة المنورة، ويعلل باحث محدث ذلك بقوله: «والروح الذي دفع المسلمين في صدر الإسلام إلى القيام بتعليم القرآن والكتابة تطوعاً، هو ذلك الروح الديني الذي استغرق النفوس، فملأ القلوب وعمرها بالإيمان...»[٤]. وقال آخر: «إن المعلمين لم ينتحلوا التعليم حرفة للمعاش، بل علموا القرآن لغرض ديني، وحباً بالعمل، لا للأجرة وللانتفاع، ولذا فلا بد أن يكون قد قام أولاً بأمر التعليم كبار القوم، أولئك الذين كانوا مستقلين استقلالاً اقتصادياً»[٥]. ولهذه النظرية ما يؤيدها عند ابن خلدون إذ يقول في ذلك: «وإن التعليم في صدر الإسلام

(١) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٩٥.

(٢) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح. الباز العريني، بيروت، بلا.ت، ص١٠٣. القرشي، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة، دار الفنون، كيمبردج، ١٩٣٧، ص١٧٠.

(٣) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٩٥.

(٤) الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص١٩١.

(٥) طوطح، التربية عند العرب، ص٣٦.

والدولتين لم يكن كذلك، ولم يكن العلم بالجملة صناعة، إنَّما كان نقلاً لما سمع من الشارع، وتعليماً لما جهل من الدين على جهة البلاغ، فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملّة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي...»[١]. غير أن هذه النظرة على الرغم من بقائها في جوانب من الحركة التعليمية، إلاّ أنها تضاءلت بمرور الزمن، إذ لما انتشر الإسلام وتوسعت رقعته، أصبح من العسير على المسلمين وجود من يعلم أولادهم «ويحبس نفسه عليهم ويترك التماس معايشه... صلح للمسلمين أن يستأجروا من يكفيهم تعليم أولادهم ويلازمهم لهم»[٢].

يقول ابن خلدون[٣]: «... وصار التعليم ملكة يحتاج إلى التعلّم، فأصبح من جملة الصنائع والحرف...». لذا نشأت الكتاتيب، وظهر مع ظهورها الحاجة إلى تحديد العلاقة بين المعلم والتلميذ، وبما أن القرآن الكريم كان المحور الذي يدور عليه التعليم في الكتّاب، بل هو السبب في ظهورها، فقد برزت مشكلتان، الأولى، أخذ الأجر على تعليم القرآن، وهل يجوز ذلك أو لا يجوز؟ والثانية، قبول المعلم الأجر على علوم أخرى غير القرآن»[٤].

ويبدو أن النظرة الواقعية لفقهاء المدينة جعلتهم يعالجون مسألة الأجور على التعليم، فقد أجازوا ذلك[*]، فالإمام مالك ينقل عن شيوخه قوله: «كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين – معلمي الكتّاب – بأساً»[٥].

وكذلك كان للإمام مالك الرأي نفسه، قال ابن وهب في موطئه: «سمعت مالكاً يقول: لا بأس بأخذ الأجر على تعليم القرآن والكتاب، قال: فقلت لمالك:

(١) ابن خلدون، المقدمة (ط دار القلم)، ص٣٠.

(٢) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٦٩.

(٣) المقدمة، ص٣٠.

(٤) ينظر: الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص١٩١-١٩٢.

(*) ينظر عن الأحاديث النبوية الواردة في جواز أخذ الأجر على التعليم والرقية وغير ذلك: البخاري، الصحيح، ٧/١٧٠-١٧٣.

(٥) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٩٥.

أفرأيت إذا شرط مع ماله من الأجر في ذلك شيئاً مسمى كل فطر أو أضحى؟ قال: لا بـــأس بذلك»[١]. ويرد شيء مماثل عند مالك في قصة يرويها ابن وهب كشاهد عـــيان عن حالة معلم من المدينة، يقول: «كنت جالساً عند مالك فأقبل إليه معلم الكتّاب فقال له: يا أبا عبد الله إني رجل مؤدب الصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارط، وقد امتنع النَّاس عليّ، وليس يعطونني كما كانوا يعطون، وقد اضطررت بعـــيالي وليس لي حيلة إلاّ التعليم، فقال له مالك: اذهب وشارط، فانصرف الرَّجل، فقـــال لـــه بعض جلسائه: تأمره أن يشترط على التعليم؟ فقال لهم مالك: نعم فمن يمحّط لنا صبياننا؟ ومن يؤدبهم لنا؟ لولا المعلمون أيّ شيء كنا نكون نحن»[٢].

وكانت هناك أوقات متعارف عليها يراعى فيها التعليم في الكتّاب وهي:

أ. بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى: ويظهر أنَّهُ من الأوقات الجيدة والمناسبة، حيث أن الإنسان يكون في غاية نشاطه في هذه المدة من اليوم. فقد روي عن الصـــحابي أنس بن مالك ﷺ قال: كانوا إذا صلّوا الغداة (أي الصبح) قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن...»[٣]، ويبدو أن هذا التقليد كان متبعاً منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فيذكر أنَّهُ «أمر المعلم بالجلـــوس بعـــد صلاة الصبح إلى الضحى العالي...»[٤]، وبعد ذلك يذهب الطـــلاب إلى بـــيوتهم يأخـــذون متسعهم من الراحة، ويتناولون غذاءهم، ثمّ يعودون إلى الكتّاب[٥].

ب. مـــن صلاة الظهر إلى صلاة العصر: وهذه هي المدة الثانية في اليوم، «إذ يعود الصـــبيان إلى الكـــتّاب بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ويستريحون بقية

(١) م.ن، ص٢٩٦.

(٢) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٧٠.

(٣) الهيثمـــي، مجمـــع الـــزوائد، ١٣٢/١، الكاندهلوي، حياة الصحابة، ٢٠٨/٣. الكتاني، التراتيب الإدارية، ٢٠٨/٢.

(٤) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٣.

(٥) الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، ص٢٢.

النَّهار...»[١].

أمَّا السن التي يلتحق بها الصبي في الكتّاب فهي كما يبدو مبكرة، وهي ترتبط بمدى إدراك الصبي وتمييزه. والراجح أنها لم تكن محددة بسن معينة، فهي بين السنة الخامسة والسنة السابعة. والحديث المشهور عن النَّبي ﷺ أَنَّهُ رغّب ولاة الأمور بتعليم أولادهم الصَّلاة وهم أبناء سبع، فقال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[٢].

ومن أمثلة من درس وهو صغير في الكتّاب، زيد بن ثابت، فقد رآه عبد الله بن مسعود في الكتّاب «وكانت له ذؤابة»[٣]، وممن أخذ العلم أيضاً وهو صغير، عبد الله بن عباس، والحسن بن علي، وسهل بن سعد الساعدي، والنعمان بن بشير الأنصاري،... وغيرهم[٤].

أمَّا عن العمر التي ينتهي عندها تعلّم الصبي في الكتّاب فهي الأخرى غير محددة، ومع أنها لم تذكر صراحة، غير أنها ربَّما تصل إلى سن الاحتلام، فقد قيل في ذلك: «وربَّما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام...»[٥].

منهج الكتاتيب في التعليم:

كان المعلمون يعلمون علوماً أساسية في الكتاتيب تتناسب وقابلية الطفل ومستوى إدراكه، وكان يقف على قائمة المواد التي تعلم للصبيان في هذه المرحلة (القرآن الكريم)، فهو «أول العلوم التي ينبغي أن يدرسها الصبيان، بل هو المحور الذي يدور عليه التعليم في الكتاتيب[٦]، ووجهة الضرورة في تعليم القرآن عند الفقهاء والمعلمين للأولاد تعود إلى ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحثّ

(١) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٣. الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، ص٢٢.

(٢) أبو داود، السنن، ١٣٣/١.

(٣) ابن حنبل، الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)، المسند، ط دار صادر، بيروت، بلا.ت، ٣٨٩/١.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٥٥-٥٩. السيوطي، تدريب الراوي، ٥/٢-٨.

(٥) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٢٨٦.

(٦) الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص١٤٦-١٤٧.

على تعلم القرآن وتعليمه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (فاطر/٢٩)، ففي هذه الآية جمع بين قراءة القرآن وإقامة الصلاة، والصلاة التي ينبغي أن يتعلمها الصبي لا تصح إلاّ بقراءة شيء من القرآن.

ووردت أحاديث نبوية كثيرة في الحث على تعلم القرآن وتعليمه، أشهرها قول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[١]. أمَّا كونه على رأس المواد التي تعلم في الكتاتيب، فالراجح أن الصبي يكون في هذه المرحلة أكثر تقبلاً واستيعاباً للحفظ والاستظهار من غيرها من المراحل.

وكان تعليم القرآن في الكتاتيب المدنيّة يتم على طريقتين:

الأولى، التلقين: فكان المعلم يحفّظ الطالب آيات القرآن عن ظهر قلب، إذ يقوم المعلم بقراءة آية أو مقطع، ثمَّ يرددها الصبيان من بعده، وهكذا، يلقن الفهيم من غير كتب...»[٢].

الثانية، الكتابة: وذلك بأن تتم الكتابة على ألواح ثمَّ تغسل الألواح ويعاد الكتابة عليها، وقد روى أنس بن مالك هذه الطريقة بقوله: «كان المؤدب له إنجانة، وكل صبي يجيء كل يوم بنوبته ماءً طاهراً فيصبه فيها فيمحون بها ألواحهم»[٣]. وقد يحتاج بطيء التعلم إلى كتابة أكثر في الألواح، كما نقل المكي عن عنوان البيان، أمر الخليفة عمر رضي الله عنه لمعلم الكتّاب قوله: «وأمره أن يكتب للبليد في اللوح»[٤].

وإلى جانب تعليم القرآن الكريم، كان يعلم الصبيان (الكتابة): ويبدو أنهم يتعلمون كتابة الحروف (الخط) مفردة لأول مرة، ويعتمدون طريقة التهجي لحفظها، كما يظهر من قصة الأعرابي الذي أرسله الخليفة عمر رضي الله عنه إلى الكتّاب، فذكر قوله[٥]:

---

(١) ابن ماجة، السنن، ١/٧٧، رقم الحديث (٢١١).

(٢) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٣. الأهواني، التعليم في رأي القابسي، ص٤٧.

(٣) ابن سحنون، آداب المعلمين، ص٣٥٣-٣٥٤. القابسي، الرسالة المفصلة، ص٣١٦-٣١٧.

(٤) الكردي المكي، تاريخ القرآن، ص١٢٢.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، (مادة أبجد)، ٧/٤٠٢. وقد سبق إيراد قصة الأعرابي في أول هذا المبحث.

فخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلّم سعفصا وقريشات
وما أنا والكتابة والتهجي وما خط البنين من البنات

وهذا يعني أنهم يتعلمون الحروف على الطريقة الأبجدية كتابة وقراءة، وذلك أمر طبيعي لكي يحفظوا القرآن.

كذلك كان يعلم الأولاد في المكاتب بعض (الشعر والأمثال): فمن الرسالة التي كتبها عمر بن الخطاب ﷺ إلى ولاته في مسألة تعليم الأولاد يقول: «... ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر»[١]. فكانوا في بعض مكاتب المدينة يكتبون شعر حسان بن ثابت ﷺ في رقاع ويحفّظونها الصبيان لجمالها ورقتها[٢]. وكان يراعى تعليم الشعر النافع المناسب لأعمار الأولاد وما له علاقة، في فضل الأدب، ومدح العلم، وذم الجهل، وما فيه حثٌ على بر الوالدين، واصطناع المعروف، وقرى الضيف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق[٣].

أمَّا (اللغة العربية والنحو): فقد كان يعلّم الأولاد إياها في مرحلة متقدمة من دراستهم في الكتّاب، ومن أهل المدينة ممن نقل عنه أنَّهُ علّم هذه العلوم في المكتب، علقمة بن أبي علقمة، أورد ذلك ابن قتيبة فقال: «ومن المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة، كان يروي عنه مالك بن أنس، وكان له مكتب يعلّم فيه العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور»[٤]. وقد شجع علماء المدينة دراسة النحو لخدمة القرآن، قال الليث بن سعد: «سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن تعليم النحو لإعراب القرآن فقال: وددتُ لو أني أحسنه»[٥].

كما كان الصبي يُعلَّم فضلاً عن ذلك: الحساب، وشيئاً من السيرة النبوية.

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، القاهرة، ١٩٨٥، ٢/١٨٠.
(٢) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحـ. سامي العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص٢٤٩.
(٣) ينظر: الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، ص٣١.
(٤) ابن قتيبة، المعارف، (ط دار الكتب العلمية)، ص٣٠٥.
(٥) القابسي، الرسالة المفصلة، ص٣٠٥.

٣. بيوت العلماء:

يمكننا القول بأن التعليم في الإسلام جرى في المنزل قبل أن ينشأ المسجد، وأول دار يمكن أن نعدّها مستخدمة لغرض تعليمي، هي دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي. فقد اتخذها الرسول ﷺ في أول الدعوة، يلتقي فيها أصحابه، ليعلمهم مبادئ الدين الجديد، ويقرئهم ما نزل من آيات الذكر الحكيم(١).

وبعد الهجرة إلى المدينة كان بيت النَّبي ﷺ في بعض الأحيان مكاناً يتم فيه تعلّم المسلمين عندما كانوا يقصدون النَّبي ﷺ يسألونه عن أمور دينهم، ودليل ذلك أن آية كريمة نزلت بالمدينة خفف الله بها عن الرسول ﷺ ما كان يلقاه من تدفق الجموع على بيته، وهي قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾(٢) (الأحزاب/٥٣).

ويتضح من الآية أن منزل الرسول ﷺ فقط هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة، وقد فهم من هذا عدم الرغبة في اتخاذ البيوت مكاناً للدرس، غير أن ذلك لم يرق إلى درجة المنع، فلظروف خاصة، أصبحت بيوت كثيرة في المدينة - كما في غيرها - ملتقى للطلبة والمدرسين، ومركزاً علمياً هاماً على الرغم من انتشار المساجد.

وتعدّ بعض البيوت التي تعود في الظاهر لبعض الأشخاص في المدينة، مكاناً شهد نشاطاً علمياً متخصصاً، ولاسيما قراءة القرآن وتعليمه، فقد أورد ابن سعد خبراً عن دار تُسمى دار القراء تعود لمخرمة بن نوفل، إذ يقول: «إن ابن أم مكتوم، قدم المدينة بعد بدر بيسير فنزل دار القراء وهي دار مخرمة بن نوفل»(٣)، ويعلق أحد

---

(١) عن اتخاذ هذه الدار للتعليم والدعوة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) غير ناظرين إناه: أي غير متحينين نضجه واستوائه، وهذا دليل على تحريم التطفل، وهو أن يترقب الإنسان الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرض للدخول على أهل ذلك البيت دون إذن مسبق. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٥٠٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٤/١٥٠.

الباحثين على هذا النص بقوله: «إن وجودها في ذلك التاريخ المبكر يدل على نشاط القراء الأوائل، وتركيز اهتمامهم على قراءة القرآن وتعليم النَّاس مما يعزز مركز الإسلام في المدينة»[١].

وثمة إشارة أخرى إلى دار أخرى تسمى دار القراء هي دار عبد الله بن مسعود[٢]، ويظهر أنها كانت مخصصة هي الأخرى لدراسة القرآن وحفظه وإقرائه، وأنه كان ينزل فيها جماعة من حفظة القرآن. وبعد أن دخل سعد بن معاذ في الإسلام، اتخذت داره مقراً لتعليم النَّاس القرآن ومبادئ الدين الحنيف للمعلمين الأوائل من المسلمين فقد «حوّل سعد بن معاذ مصعب بن عمير وأبا أمامة أسعد بن زرارة إلى داره، فكانا يدعوان النَّاس إلى الإسلام في دار سعد بن معاذ...»[٣].

ومن البيوت الأخرى في المدينة التي كان النَّاس يتلقون فيها العلم، أو التي كانت ملتقى علمياً للناس، هي: دار عبد الله بن عباس، فقد أخرج الحاكم النيسابوري[٤]، عن أبي صالح قال: «لقد رأيت من ابن عبَّاس ﷺ، مجلساً... رأيت النَّاس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق... فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه... فتوضأ وجلس، وقال: اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل، قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلاَّ أخبرهم به وزادهم... ثمَّ قال: إخوانكم فخرجوا...». وهكذا يأذن لمن يسأل عن الفقه فيدخل فيمتلئ البيت ويجيبهم، ثمَّ يدخل أهل الفرائض... وأخيراً يدخل من يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام، وفي كل مرة يمتلئ البيت، وهو يجيبهم عن أسئلتهم. قال أبو صالح: «فما رأيت مثل هذا لأحد من النَّاس»[٥].

---

(١) هادي حسين حمود، القرّاء (رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة)، ص٣١-٣٢.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ٢/٥١٧، ٥٣٩، ٧٢٨، ذكرها ضمن الحديث عن توسعة المسجد النبوي في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٣/٤٢٠-٤٢١.

(٤) المستدرك على الصحيحين، ٣/٥٣٧-٥٣٨. أيضاً: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٣٢٠-٣٢١.

(٥) المستدرك على الصحيحين، ٣/٥٣٧-٥٣٨. أيضاً: أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٣٢٠-٣٢١.

ومنها: دار عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ)، فقد ذكر الإمام مالك أنَّهُ كان يتـتلمذ عليه في بيته، فيقول: «... وكنت آتي ابن هرمز من بكرة، فما أخرج من بيته حتى اللَّيل»[(١)].

ومنها: دار الإمام مالك بن أنس، كانت تشهد نشاطاً علمياً كبيراً، فقد وصف أحـد تلامـذة مالك ذلك بقوله: «كنا نجتمع على بابه، فإذا توافينا صرخ الآذن، ليدخل أهل المدينة ثم يؤذن لغيرهم فيدخل عليهم فيسلم ويسكت،... فإذا رأى منا ازدحاماً قال: توقروا فإنَّه عون لكم، وليعرف صغيركم حق كبيركم»[(٢)]، ويذكر أن مالكاً عوتب في تقديمه الإذن لأهل المدينة للدخول إلى بيته للتعليم فقال: «أصحابي وجيران رسول الله ﷺ»[(٣)]، ولما ذهب الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) للحج وزار المديـنة، بعـث بولديه الهادي والرشيد إلى بيت مالك ليتعلّموا منه[(٤)]. ويصف ابن سـعد مكان الدرس الذي كان يتلقى فيه النَّاس العلم في بيت مالك فيقول: «وكان مالك يجلس في بيته على ضجاع له ونمارق مطرّحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتيه من قريش والأنصار والناس... وكان مجلسه مجلس وقار وحلم...»[(٥)].

المرأة في المدينة المنورة والحياة الفكرية:

جاء الإسلام بتكاليف وعبادات يستوي فيها كلا الجنسين، وقد رفع الإسلام من مكانة المرأة ودعا إلى مشاركتها في الكثير من جوانب الحياة العامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٠.

(٢) عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ٢/١٤-١٥.

(٣) عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ٢/١٤-١٥.

(٤) ن.م، ٢/٢٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة...)، ص٤٤٢.

(الأحزاب/٣٥). ومن هذه الآية وآيات أخرى وأحاديث شريفة يتبين لنا أن الإسلام قرن المرأة بالرجل في كثير من الأعمال العبادية والتكليفية[١]. ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيل مكانة المرأة في الإسلام بقدر ما نريد الوقوف على جانب من إسهامات المرأة في المدينة في الحياة الفكرية التي هي جزء مكمل للحياة العامة في الإسلام.

فالذي كان معروفاً عند بدء ظهور الإسلام هو أن عدداً قليلاً من النِّساء كنَّ يعرفن القراءة والكتابة، ويرد عند البلاذري أن النَّبي ﷺ شجّع على تعليم إحدى زوجاته الكتابة وهي أم المؤمنين حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما)، فقد قال النَّبي ﷺ للشفاء بنت عبد الله العدويّة من رهط عمر بن الخطاب ﷺ، «ألا تعلّمين حفصة رقية النملة، كما علمتيها الكتابة»[٢]. وهذا تمّ بالمدينة. ثمّ إن البلاذري عدّد بعض النِّساء الكاتبات في صدر الإسلام وذكر منهن «حفصة (أم المؤمنين)، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد التي قالت: علّمني أبي الكتاب»[٣].

ويورد البخاري ما يفيد أن النِّساء في عهد النَّبي ﷺ طلبن منه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه، فقبل ذلك، فقد روى أبو سعيد الخدري قال: «قالت النِّساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنّ يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»[٤]. ثمّ إن بعض النِّساء كنّ يأتين إلى بيت النَّبي ﷺ بالمدينة يسألن عن بعض الأمور التي تخصّ دينهن وحياتهنّ الخاصة[٥]، حتى أن عائشة (رضي الله عنها) أشادت بنساء المدينة اللواتي كنّ يسألن عن أمور الدين، فقالت: «نعم النِّساء نساء

(١) من الدراسات والبحوث القيّمة في هذا الموضوع: ينظر: طبّارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦، ص٣٥٦-٣٨٩. أيضاً: الكبيسي، أحمد عبيد، فلسفة نظام الأسرة في الإسلام، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٩٠، ص٩٢ وما بعدها.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٨.

(٤) البخاري، الصحيح، ٣٦/١.

(٥) ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٦٥/١.

الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهنَ فيه»[١].

وروت الكثير من النِّساء المدنيّات الحديث عن النَّبي ﷺ، وعلى رأسهن أمهات المؤمنين، فقد روت عائشة (رضي الله عنها) «ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديـــث»[٢]، وروت أم سلمة «ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً»[٣] وروت ميمونة «ســـتة وســـبعين حديثاً»[٤] وأم حبيبة «خمسة وستين حديثاً»[٥]، وحفصة «ستون حديـــثاً»[٦]. ومن غير أمهات المؤمنين، روت أسماء بنت يزيد بن السكن «واحداً وثمانين حديثاً»[٧]، وأسماء بنت عميس «روت ستين حديثاً»[٨]، وأسماء بنت أبي بكر «ثمانية وخمسين حديثاً»[٩]، وغيرهن، وممن اشتهر بالحديث من النِّساء التابعيات في المديـــنة عمـــرة بـــنت عبد الرحمن، وهي التي طلب الخليفة عمر بن العزيز (٩٩-١٠١هـ) تدوين حديثها، إذ كتب إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم قائلاً: «انظر مـــا كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة، فاكتبه، فإني خفـــت دروس العلم وذهاب أهله»[١٠]. وفي هذا وغيره ما يدل على مشاركة المرأة في المدينة في الحياة الفكرية أبان المدة التي نعنيها في هذا الكتاب.

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٨٨/١.

(٢) ابـــن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، دار المعارف، مصر، بلا.ت، ص٢٧٦.

(٣) ن.م، جوامع السيرة، ص٢٧٦.

(٤) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

(٥) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

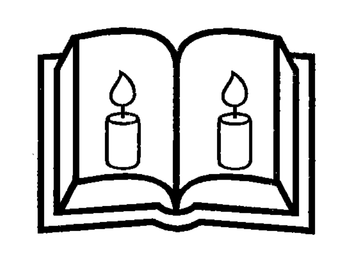
(٦) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

(٧) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

(٨) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

(٩) ن.م، ص٢٧٨-٢٦٩.

(١٠) الخطيب، تقييد العلم، ص١٠٥.



الفصل الثالث

علوم القرآن

القرآن لغة: مصدر قرأ يقرأ، وهو اسم خاص بكلام الله تعالى، وإطلاق لفظ القرآن على كتاب الله أمر توقيفي؛ لأنَّ الله هو الذي سمّاه بذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء/٩). ولذلك صار علماً بالغلبة(١).

ومعناه في الاصطلاح: الكلام المعجز المنزل على النَّبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر المتعبّد بتلاوته وأحكامه(٢).

ومـنذ أن نزل القرآن الكريم على النَّبي محمد ﷺ، اقترن به النشاط الفكري في تاريخ الإسلام فقد تعاهده المسلمون حفظاً ودراسة وتطبيقاً -كما أسلفنا من قبل-(٣) وكـان من نتائج هذا النشاط وهذا الاهتمام بالقرآن الكريم أن نشأت علوماً معينة، علـى صلة بالقرآن، وكان من أهمها القراءات القرآنية، ذلك أن قراءة القرآن على الـوجهة الصحيحة التي نزل بها، والتي تلقاها الصحابة عن النَّبي محمد ﷺ، هي شغل المسـلمين الشاغل، وتفرع من القراءات علم الرسم القرآني، وإلى جانب القراءات نشـأ علم التفسير الذي اقترن هو الآخر بنزول القرآن الكريم، فكان النَّبي محمد ﷺ يفسّـر للصحابة ما يحتاجون إليه، ويبيّن لهم أحكامه، وزاد الاهتمام بهذا العلم بعد

---

(١) ابـن منظور: لسان العرب، مادة (قرأ)، الزبيدي، تاج العروس، مادة (قرأ). وينظر: السعدي، عبد القادر عبد الرحمن، أثر الدلالة النحوية واللغوية... وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٨٦، ص١٥.

(٢) الزركشي...، البرهان في علوم القرآن، تحـ. محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧، ١/٢٧٧. السـيوطي...، الإتقان في علوم القرآن، طبعة دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ١/ ٨٠. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٧. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة، ١٩٥٤، ١/١٩.

(٣) انظر: ما كتب في فصل التعليم، ص٤٤ وما بعدها.

عهـــد النبوة لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، وكثرة من دخل في الإِسلام من الأُمـــم والشعوب التي كانت بحاجة إلى فهم القرآن، وتفرع منه علوم قرآنية منها، أسباب النزول والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمكّي والمدني، وغير ذلك.

وخـــلال قـــرنين مـــن الزمان برز عدّة علماء في المدينة أرسوا قواعد علمَيّ القـــراءات والتفسير حتى غدا لكل منهما مدرسة متميزة في المدينة، كما سنرى من دراستنا لهذين العلمين الأساسيين من علوم القرآن.

القراءات:

يعـــرف علم القراءات بأنه: علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حـــيث وجـــوه الاخـــتلافات المتواترة، وفائدته: صون كلام الله تعالى عن تطرّق التحريف والتغيير[1]. أو: هو علم بكيفيات أداء كلمات (القرآن الكريم) من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف[2].

نشـــأت القـــراءات مرادفة للفظ الموحى من الله تعالى، ويعزى إلى كونها أمراً «توقيفياً» ما أورده البخاري... عن ابن عبَّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرأني جـــبريل علـــى حـــرف فـــراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[3]. والواقع أن تعدد حروف القراءة – فضلاً عن كونه أمر توقيفي – فإنَّما قصـــد منه التيسير في قراءة القرآن، فيروى عن أبيّ بن كعب قال: «إن النَّبي ﷺ... أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا...»[4].

لقد ظهرت التعددية في القراءات القرآنية منذ عهد النَّبي ﷺ، وحرص الصحابة ﷺ علـــى اســـتيعابها، من ذلك ما رويَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّهُ قال: «سمعت

---

(١) طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ٢/٦.

(٢) السيوطي، الإتقان، ١/٨٠، وينظر: محيسن، محمد سالم، القراءات وأثرها في علوم العربية، القاهرة، ١٩٨٤، ١/٩.

(٣) البخاري، الصحيح، ٦/٢٢٧، مسلم، الصحيح، ٢/٢٠٢.

(٤) مسلم، الصحيح، ٢/٢٠٣-٢٠٤.

هشـــام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها النَّبي ﷺ... فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: اقـــرأ يـــا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت، ثمَّ قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت، ثمَّ قال: إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسّر منه»(1). وثمة رواية أخرى أوردها الداني شبيهة بهذه، غير أنها نسبت إلى عمرو بن العاص ورجل آخر، فلما احتكما إلى رسول الله ﷺ أقرّ قرائتيهما وقال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، بأي ذلك قرأتم أصبتم»(2).

ويعطي الداني معاني متعددة للأحرف السبعة منها ما قاله: «فأمَّا معنى الأحرف السبعة التي أرادها النَّبي ﷺ فإنَّه يتوجه إلى وجهين، أحدهما: أن يكون يعني أن القرآن على سبعة أوجه من اللغات، والحرف قد يُراد به الوجه بدليل قوله تعـــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ (الحج/11)، والوجه الثاني أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السّعة كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وما جاوره،... أو أن النَّبي ﷺ سمى القراءة حرفاً وإن كان كلاماً كثيراً من أجل أنها حرفاً قد غيّر نظمه، أو كسر، أو قلب إلى غيره، أو أميل، أو زيد، أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة»(3).

ويجب أن يُفهم أن حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النَّبي ﷺ اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضادّ وتناقض؛ لأنَّ هذا محال أن يكون

(1) البخاري، الصحيح، ٦/٢٢٧-٢٢٨. ابن حنبل، المسند، ١/٤٠.
وينظـــر: القاضي، عبد الفتاح، «القراءات بين حقيقة التوقيف ودعوى الاجتهاد»، بحوث قرآنية، المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١، ص٨٢-٨٣.

(2) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، الأحرف السبعة للقرآن، مكة المكرمة، ١٩٨٨، ص١١.

(3) الداني، الأحرف السبعة للقرآن، ص٢٨. أيضاً: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢١٣.

في كلام الله تعالى قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النِّساء/٨٢). وأن هذه القراءات – على أية حال – ثابتة كلها بالنقل المتواتر عن النَّبي ﷺ نفسه[1]. يقول الداني في ذلك: «إنها (أي القراءات) هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله ﷺ، وأقرأ بها، وأباح الله تعالى لنبيّه القراءة بجميعها، وصوبَ الرسول ﷺ من قرأ ببعضها دون البعض»[2].

على أنَّهُ يجب التفريق بين القراءات المأثورة عن النَّبي ﷺ والتي نصَّ عليها الحديث وبين القراءات المنسوبة للقراء السبعة، وهي التي رواها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)[3]. يقول السيوطي في ذلك[4]: «وقد ظنَّ كثير من العوام أن المراد بها (أي الأحرف) القراءات السبع وهو جهل قبيح»، ويوضح ابن الجزري هذا التفريق أكثر عندما يقول: «... لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنهُ بعض العوام؛ لأنَّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا، وأول من جمع قراءتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة»[5].

أثر القراءات في جمع القرآن وتدوينه ودور المدينة في ذلك:

لم تظهر في عهد النَّبي ﷺ في المدينة المنورة أية مشكلة تخصّ الاختلاف في القراءة، حيث كان النَّبي ﷺ يحسم ذلك الخلاف إن وقع بين الصحابة بسبب تفاوت

---

(١) ينظر: محيسن، القراءات وأثرها...، ص٣٥. لبيب السعيد، «دراسة في القراءات القرآنية» بحوث قرآنية، المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١، ص١٠٠.

(٢) الداني، الأحرف السبعة للقرآن، ص٥٣.

(٣) السيوطي، الإتقان، ٤٩/١. وينظر: رمضان عبد التواب، القراءات القرآنية، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، لسنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص٩٢. والقراء السبعة هم: عبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ)، وعبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ)، وعاصم بن بهدلة (ت ١٢٨هـ)، وعمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وحمزة بن حبيب الزيّات (ت ١٥٦هـ)، ونافع بن أبي نعيم المدني (ت ١٦٩هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ).

(٤) الإتقان، ٤٩/١.

(٥) ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت، ٢٤/١. وقد ذكر ابن الجزري في كتابه هذا القراءات العشر المعروفة وبقية قراءات أخرى شاذّة لم يُعر لها الأئمة والفقهاء أهمية كبيرة.

درجة أخذهم للقراءة عنه، فقد ثبت أن بعض الصحابة «أخذ قراءة واحدة (حرفاً واحداً)، ومنهم من أخذ حرفين، ومنهم من أخذ أكثر من ذلك»(١)، وأن الرسول ﷺ كان يقرّ ذلك جميعاً – كما سبقت الإشارة – وظل الأمر كذلك في عهد الخليفة الصديق ﷺ، إلاً أن الأمر الجديد الذي حصل في خلافة أبي بكر ﷺ هو جمع القرآن وتدوينه، فعلى الرغم من أن القرآن دوّن في عهد النّبي ﷺ وكان الصحابة يحفظونه، إلاً أنّــهُ لم يجمع في مصحف واحد، فقد كان مفرّقاً بين الصحابة أنفسهم(٢)، وكان السبب الدافع لهذا الجمع هو استشهاد بعض حملة القرآن في المعارك وقد أشار عمر بن الخطاب ﷺ على الخليفة الصديق بذلك، قائلاً: «إنّ حملة القرآن قد قتل أكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن فإني أخاف أن يذهب حملته(٣). وقد اختير لهذا العمل الجليل الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري (ت ٤٥هـ)، فأشرف على جمع القرآن وتدوينه وكان من قبل «كاتباً للنبي ﷺ»(٤). ويصف أبو عبد الله المحاسبي(*) جمع القرآن في عهد أبي بكر بقوله: «كتابة القرآن والأكتاف والعسب وإنّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشراً، فجمعها وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء...»(٥).

---

(١) ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تح. إبراهيم عطوة عوض، مصر، ١٩٦١، (مقدمة المحقق)، ص٢١.

(٢) ينظر، السيوطي، الإتقان، ٥٧/١.

(٣) ينظر لذلك: البخاري، الصحيح، ٨٩/٦، الطبري، جامع البيان، ٢٠/١.

(٤) ابن الجزري...، غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٢، ٢٩٦/١. وينظر: الدوري، غامس خضير، زيد بن ثابت...، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٨، ص١٤٠.

(*) أبو عبد الله المحاسبي: هو الحارث بن أسد، كان عالماً بالأصول والمعاملات، وهو من أكابر الصوفية، وأستاذ أكثر البغداديين في عصره، توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ. ترجمته عند: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان...، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٢، ٥٧/٢-٥٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٣٤/٢-١٣٥.

(٥) الزركشي، البرهان، ٢٣٨/١. السيوطي، الإتقان، ٥٨/١.

أمَّا عن علاقة عمل هذا المصحف بعلم القراءات، فإنَّه فضلاً عن كونه قد حظي بإجماع الأمة، وتواتر ما فيه فإن طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن، فشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عهد الرسول الأمين ﷺ[(١)].

لقد كان للقراءات أثر كبير في جمع القرآن وتدوينه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٦هـ). فبالرغم من أن عمل المصحف الواحد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه قد أوجد للمسلمين نسخة يمكن أن نعدّها (رسميّة) إلاَّ أنَّهُ كان يوجد لدى عدد معين من الصحابة نسخ من المصحف خاصة بهم، منهم أبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عبَّاس (رضي الله عنهما)، وفيها بعض الألفاظ التي قد تتفاوت في قراءتها عن النسخة الرسميّة، أو عن بعضها البعض[(٢)].

وبعد عمليات التحرير والفتوح التي حدثت في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وشطراً من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، انتشر بعض الصحابة في الأمصار، ولا سيما إلى العراق والشام، واشتهرت قراءتهم في هذه الأمصار فأخذت الكوفة عن قراءة عبد الله بن مسعود، وأخذت الشام عن أبيّ بن كعب والمقداد بن الأسود[(٣)].

وفي عام (٢٤ و٢٥ للهجرة) ظهر التفاوت في القراءات على أشدّهِ بين أهل الشام وأهل العراق في حملة فتح أرمينية، وكان في هذه الحملة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان الذي قدم على الخليفة بخبر اختلاف النَّاس في القراءة، فقد روى ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال: «إنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل

---

(١) ينظر: السيوطي، الإتقان، ١/٦١-٦٢. الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٧٨.

(٢) عن هذه النسخ، ينظر: السجستاني، أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ)، المصاحف، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦، ص٥٣-٥٤ وص٧٣.

(٣) ينظر: السيوطي، الإتقان، ١/٨٢-٨٣. أيضاً: الزرو، خليل داود، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١، ص٣٣.

أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى...»[١]، وكان من بين مظاهر الاختلاف التي أشار إليها حذيفة أن أهل كل مصر كانوا يعدّون قراءتهم أفضل من قراءة أهل المصر الآخر، فقال في ذلك: «رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤوا على ابن مسعود...»[٢]. وذلك مما زاد في إصرار الخليفة عثمان ﷺ على توحيد النسخ القرآنية.

وهنا يبرز دور المدينة القيادي في الفكر والعلم - فضلاً عن الإدارة والسياسة - فتتصدر ثانية لجمع القرآن الكريم وتدوينه، لجمع كلمة المسلمين على نهجٍ واحد في أهم ما يشغل حياتهم وهو «كتاب الله» فقد قام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بتشكيل لجنة مهمتها تدوين القرآن وجمعه على قراءة واحدة، «على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار»[٣]. ورأس هذه اللجنة أحد الصحابة وهو زيد بن ثابت (للمرة الثانية)، وضمت هذه اللجنة في عضويتها — على الأرجح — كلاً من: سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير[٤].

قام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بطلب النسخة الأصلية المودعة لدى حفصة بنت عمر (أم المؤمنين) «فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ﷺ»[٥]. فقال عثمان، للرهط القريشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن

---

(١) البخاري، الصحيح، ٦/٢٢٦. السجستاني، المصاحف، ص١٨-١٩. الطبري، جامع البيان، ١/ ٢١. ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ)، الفهرست، طهران، ١٩٧١، ص٢٧.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١/٢١-٢٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ١/١١١.

(٣) السيوطي، الإتقان، ١/٦٠.

(٤) البخاري، الصحيح، ٦/٢٢٦. ابن النديم، الفهرست، ص٢٧. السيوطي، الإتقان، ١/٥٩.

(٥) البخاري، الصحيح، ٦/٢٢٦. ابن النديم، الفهرست، ص٢٧. السيوطي، الإتقان، ١/٥٩.

فاكتبوه بلسان قريش فإنَّما نزل بلسانهم ففعلوا...»[١]. وبعد أن أتمت اللجنة عملها ونسخت المصاحف أرسلت هذه النسخ إلى الأمصار، يقول البخاري[٢]: «حتى إذا نسخوا الصّحف في المصاحف، ردّه عثمان ﷺ إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف».

والواقع أن عمل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قد جرّد المصاحف الأخرى من «الزيادات التي لم تتوافر قرآنيتها وإنَّما كانت من قبيل التفسير أو تفصيل المجمل أو إثبات المحذوف، مثال ذلك في مصحف عبد الله بن مسعود المدني: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ (في موسم الحج)﴾ (البقرة/١٩٨) ولا ريب في أن تلك الزِّيادة الأخيرة للتفسير والإيضاح...»[٣]. ونقل عن ابن الجزري قوله: «وربَّما يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً؛ لأنَّهم محققون لما تلقوه عن النَّبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربَّما كان بعضهم يكتبه معه...»[٤]، لذا فإن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ «لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنَّما قصد جمع الصحابة على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول ﷺ. وألغى ما لم يجرِ مجرى ذلك...[٥]، ومع ذلك فإن المصاحف العثمانية التي نُسخت لم تلغِ القراءات القرآنية نهائياً، فقد بقي بعض النسخ التي كانت لدى بعض الصحابة، وعلى الأخص نسختا ابن مسعود، وأبي بن كعب»[٦]، وكلاهما مدني، أمَّا القراءات فكان سبب بقائها أن كتابة المصاحف العثمانية كتبت بخطٍ خالٍ من النقط والشكل جعل رسم بعض الألفاظ القرآنية صالحاً لأن يقرأ بأكثر من وجه، كقوله تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات/٦)، فقد قرأ أيضاً «فتثبتوا» وكقوله تعالى:

(١) البخاري، الصحيح، ٢٢٦/٦. ابن النديم، الفهرست، ص٢٧. السيوطي، الإتقان، ٥٩/١.
(٢) الصحيح، ٢٢٦/٦.
(٣) الصالح، مباحث، ص٨٥.
(٤) السيوطي، الإتقان، ٧٧/١.
(٥) الداني، الأحرف السبعة، ص٦٣. السيوطي، الإتقان، ٦٠/١.
(٦) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، الهيئة المصرية...، القاهرة، ١٩٧١، ١٤٥/١.

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ ، فتلقى آدم من ربه كلمات «بضم آدم ونصبه وهكذا»[١].

ولنورد بعض النماذج من قراءة أهل المدينة التي انفردوا بها، مقارنة بغيرهم، من رواية علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) قال: «فأمَّا أهل المدينة فقرؤوا في البقرة (آية/١٣٢) «وأوصى بها إبراهيم» وأهل الكوفة وأهل البصرة «ووصى بها» بغير ألف،... وفي براءة (آية/١٠٧). أهل المدينة قرءوا «الذين اتخذوا مسجداً ضراراً»، وأهل الكوفة وأهل البصرة «والذين اتخذوا مسجداً» بواو. أهل المدينة في الكهف (آية/٣٦) «خيراً منهما منقلبا»، وأهل الكوفة والبصرة «خيراً منها منقلبا»،... أهل المدينة في الزخرف (آية/٧١). قرأوا «فيها ما تشتهيه الأنفس» بهاءين، وأهل الكوفة وأهل البصرة «ما تشتهي الأنفس» بهاء واحدة،...»[٢] وغيرها، وثمة روايات أخرى عن حمزة الزيات، وعمر بن عثمان بن سعيد...[٣]، وذكر ابن الجزري بعض الأمثلة على القراءة المدنية في بابيّ اللامات والياءات، فقال: «اعلم أن ورشا من طريق الأزرق غلّظ اللام المفتوحة إذا وقعت بعد صاد أو طاء أو ظاء... نحو الصَّلاة،... مطلّع، وظللنا...»[٤]، وفي باب الياءات يقول: «وفتح نافع (بن أبي نعيم) وأبو جعفر (يزيد بن القعقاع) المدنيّان منها ثمان ياءات وهي: أنصاري إلى...الخ»[٥].

مدرسة المدينة في القراءات:

وبمرور الزمن تبلورت في المدينة مدرسة خاصة بالقراءات، تسلسلت من الصحابة إلى التابعين إلى اتباع التابعين. فممن اشتهروا بإقراء القرآن وكان لهم دور في القراءة في المدينة من مشاهير الصحابة «سبعة: عثمان وعلي وأبيّ وزيد بن ثابت

(١) الصالح، مباحث، ص٨٥.

(٢) السجستاني، المصاحف، ص٣٩-٤١، ص٤٩.

(٣) السجستاني، المصاحف، ص٣٩-٤١، ص٤٩.

(٤) ابن الجزري، تقريب النشر، ص٧٥، ص٨٣.

(٥) ابن الجزري، تقريب النشر، ص٧٥، ص٨٣.

وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، وقرأ على أبيّ بن كعب جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة وابن عبَّاس وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عبَّاس عن زيد أيضاً، رضي الله عنهم جميعاً[١]. ويعدّ أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت أكثرهم شهرة في القراءة.

ثمّ انتقلت زعامة مدرسة القراءة في المدينة من الصحابة إلى التابعين فكان من مشاهيرهم عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ورفيع بن مهران الرياحي، وسعيد بن المسيب، وعروة، وسالم، وسليمان وعطاء بن يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ويزيد بن القعقاع، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان وزيد بن أسلم...[٢]، وقد برز من بينهم أعلام في القراءة كانوا يعدّون أساطين مدرسة المدينة الإقرائية أمثال يزيد بن القعقاع المعروف بأبي جعفر القارئ الذي يعدّ أحد أئمة القراءات العشر.

وبعد التابعين يأتي جيل أتباع التابعين الذين تبلورت في عهدهم مدرسة المدينة في القراءة بصورة متميزة، وصارت إحدى القراءات السبع المشهورة تُنسب إلى أحد أتباع التابعين في المدينة وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، وإلى جانبه، اشتهر من أتباع التابعين بالمدينة، شيبة بن نصاح، وإسماعيل بن أبي أويس، وعبيد بن ميمون، وعبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان، وعيسى بن مينا الملقب (قالون)،... وغيرهم.

وسنورد نماذج لتراجم مشاهير أهل هذا العلم من المدنيين عبر الأجيال الثلاثة الصحابة، التابعين، وأتباع التابعين، الذين تزامن وجودهم في القرنين الأول والثاني للهجرة، للتعرف على مدى تأثيرهم فيه، فمن مشاهير علماء القراءة من الصحابة:

---

(١) السيوطي، الإتقان، ٧٢/١. وسنقف على تراجمهم.

(٢) ينظر: السيوطي، الإتقان، ٧٣/١.

عثمان بن عفان (ت ٣٦هـ): أحد السابقين للإسلام، وثالث الخلفاء الراشدين:

أخذ عثمان ﷺ القراءة عن النَّبي ﷺ فهو «أفضل من قرأ على النَّبي ﷺ»[١]، وأخذ عنه نفر من الصحابة والتابعين منهم: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزرّ بن حبيش، وأبو الأسود الدؤلي، وعبد الله بن عامر، وآخرون[٢].

كان عثمان بن عفان ﷺ ممن تعاهد القرآن بالحفظ والقراءة، حتى روي أنَّهُ «كان يختم في ليلة واحدة»[٣]. وعندما كتبت المصاحف في عهده كان هو مرجع اللجنة في القراءات إذا أشكل عليهم أمر، ويروى أن زيد بن ثابت وبقيّة أعضاء لجنة جمع القرآن «... اختلفوا في كتابة كلمة (التابوت)، فقال زيد: (التابوه) وقال النفر القريشيون (التابوت)، وترافعوا إلى عثمان ﷺ فقال: اكتبوا (التابوت) فإنَّما أنزل القرآن على لسان قريش»[٤].

والواقع بأن عملية جمع القرآن التي قام بها عثمان ﷺ تعدّ خطوة عظيمة لتوحيد القراءة التي يقرأ المسلمون بها كتاب الله، وتدعيماً لتلك القراءة التي جمع الخليفة عثمان النَّاس عليها، فإن كل نسخة من النسخ التي أرسلت من المدينة إلى الأمصار أرسل معها رجلاً حافظاً يوافق قراءته، فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مقرئ المكي، والمغيرة بن شهاب مقرئ الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفي، وعامر بن عبد القيس مقرئ البصري»[٥]. وهكذا لقيت هذه القراءة الرسميّة التي أقرها الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بمشورة الصحابة وعلى ملأ منهم، كل قبول واستحسان في المدينة المنورة والأمصار. توفي

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٩. ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٥٠٧.
(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٩. ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٥٠٧.
(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٣ ق١، ص٥٣.
(٤) البخاري، الصحيح، ٤/٢١٩. الزركشي، البرهان، ١/٣٧٦.
(٥) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ١/٣٩٦-٣٩٧.

الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٦هـ[١].

أبيّ بــن كعب (ت ٣٠ أو ٣٢هـ): من مشاهير الصحابة في القراءة، «إذ قرأ علـى النّبي ﷺ القرآن العظيم وقرأ عليه النّبي ﷺ بعض القرآن للإرشاد والتعليم»[٢] ولكــونه ممن برز من القرّاء في عهد النّبي ﷺ فقد أشار إليه الرسول ﷺ بالأهمية في ذلك فقال: «وأقرؤكم أُبيّ»[٣].

كان لأبيّ بن كعب ﷺ دور مهم عندما جمع القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر ﷺ، «فكان رجال يكتبون ويملون أُبيّ بن كعب»[٤]. وكان له قراءته التي اشتهر بهــا في المدينة في «العصر الراشدي»، ويروى أن من بين دوافع جمع القرآن في عهد عــثمان بن عفان ﷺ، نسبة النّاس لقراءات قرآنية إلى بعض الصحابة ومنهم أبيّ بن كعب ﷺ «... فخطب عثمان بالناس وقال:... وأنتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبيّ وقراءة عبد الله...»[٥].

وأخذ عنه القراءة جماعة من الصحابة المدنيين منهم: «عبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب وغيرهم»[٦]، ومن التابعين: «عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن حبيب السلمي، وأبو العالية الرياحي...»[٧].

وممــا هو جدير بالملاحظة أن مدرسة المدينة الإقرائية التي تبلورت في القرن الــثاني للهجرة عن نافع بن أبي نعيم تعود بالدرجة الأساسية إلى قراءة أبيّ بن كعب، ويجسّد ابن الجزري هذه السلسلة الإقرائية التي انتقلت من أبيّ إلى نافع إيراده الرواية

---

(١) خليفة، الطبقات، ص١٠-١١. البستي، مشاهير، ص٦. الذهبي، معرفة القراء الكبار...، القاهرة، ١٩٦٧، ٢٩/١.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣١/١.

(٣) ن.م، ٣١/١. اليافعــي، عــبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان...، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٠، ١٨/١.

(٤) السجستاني، المصاحف، ص٩ وص٣٠.

(٥) ن.م، ص٢٣-٢٤.

(٦) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣١/١.

(٧) ابــن الجــزري، غاية النهاية، ٣١/١. اليافعي، عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٠، ٨/١.

الآتـية: عـن ميمون بن مهران قال: «... أخبرنا نافع أنَّهُ قرأ على الأعرج (عبد الـرحمن بـن هرمز)، وأن الأعرج قال: قرأت على أبي هريرة، وان أبا هريرة قال: قـرأت علـى أبيّ بـن كعب...»[1]. توفي أبيّ بن كعب سنة ٣٠ أو ٣٢هـ على الأرجح[2].

ونورد أدناه جدولاً لمدرسة المدينة الإقرائية، المنسوبة لأبيّ بن كعب[3]:

أبيّ بن كعب (قرأ على النَّبي ﷺ)

أبو هريرة، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة

(ت ٢٥هـ) (ت ٦٨هـ) (ت ٧٠ أو ٧٨هـ)

أبو جعفر القارئ، ابن هرمز، شيبة بن نصاح، مسلم بن جندب، يزيد بن رومان

(ت ١٣٠هـ) (ت ١١٧هـ) (ت ١٣٠هـ) (ت ١٠٦هـ) (ت ١٣٠هـ)

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم

(ت ١٦٩هـ)

زيد بن ثابت الأنصاري (ت ٤٥هـ):

ارتـبط اسمه كثيراً بكتاب الله تعالى فهو «كاتب النَّبي ﷺ، وأمينه على الوحي، وأحـد الـذين جمعوا القرآن على عهده ﷺ من الأنصار»[4]، وهو الذي «كتبه في المصحف لأبي بكر الصديق ﷺ ثمَّ لعثمان ﷺ حين جهزها إلى الأمصار»[5]. وقد مرّ بـنا كـيف أسهم في جمع القرآن على عهدي أبي بكر الصديق وعثمان (رضي الله عـنهما) وأنه كان رئيس اللجنة التي جمعته، فضلاً عن اختيار الخليفة عثمان ﷺ له ليكون مقرئ المصحف المدني. فهو من أبرز أعلام الصحابة المدنيين الذين اشتهروا

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣١/١.

(٢) خلـيفة، الطـبقات، ص٨٨-٨٩. ابن سعد، الطبقات، جـ٣ ق٢، ص٦٢، ابن الأثير...، أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، ١٩٧٠، ٦١/١. الذهبي، معرفة القراء، ٣٢/١.

(٣) الداني، التيسير في القراءات السبع، ص٨. ابن الجزري، غاية النهاية، ٤٤٠/١.

(٤) البخاري، الصحيح، ٢٣٠/٦، تذكرة الحفاظ، ٣١/١.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩٦/١. طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ١٠/٢.

بالقــــراءة. وكان مقدماً على غيره في القراءة أبان العهد الراشدي، فعن سليمان بن يســـار قـــال: «ما كان عمر وعثمان (رضي الله عنهما) يقدمان على زيد أحداً في الفتوى والفرائض والقراءة»(١)، ونقل عن العجلي قوله: «النَّاس على قراءة زيد»(٢)، ولشـــهرته في علم القراءات فقد تتلمذ عليه جماعة من الصحابة والتابعين، فيذكر أن من «قرأ عليه من الصحابة: أبو هريرة، وعبد الله بن عبَّاس»(٣). وإن ابن عبَّاس كان يقـــول: «قراءتي قراءة زيد»(٤)، ومن التابعين الذين أخذوا عنه القراءة نذكر: أبا عبد الـــرحمن الســـلمي، وأبا العالية الرياحي، وأبا جعفر القارئ، ويزيد بن القعقاع(٥). وغيرهم توفي زيد بن ثابت سنة ٤٥ هجرية(٦).

ومن مشاهير التابعين في القراءة:

عـــبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي (ت ٧٠ أو ٧٨هـ): تابعي كبير، أخذ القراءة عرضاً عن أبيّ بن كعب، وسمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)(٧)، ذكـــره الذهبي ضمن الطبقة الثانية من مشاهير القرّاء وهم الذين عرضوا القراءة على الطـــبقة الأولى من الصحابة(٨)، ونسب إليه ابن النديم قراءة مشهورة وذكره ضمن «الطـــبقة الأولى من أهل المدينة من التابعين»(٩). ولذلك وصف عبد الله بأنه كان «أقرأ أهل المدينة في زمانه»(١٠)؟

ويعـــدّ عبد الله بن عياش من مؤسسي مدرسة المدينة الإقرائية، فقد أخذ عنه

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٢/١. أيضاً: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٩٩/٣.

(٢) العجلي، معرفة الثقات، ٣٧٧/١.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩٦/١.

(٤) السجستاني، المصاحف، ص٥٥.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩٦/١.

(٦) خليفة، الطبقات، ص٨٩. البستي، مشاهير، ص١٠، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٢/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٩٩/٢.

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية، ٤٤٠/١.

(٨) الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٤٩/١.

(٩) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣.

(١٠) ابن الجزري، غاية النهاية، ٤٤٠/١.

القـــراءة مشـــاهير القـــرّاء من التابعين وأتباع التابعين، منهـم: «أبو جعفر يزيد بن القعقـــاع، وشيبة بن نصاح، وعبد الرحمن بن هرمز، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومـــان. وهـــؤلاء الخمسة شيوخ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم»(١). وفي نافع تجسدت مدرسة المدينة في القراءة — كما ستأتي الإشارة -. توفي ما بين سنة ٧٠-٧٨هـ(٢).

أبو جعفر القارئ (يزيد بن القعقاع، (ت ما بين ١٣٠-١٣٢هـ):

تابعـــي مشهور كبير القدر، وكان إمام أهل المدينة في القراءة فسميَ القارئَ لذلك، وكان ثقة... عداده في القراء العشرة(٣). ووصفه البستي بأنه ممن «عني بعلم القرآن»(٤)، أخذ القراءة عن بعض مشاهير الصحابة مثل: «عبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة»(٥).

وروى القـــراء عنه: «نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جمـــاز، وعيســـى بن وردان، وأبو عمرو، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وإسماعيل ويعقوب ابناه، وميمونة بنته»(٦).

أشاد بمكانته في القراءة الكثير من أعلام العلماء، فقال يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري: «كان إمام النَّاس بالمدينة أبو جعفر»(٧) وقال فيه نافع: «كان إمام أهـــل المدينة في القراءة فسمي القارئ»(٨)، أمَّا الإمام مالك فقال عنه: «كان رجلاً صـــالحاً يقـــرئ الـــنَّاس بالمدينة»(٩)... توفي أبو جعفر القارئ بالمدينة سنة ١٣٠

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٤٤٠.

(٢) خليفة، الطبقات، ص٢٣٤. ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٤٤٠.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٢-٣٨٣.

(٤) البستي، مشاهير، ص٧٦.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٣٠. ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٢.

(٦) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٢. وينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٢٧٤.

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٣.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/٥٨.

(٩) ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٣.

وقيـــل (١٣٢هـ)[١].

أمّا طرق انتقال قراءته فذكرها الذهبي على النحو الآتي[٢]:

أحمد بن يزيد الحلواني ـــــ عن قالون ـــــ عن عيسى بن وردان ـــــ عن أبي جعفر القارئ.

* ســليمان بــن داود الهاشمي ـــــ عن سليمان بن جماز ـــــ عن أبي جعفر.

* الدوري ـــــ عن إسماعيل بن جعفر ـــــ عن أبي جعفر.

* الـــزبير بن محمد العمري ـــــ عن قراءته على قالون ـــــ بإسناده إلى أبي جعفر.

وهناك طرق أخرى لانتقال القراءة عنه ذكرها ابن الجوزي ربّما أقل شهرة من الطرق التي أوردناها أعلاه[٣].

شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ):

هـــو شــيبة بـــن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي، من كبار التابعين ومشـــاهيرهم في القـــراءة، وهو مولى لأم سلمة زوج النّبي ﷺ[٤]، «كان إمام أهل المدينة في القراءة في دهره»[٥]. ويبدو أن شهرته تقارب شهرة أبي جعفر القارئ فقد عاصـــره وأخـــذا من موارد مشتركة، قال ابن الجزري في ذلك: «إمام ثقة، مقرئ المديـــنة مـــع أبي جعفر»[٦] وفضلاً عن تصدره للقراءة في المدينة فقد ولي القضاء فيها[٧].

---

(١) خلـيفة، الطـبقات، ص٢٦٢. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٨٤/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥٨/١٢.

(٢) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٨٣/٢.

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٨٣/٢.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٣٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٧٨/٤.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٣٣. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٢٩/١.

(٦) ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٢٩/٢.

(٧) ن.م، ٣٢٩/١. الســخاوي، شمــس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، القاهرة، ١٩٥٧، ٢٨٢/٢.

أدرك شيبة الصحابة منهم: عائشة وأم سلمة زوجا النَّبي ﷺ، «ودعتا الله تعالى له أن يعلمه القرآن»[١]. واستبعد الذهبي وابن الجزري أن يكون قرأ على أبي هريرة وابن عباس، كما ذهب لذلك بعض القرّاء[٢]. وأخذ القراءة عرضاً عن: عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، ورُويَ عن أبيه نصاح، وعن خالد بن مغيث، والقاسم بن محمد، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي جعفر الباقر، وسعيد بن المسيب[٣].

أمَّا من أخذ عنه: فقد «عرض عليه القراء نافع بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، وإسماعيل بن جعفر وأبو عمرو بن العلاء، وزوجته ميمونة...»[٤] كان شيبة من أساتذة نافع المميزين قال قالون: «كان نافع أكثر أتباعاً لشيبة منه لأبي جعفر...»[٥]، وله جهود مبكرة في التأليف في علم القراءات[٦]، توفي سنة ١٣٠ هجرية[٧].

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ):

أحد القراء السبعة المشهورين، نشأ بالمدينة المنورة، وتتلمذ فيها على العديد من التابعين، وفيه تبلورت مدرسة المدينة في القراءة فيما عرف بقراءة نافع، وعن هذه المكانة التي بلغها نافع في القراءة يقول البستي[٨]: «... ممن عني بالقرآن حتى صار علماً يرجع إليه، ومركزاً يدار عليه فيه...»، وذكر ابن خلكان[٩]: «كان إمام أهل المدينة، الذين صاروا إلى قراءته، ورجعوا إلى اختياره». بل إن أهل المدينة عدّوا قراءته سنّة يقول الليث بن سعد: «أدركت أهل المدينة وهم يقولون قراءة نافع

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٣٣٠. قارن: الذهبي، معرفة القراء، ١٠/٦٤-٦٥.
(٢) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٣٣٠. قارن: الذهبي، معرفة القراء، ١٠/٦٤-٦٥.
(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٣٣٠. السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/٢٨١.
(٤) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٣٣٠. السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/٢٨١.
(٥) السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/٢٨١.
(٦) ينظر ذلك بعد قليل في المؤلفات.
(٧) خليفة، الطبقات، ص٢٦٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/٣٧٨.
(٨) مشاهير، ص١٤١.
(٩) وفيات الأعيان، ٥/٣٦٨.

ســنّة»[١]، ومــن شهرة قراءته وإتقانه لها أنَّهُ أخذها عن موارد عديدة حتى قال في ذلك: «قرأت على سبعين من التابعين»[٢].

فممن أخذ نافع القراءة عرضاً عنه من التابعين من أهل المدينة: عبد الرحمن بن هرمز، وأبو جعفر القارئ، وشيبة بن نصاح، ويزيد بن رومان، ومسلم بن جندب، وهــؤلاء الخمسة أشهر شيوخه في القراءة[٣]. كما أخذ عن آخرين كالزهري، وعبد الرحمن بن القاسم، وزيد بن أسلم، ونافع مولى ابن عمر[٤]...، وغيرهم. وقد أشرنا إلى أن سلسلة قراءته تتصل بالصحابي أبيّ بن كعب ﷺ.

وروى القــراءة عــنه عرضاً وسماعاً: إسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان، وسليمان بن مسلم بن جماز، ومالك بن أنس وهو من أقرانه، وأبو بكر وإسماعيل ابنا أبي أُويــس، وعــبد الرحمن بن أبي الزناد وعيسى بن مينا، وسعد بن إبراهيم وأخوة يعقــوب والواقدي وغيرهم من أهل المدينة[٥]. ومن غير أهل المدينة ممن أخذ عن نافع: الأصمعي، وأبو قرّة اليماني، وأبو عمرو بن العلاء، وورش (عثمان بن سعيد)، والليث بن سعد، وأشهب بن عبد العزيز... وغيرهم[٦].

والــذي يهمنا هنا، هو أن قراءة نافع «كان لها راويان ورش وقالون»[٧]. فأمَّا ورش: وهو الذي اشتهرت باسمه القراءة عن نافع، فهو «عثمان بن سعيد بن عبد الله القرشي المصري القيرواني. ولد بمصر سنة ١١٠هـ وتوفي فيها سنة ١٩٧هـ[٨]. وهو

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠٨/٤.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٣٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠٧/١٠. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٠/٢.

(٣) الداني، التيسير في القراءات السبع، ص٨. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٠/٢.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠٧/١٠. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٠/٢.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٣١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠٧/١٠. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٠/٢-٣٣١.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٣١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠٧/١٠. ابن الجزري، غاية النهاية، ٣٣٠/٢-٣٣١.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان، ٣٠٨/١. السيوطي، الإتقان، ٧٣/١.

(٨) الداني، التيسير في القراءات السبع، ص٤. ابن الجزري، غاية النهاية، ٥٠٢/١.

أشـــهر تلامـــذة نافـــع، عـــرض علـــيه القرآن عدّة ختمات سنة خمس وخمسين ومائة...»[١].

وإلى الآن يـــوجد في العـــالم الإسلامي أشهر طريقتين في القراءات القرآنية: إحـــداهما: روايـــة ورش عن نافع وهذه الطريقة التي اشتهرت بمصر والمغرب[٢]. الثانـــية: رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، وهذه الطريقة اشتهرت في العراق والمشرق[٣]. وأمّا قالون، الراوية الثاني لقراءة نافع فهو «أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان الزّرقـــي المدني، المولود بالمدينة سنة ١٢٠هـ، تتلمذ على نافع، ولقّبه قالون لجودة قراءته، وكان يعدّ حجة في القراءة في الحجاز، توفي بالمدينة سنة ٢٢٠هـ»[٤]. وتجدر الإشارة إلى أن هاتين الروايتين تسلسلتا من بعد على النحو الآتي:

فالرواية عن قالون من طريقيّ أبي نشيط والحلواني عنه. وأمّا ورش فمن طريقيّ الأزرق والأصبهاني[٥]. انظر الجدول الآتي[٦]:

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم

قالون (عيسى بن مينا) (ت ٢٢٠هـ)		ورش (عثمان بن سعيد) (ت ١٩٧هـ)	
أبو نشيط	الحلواني	الأزرق	الأصبهاني

(١) ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٥٠٢.

(٢) الـــداني، التيســـير في القـــراءات السبع، ص١١. وينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية)، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، ١/٢.

(٣) الـــداني، التيســـير في القـــراءات السبع، ص١١. وينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية)، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، ١/٢.

(٤) الداني، التيسير في القراءات السبع، ص٤. وينظر: سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/١٦٠.

(٥) ابن الجزري، تقريب النشر، (المقدمة)، ص٢.

(٦) ن.م، ص٦٥.

نمـــاذج لقراءة نافع، مقارنة بقراءة غيره من مشاهير القرّاء عن كتاب الكشف في وجوه القراءات السبع... للقيسي[1].

اللفظ الذي قرأه نافع من الآية	السُّورة ورقم الآية	اتفاقه واختلافه مع بقية القراء	مكان ورودها
ملك في «مالك يوم الدين»	الفاتحة/٤	بدون ألف عند نافع، بالألف عند الباقين	٣/١
ميسرة في «فنظرة إلى ميسرة»	البقرة/٢٨٠	قرأ نافع بضم السين وفتح الباقون	٣١٩/١
أرجلكم في «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم»	المائدة/٦	قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب	٤٠٦/١
أتحاجوني في «أتحاجوني في الله»	الأنعام/٨٠	قرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وشدّد الباقون	٤٣٦/١
مرجون في «وآخرون مرجون لأمر الله»	التوبة/١٠٦	قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بغير همز، وهمز الباقون	٥٠٦/١
يرجع في «وإليه يرجع الأمر كله»	هود/١٢٣	قرأه نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم، وقرأه الباقون بفتح الياء وكسر الجيم	٥٣٨/١
تسألني في «فلا تسألني عن شيء»	الكهف/٧٠	قرأه نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، وقرأ الباقون بإسكان اللام وتخفيف النون وكسرها	٦٧/٢
بملكنا في «ما أخلفنا موعدك بملكنا»	طه/٨٧	قرأ نافع وعاصم بفتح الميم وقرأه حمزة والكسائي بضم الميم، وقرأ الباقون بكسرها	١٠٤/٢
أن في «صفحا أن كنتم»	الزخرف/٥	قرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر أن، وفتح الباقون	٢٥٥/٢
لووا في «لووا رؤوسهم»	المنافقون/٢	قرأ نافع بالتخفيف في الواو الأولى، وقرأ الباقون بالتشديد	٣٢٢/٢

(١) القيســـي، مـــكي بن أبي طالب (٥٤٣٧)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ط٢، مؤسســـة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، جـ١، جـ٢. وحسب الصفحات المؤشرة في الجدول إزاء كل مقطع.

مؤلفات أهل المدينة في القراءات:

أدناه قائمتان بمؤلفات أهل المدينة في علم القراءات وما يتعلق بها نقلاً عن (ابن النديم، وابن الجزري).

١. ابن النديم / الفهرست /

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وروده
كتاب ابن عياش في عدد المدني الأول	لعلّه: لعبد الله بن عياش (ت ٧٠ أو ٧٨هـ)	ص٤٠
كتاب نافع في عواشر القرآن	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ)	ص٤٠
كتاب عدد المديني (المدني) الأول لنافع	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ)	ص٤٠
كتاب إسماعيل بن أبي كثير في عدد المديني الأخير	إسماعيل بن أبي كثير	ص٤٠
كتاب العدد لعيسى (للعبسي)	لعله: لعيسى بن مينا الملقب (قالون) (ت ٢٢٠هـ)	ص٤٠
كتاب القراءات	الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)	ص٣٨
كتاب العدد الثاني عن نافع	مجهول	ص٤٠

٢. ابن الجزري / غاية النهاية:

كتاب الوقوف	شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ)	٣٣٠/١
نسخة نافع (قراءة نافع)	عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان (ت ١٦٤هـ)	٣٧٢/١
كتاب عيسى بن مينا عن نافع	عيسى بن مينا الملقب (قالون) (ت ٢٢٠هـ)	٦١٥/١
نسخة نافع (قراءة نافع)	إسماعيل بن أبي إدريس (لعله أويس) (ت ٢٢٧ هـ)	١٦٢/١
كتاب المغني في قراءة يزيد بن القعقاع (أبو جعفر القارئ)	أبو عبد الله القصّاع (ت ؟؟؟)	٣٨٣/٢
كتاب الكامل في قراءة أبي جعفر القارئ	أبو القاسم الهذلي	٣٨٣/٢

قائمة بمشاهير القراء من أهل المدينة على قدم طبقاتهم[1]

الطبقة	اسم القارئ	وفاته بالسنة الهجرية
الطبقة الأولى	عثمان بن عفان	٣٥
	علي بن أبي طالب	٤١
	أُبيّ بن كعب	٣٢
	عبد الله بن مسعود	٣٢
	زيد بن ثابت	٤٥
	أبو موسى الأشعري	٥٠
	أبو الدرداء (عويمر بن زيد)	٣٢
الطبقة الثانية	أبو هريرة	٥٨
	عبد الله بن عبَّاس	٦٨
	عبد الله بن عياش	٧٠ أو ٧٨
الطبقة الثالثة	يزيد بن القعقاع (أبو جعفر القارئ)	١٣٠
	يزيد بن رومان	ما بين ١٢٠-١٣٠
	عبد الرحمن بن هرمز الأعرج	ما بين ١١٧-١١٩
	شيبة بن نصاح	١٣٦
	مسلم بن جندب المدني	١٣٠
الطبقة الرابعة	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم	١٦٩
	عيسى بن وردان	١٦٠
	إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري	ما بين١٧٧ و ١٨٠
الطبقة الخامسة	إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن	٢٠٥
	قالون (عيسى بن مينا)	٢٢٠

(١) ينظـــر للمزيد: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٢٩/١ وما بعدها. ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٢/١ وما بعدها، ٣٥/٢ وما بعدها.

التفسير

التفسير في اللغة:

الإظهار والكشف وهو مأخوذ من الفسر، جاء في لسان العرب «الفسر البيان.. والتفسير، كشف المراد عن اللفظ»[١]، ووردت لفظة التفسير في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الفرقان/٣٣).

وعلـم التفسير في الاصطلاح: وردت فيه آراء عديدة نختار منها قولهم: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها[٢]. وقالوا أيضاً: «هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيّها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها»[٣].

ويرادف مفهوم التفسير شيء آخر هو التأويل وفيه تعريفات عديدة منها قولهم: هو «صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني»[٤]، وقالوا: «التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله»[٥] وقيل أيضاً، «التأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فهو إخبار عن حقيقة المراد»[٦]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فسر)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (فسر)، وينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار القلم، بيروت، بلا.ت، ص١٣.

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٥٤هـ). البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ، ١/١٣-١٤. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢، ٢/٤٢٧-٤٢٨.

(٣) الزركشي، البرهان، ٢/١٤٨-١٤٩. السيوطي، الإتقان، ٢/١٧٣-١٧٤.
وينظر: العاني، عبد القهار داود، دراسات في التفسير والمفسرين، بغداد، ١٩٨٧، ص٥.

(٤) الزركشي، البرهان، ٢/١٤٨-١٤٩. السيوطي، الإتقان، ٢/١٧٣-١٧٤.

(٥) الزركشي، البرهان، ٢/١٤٨-١٤٩. السيوطي، الإتقان، ٢/١٧٣-١٧٤.

(٦) الزركشي، البرهان، ٢/١٤٨-١٤٩. السيوطي، الإتقان، ٢/١٧٣-١٧٤.

وللمقارنة بينهما قالوا: «التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعمال التفسير في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني»[(١)].

والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، أساليبه هي أساليب العرب في كلامها ففيه الحقيقة وفيه المجاز وفيه الكناية، مع أنَّهُ كان يفوق ما عداه من ذلك لأنَّهُ معجزة تحدى الله بها العرب فلم يجاروه، ولكن من الطبيعي أن يوافق لغتهم لأنَّهُ أتى يدعوهم – أولاً – إلى الإسلام[(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم/١٤).

نشأة علم التفسير وتطوره في المدينة المنورة في ق١ وق٢هـ:

في العهد النبوي: «ارتبط التفسير في زمن النَّبي ﷺ بشخصيته عليه الصَّلاة والسلام، فكان الصحابة ﷺ إذا غمض عليهم أمر سألوا الرسول ﷺ فكان يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها، منقولاً عنه»[(٣)]، فكان ﷺ أول شارح لكتاب الله، إذ اجتمع فيه أمران: فقهه للنص العربي وهو في الذؤابة من العرب محتداً ولساناً، وأنه بلغ النَّاس عن ربه، ومن لوازم التبليغ فهم القرآن الكريم نفسه، إذ لا يعقل أن يكون المبلغ لأمر، جاهلاً بمعناه ومفهومه[(٤)].

ويمكن أن يلاحظ أنّ التفسير في عهد النَّبي ﷺ كان في معظمه مرتبطاً بالوحي، كتفسير الآية بالآية من القرآن، وهو ما يمكن أن نشبهه بالتفسير النقلي أو التفسير بالمأثور (النص)، ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً. وعلى سبيل المثال فقد ورد

---

(١) الزركشي، البرهان، ٢/١٤٨-١٤٩. السيوطي، الإتقان، ٢/١٧٣-١٧٤.

(٢) ينظر: الباقلاني، أبو بكر، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، (بهامش كتاب الإتقان للسيوطي)، ط دار الندوة، بيروت، بلا.ت، ١/١٩ وما بعدها. السيوطي، الإتقان، ٢/١٨-١١٩ و١٧٤. أيضاً: أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، بيروت، ١٩٦٩، ص١٩٥.

(٣) القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٩١٤)، محاسن التأويل، دار الكتب العربية، ١٩٥٧، ١/١٢. وينظر: محمد الحسيني عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، الكويت، ١٩٧٣، ص٢٥.

(٤) ينظر: السيوطي، الإتقان ١/١٧٤ بتصرف، العاني، دراسات في التفسير، ص٨.

عن النّبي ﷺ قوله: أفضل الدعاء دعاء أخي يونس حين قال: ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء/٨٧)، فسأله أحد الصحابة، أهذا خاص بيونس؟ فقال الرسول ﷺ: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء/٨٨)[١]. وأيضاً ما روي عن عبد الله بن مسعود قوله: «لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ...﴾ (الأنعام/٨٢)، شقّ ذلك على النّاس فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنَّهُ ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان/١٣)، إنَّما هو الشرك...»[٢]. فبيّن النّبي ﷺ أن الآية تفسر أختها من الآيات.

أو إن التفسير كان يقوله عليه الصَّلاة والسلام اعتماداً على ما يفسره له الملك جبريل العَلِيْكِلاَ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم/٣-٤). وقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: «كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسّر ذلك»[٣].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «ما كان النّبي ﷺ، يفسّر شيئاً من القرآن إلاّ آيات تعدّ علمهن إياه جبريل»[٤] وفي هذا دليل على أن جبريل كان يعلم رسول الله ﷺ تفسير آيات معينة من القرآن الكريم. لكن هذا لا يعني أن الرسول ﷺ لم يكن يفسر إلاّ القليل من آيه، واليسير من حروفه...[٥]، فإنَّه لم يدع شيئاً من القرآن غامضاً على أصحابه، اللّهُمَّ إلاّ ما كان من الوجه الذي «لا سبيل إلى الوصول إليه

---

(١) ابن كثير، تفسير، القرآن العظيم، ٣/١٩٢-١٩٣. البروسوي، إسماعيل حقي (ت ١١٣٧هـ)، تنوير الأذهان عن تفسير روح البيان، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠، ٢/٤٧٧.

(٢) ابن كثير، تفسير، القرآن العظيم، ٣/٤٤٤. السيوطي، الإتقان، ١/١٧٤. وينظر: شحاتة. عبد الله محمود، تاريخ القرآن والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص٨٧.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بلا.ت، ١/٣٩.

(٤) الطبري، جامع البيان، ١/٢٩، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/٣١.

(٥) الطبري، جامع البيان، ١/٣٠-٣١.

وهو الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه، مثل قيام الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك»[١].

وكان الرسول ﷺ يجتهد أحياناً في أمور غير الوحي فينزل إليه الوحي خلاف ذلك. مثل قصة أسرى بدر، وقصة خولة بنت ثعلبة[٢]، وغيرها.

فيما تقدّم تبيّن أن النّبي ﷺ لم يكن يفسّر القرآن بالرأي، بل إنَّهُ كان ينهى عن ذلك، فقد روي عنه قوله: «من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار»[٣]، وفيما روي عن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٤]، وإن ذلك فيما يبدو لتخفيف خوض النَّاس في تفسير القرآن إلى الحدّ الذي يحرّفون فيه الكلم عن مواضعه.

ومن نماذج تفسير النَّبي ﷺ لبعض آيات القرآن نذكر: ما أورده الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلاة الوسطى صلاة العصر» [٥] (البقرة/٢٣٨). وما أسند إلى علي بن أبي طالب قال: «سألت النَّبي ﷺ عن الحج الأكبر فقال: يوم النحر»[٦] وما أخرجه مسلم، أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال/٦٠) ألا وأن القوة الرمي...»[٧]. وقوله ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (الفتح/٢٦) هي لا إله إلاَّ الله[٨]. وما

---

(١) الطبري، جامع البيان، ١/٣٠-٣١.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ٢/٣٢٥ و٤/٣١٨. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط٦، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨٥، ١/٥١٤-٥١٦ و٣/٣٣٣.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١/٢٧، في روايات عدة عن ابن عبَّاس. قال القرطبي: وقد فسر حديث ابن عبَّاس تفسيرين، أصحهما معنى: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار، الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ١/٢٧. وقال القرطبي: «هذا حديث غريب»، الجامع، ١/٣٢.

(٥) الترمذي، سنن (باب التفسير)، ٤/٢٨٦ بطرق مختلفة.

(٦) ن.م، ٤/٣٣٦.

(٧) مسلم، الصحيح (باب فضل الرمي)، ٦/٥٢. أيضاً: الزركشي، البرهان، ٢/١٥٧.

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن، ٤/١٩٤.

روي عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الكوثر، نهر أعطانيه ربي في الجنة»[١]، وغيرها كثير وردت في الكتب الصحاح والسنن، ففي صحيح البخاري مثلاً كتابان هما: كتاب تفسير القرآن، وكتاب فضائل القرآن، يشغلان حيزاً واضحاً من الكتاب ربَّما كانا نحو الثمن منه[٢]... وقد اختلف العلماء في المقدار الذي بينه النَّبي ﷺ لأصحابه من القرآن، فمنهم من ذهب إلى أنَّهُ بيّن لأصحابه كل معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، ومنهم من ذهب عكس ذلك ولكل فريق أدلته. والواقع أن رسول الله ﷺ بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه، سواء ما كان في تطبيقه للقرآن عملياً في حياته، أو تفسيره قولياً بتوضيح مشكله، وتخصيصه لعامه، وتقييده لمطلقه، وأمثال ذلك كثير، كتحديد أوقات الصلاة، وعدد ركعاتها وكيفيتها، وكذلك بيانه لمقادير الزَّكاة وأوقاتها وأنواعها. وبيانه لمناسك الحج... وغير ذلك[٣].

التفسير في عهد الصحابة:

أسلفنا القول إن الرسول ﷺ بيّن الكثير من معاني القرآن، غير أنَّهُ لم يفسره كله، والسبب في ذلك «أنهم كانوا على علم بمعاني أكثر الآيات ومناسباتها، فلم يشعروا بالحاجة لسؤال الرسول ﷺ عن كل آية»[٤]، يقول ابن خلدون: «إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه...»[٥]، وقد يبدو على هذا النص نوع من العمومية، فالعرب يفهمون اللفظ العربي ومدلوله، لكنهم يتفاوتون في درجات الفهم، حتى أن الصحابة الذين أخذوا عن النَّبي ﷺ تفاوتوا في درجات فهمهم للقرآن، ولكن من المؤكد أنهم كانوا أقدر من غيرهم على فهمه وتفسيره، ذلك لأنَّ النَّبي ﷺ بيّن معاني القرآن كما

---

(١) البخاري، الصحيح، ٦/٢١٩.

(٢) ن.م، (كتاب التفسير)، ٦/٢٠-٢٢٣. و(كتاب فضائل القرآن)، ٦/٢٢٣-٢٤٣: ينظر تعليق، محمد أمين الخولي في دائرة المعارف الإسلامية، (مادة تفسير)، ٥/٣٤٩.

(٣) ينظر تفصيل ذلك عند: السيوطي، الإتقان، ٢/٢-٣. شحاتة، تاريخ القرآن، ص٨٨-٨٩.

(٤) ينظر: الزرو، الحياة العلمية في الشام، ص٤٧.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٨.

بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: «لتبيّن للناس ما نزل إليهم يشمل هذا»[١]. ثمّ أنهم كانوا يحرصون على تدبره وفهمه والعمل به منذ عهد النّبي ﷺ. فمن رواية لأبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النّبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً...»[٢].

والمفسّرون من الصحابة كثيرون إلاّ أن مشاهيرهم عشرة، وهم «الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أمّا الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نادرة جداً وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم»[٣]. وهناك من تكلم من الصحابة في التفسير «كأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، غير أن ما ورد عن هؤلاء هو اليسير من التفسير»[٤].

وإذا نظرنا عن أحوال هؤلاء الصحابة نجدهم من مشاهير المدنيين الذين تلقّوا علمهم عن رسول الله ﷺ، بعضهم من طالت إقامته بالمدينة بعد وفاة النّبي ﷺ، والبعض الآخر ممن خرج إلى الأمصار والمدن العربية، كمكة والكوفة والبصرة، والشام ومصر وغيرها، وهناك انتشر علمه من تفسير وحديث وفقه وغيره من العلوم.

يمكننا القول بأن الصحابة كانوا على موقفين من التفسير: موقف يتحرج من القول في التفسير مع ما أوتي من العلم، واكتفى بالفهم العام (المعنى الإجمالي) للآيات القرآنية دون الخوض في تفاصيل المفردات، وكان من هؤلاء الخليفة الصديق،

---

(١) السيوطي، الإتقان، ١٧٦/٢.

(٢) السيوطي، الإتقان، ١٧٦/٢.

(٣) الزركشي، البرهان، ١٥٧/٢. حاجي خليفة، كشف الظنون، ٤٢٩/١-٤٣٠. وينظر: الصالح، مباحث، ص٢٨٩.

(٤) السيوطي، الإتقان، ١٨٩/٢. وينظر: شحاتة، تاريخ القرآن، ص٩١-٩٢.

والخليفة عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر وغيرهم.

فمن ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ أَنَّهُ سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ (النِّساء/٨٥)، فقال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم»[١]. وينقل صاحب كتاب المباني عن الشيخ عبد الله بن الهيصم تعليقه على قول أبي بكر ما نصه: «قال ذلك أي — أبو بكر — مع معرفته باللغة، وتلقيه الوحي من رسول الله ﷺ شفاهاً، ومشاهدته الأحوال التي نزل فيها القرآن، ولا موضع للظن فيه بأنه جهل معنى ما سئل عنه من لغة العرب، فلقد فسّره المفسّرون بعده فقالوا: مقيتا، أي حافظاً مقتدراً»[٢].

وما روي عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر: «وفاكهة وأبا» (عبس/٣١) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ رجع إلى نفسه فقال: لعمرك أن هذا هو التكّلف يا عمر»[٣] ثمّ قال: «اتبعوا ما بيّن لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه»[٤]. وفي هذا ما يدل على أن الخليفة عمر اكتفى بالمعنى الإجمالي دون الخوض في التفاصيل ويروى عن عبد الله بن عمر قوله: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير...»[٥].

أمّا الموقف الآخر: فهو الذي لا يتحرج من القول بالتفسير وأخذ عنه الكثير من هذا العلم، وكان من هؤلاء الصحابة: علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عبّاس. وسنقف على تراجمهم فيما يأتي.

---

(١) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، ١/٨٢-٨٣. الزركشي، البرهان، ٢/١٦٢.

(٢) ابن عطية، عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الملك الغرناطي (ت حوالي ٥٤٣هـ)، ومؤلف مجهول، مقدمتان في علم القرآن، نشرة آرثر جفري، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤، ص١٨٨.

(٣) ن.م، ص١٨٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٢٢٣.

(٤) ن.م، ص١٨٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٢٢٣.

(٥) ابن عطية، مقدمتان، ص١٨٣.

مشاهير الصحابة من المفسّرين:

علي بن أبي طالب (ت ٤١هـ):

الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ هو رابع الخلفاء الراشدين، ومن أقدم النّاس إسلاماً، وأكثرهم صحبة وملازمة لرسول الله ﷺ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلاّ في تبوك فقد خلفه النّبي ﷺ، وله مناقب جمّة لا تحصر(١).

اشتهر علي ﷺ بعدة علوم وكان له تأثير علمي واسع في المدينة – وانتقل تأثير علمه إلى الأمصار والمدن الأخرى لاسيما الكوفة – ففي الفرائض ورد عن ابن مسعود ما يشير إلى شهرته فيها إذ يقول: «أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب»(٢). ولمكانته في علم الحديث ورد عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت فيه: «أمَّا إنَّهُ لأعلم النَّاس بالسنة»(٣).

وكانت شهرته في التفسير كبيرة، وله فيه باع طويل ولاسيما فيما يتعلق بعلم أسباب النزول، ومكان نزول الآيات وما إلى ذلك وينسب إليه قوله: «ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً»(٤). ومعلوم أنَّهُ تلقى علم التفسير – بالدرجة الأساسية – عن النَّبي ﷺ، وقد نسب إلى النَّبي ﷺ أنَّهُ قال له: «يا عليّ إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي،... فأنت إذن واعية لعلمي»(٥). وكان رضي الله عنه يكثر من سؤال النَّبي ﷺ والنبي يجيبه ويعلمه، وهو القائل في ذلك: «... كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتّ ابتدأني»(٦).

---

(١) ينظر لذلك: ابن عبد البر...، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة) مصر، ١٣٢٨هـ، ٢٦/٣ وما بعدها. البستي، مشاهير، ص٦. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٦.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/٤٠-٤١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/٤٠-٤١.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٦٧-٦٨. السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٧.

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٦٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات (بيروت)، ٢/٣٣٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٣٣٧.

وممن أخذ عنه علم التفسير عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأولاده الحسن والحسين ومحمد ﷺ[١]، ولكونه من أعلام أهل البيت فقد كثر الوضع عليه ولاسيما في التفسير، والسبب هو ظنٌّ هؤلاء أن الوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وتقديساً أكثر مما لو نسب الإسناد إلى غيره، والأمر الآخر هو أن المتعاطفين معه نسبوا إليه ما ظنّوا أنَّهُ يرفع من قدره العلمي، لذا ينبغي التثبت في حالة إيراد بعض الروايات عنه ﷺ والتي لها علاقة بالتفسير[٢].

عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ):

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، كنيته ابن أم عبد، أسلم بمكة قديماً وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها[٣]، أشاد النَّبي ﷺ بمكانته وفضله فقال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد»[٤]، وفي خلافة عمر ﷺ هاجر إلى الشام فسكن حمص مدة وجيزة ثمَّ جاءه كتاب من الخليفة عمر يأمره بأن ينحدر إلى الكوفة، وهناك تولى عدة وظائف، منها: بيت المال والقضاء[٥]، والأهم من ذلك أن الخليفة عمر ﷺ «سيّره إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم»[٦]، وجاء في كتاب عمر إليهم: «إني والله الذي لا إله إلاَّ هو آثرتكم به على نفسي فخذوا منه...»[٧]. وبعد أن قضى ردحاً من الزمن في الكوفة وانتشر علمه بها، عاد ثانية إلى المدينة في خلافة عثمان ﷺ، فتوفي بها سنة ٣٢هـ، ودفن بالبقيع

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٤١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٠.
(٢) ينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٠٣.
(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٣/١٠٦-١٠٧. ابن قتيبة، المعارف، ص١٠٩. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/١٥٤. وينظر للتفاصيل: المشهداني، هاشم عبد ياسين، عبد الله بن مسعود ومدرسته في تفسير القرآن الكريم، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، كلية الشريعة، بغداد، ١٩٩٠.
(٤) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٥٩.
(٥) البستي، مشاهير، ص١٠.
(٦) ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٦٨.
(٧) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٣/١١١.

رضي الله عنه[١].

أمَّا فضله وعلمه فيعدّ عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة وفقهائهم، وبلغ منزلة رفيعة في علوم شتى، أشهرها التفسير والحديث والفقه. وقد أشاد الصحابة بعلمه في القرآن والسنة، يقول علي بن أبي طالب عنه: «قرأ القرآن فأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة»[٢]. ووصفه حذيفة بن اليمان بأنه «أقرب النَّاس سمتاً وهدياً برسول الله»[٣]، وكان عبد الله بن مسعود يفخر بكونه حريصاً على تعلم القرآن والتبحر فيه، وهو القائل: «لو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لرحلت إليه»[٤].

أخذ عبد الله بن مسعود علمه بالدرجة الأولى من رسول الله ﷺ وكان يكثر من الصحبة والملازمة للنبي ﷺ حتى كان «صاحب النعلين والوساد والمطهرة»[٥]، كذلك أخذ ابن مسعود عن بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب ﷺ حتى قيل: «إنَّهُ كان يدع قوله لقول عمر»[٦]، وروى عن سعد بن معاذ وصفوان بن عسال وغيرهم[٧].

أمَّا تلاميذه فهم كثرة أخذوا عنه التفسير والفقه والحديث، وأكثرهم من الكوفة حتى أن مدرسة التفسير التي نشأت في الكوفة تعود بالأساس إلى تلامذة عبد الله بن مسعود، وكان من هؤلاء، مسروق بن الأجدع (ت ٦٢هـ)، والأسود بن يزيد (ت ٧٥هـ)، وعلقمة بن قيس (ت ١٠٢هـ)، وعامر الشعبي (ت ١٠٥هـ)، ومن أهل البصرة من أخذ عن ابن مسعود أيضاً ومنهم: قتادة بن دعامة السدوسي

---

(١) ن.م، ١١٣/٣. ابن قتيبة، المعارف، ص١٠٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ١١٠/٣.
(٣) ن.م، ١٠٩/٣، أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٢٧/١.
(٤) مسلم، الصحيح، ١٤٨/٧. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية، مصر، بلا.ت، ٣٥٠/٢، السيوطي، الإتقان، ١٨٧/٢.
(٥) البخاري، الصحيح، ٣٥/٥. أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٢٦/١.
(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة، ٤٨/٣.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٧/٦.

(ت ١١٧هـ) والحسن البصري (ت ١٢١هـ)[١]، وممن أخذ عنه من أهل المدينة: ابناه عبد الرحمن وأبو عبيدة، وابن أخيه عبد الله بن عتبة، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وابن الزبير، وابن عباس، وأبو رافع مولى النَّبي ﷺ... وأبو شريح الخزاعي، وامرأته زينب بنت عبد الله... وغيرهم[٢].

ومن شهرة عبد الله بن مسعود في علوم القرآن أن النَّبي ﷺ أشاد بقراءته فقال: «خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود فبدأ به، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة»[٣]، وقال النَّبي ﷺ أيضاً: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد»[٤].

وفضلاً عن علمه بالقراءة فإنَّه كان علماً بأسباب النزول، وهو القائل: «والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلاّ أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلاّ أنا أعلم فيما أنزلت»[٥]. ولقد روى عنه البخاري في باب سبب النزول – على سبيل المثال – قوله: «بينا أنا مع النَّبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح... فسألوه... فأمسك النَّبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً فعلمت أنَّهُ يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء/٨٥)[٦]. وأورد الطبري روايات عدة في التفسير عن عبد الله بن مسعود — أغلبها — من طريق مرّة الهمداني[٧]، ويلاحظ على تفسير عبد الله بن مسعود للآيات القرآنية أنَّهُ كان مختصراً يقتصر على إيضاح بعض الكلمات إما لغوياً، أو لإزالة اللبس لفهم المعنى بصورة

---

(١) ن.م، ٢٧/٦، الثوري، سفيان بن سعد الكوفي (ت ١٦١هـ)، تفسير سفيان الثوري، (مقدمة المحقق إمتياز علي عرشي)، بيروت، ١٩٨٣، ص٥. شحاتة، تاريخ القرآن، ص٩٦.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٧/٦.

(٣) البخاري، الصحيح، ٣٤/٥-٣٥. مسلم، الصحيح، ١٤٨/٧-١٤٩.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٢٤/١.

(٥) مسلم، الصحيح، ١٤٨/٧.

(٦) البخاري، الصحيح، ١٠٩/٦.

(٧) على سبيل المثال الطبري، جامع البيان، ٧٧/١، ١٢٥، ١٣٣، ١٤٥، ١٦٠، ١٧٦، ١٨٤، وغيرها.

صحيحة، مثال ذلك: ما أورده الطبري... عن مرّة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (البقرة/١١). قال: هم المنافقون، أمَّا «لا تفسدوا في الأرض» فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية»[١]، وغيرها.

عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلب (ت ٦٨هـ): ابن عم رسول الله ﷺ، اختلف في تاريخ ولادته فقيل قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث[٢]، ولم يظهر له نشاط علمي في عهد أبي بكر ﷺ، غير أن نشاطه ابتدأ في عهد الخليفة عمر ﷺ، وقد روي عن ابن عبَّاس قوله: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر»[٣]، وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ولي البصرة[٤]، وطال به العمر فسكن مكة حيناً، ثمَّ سكن الطائف إلى أن مات بها سنة ٦٨هـ بعد أن جاوز السبعين عاماً[٥].

نشأ عبد الله بن عبَّاس بالمدينة وأخذ علمه منها، فقد أخذ عن النَّبي ﷺ ما تيسر له إدراكه على حداثة سنّه وقلة مدة صحبته، وقد سهّل له هذا الأخذ قرابته من رسول الله ﷺ، فضلاً عن كون ميمونة أم المؤمنين خالته فكان كثيراً ما يتردد عليها ويأخذ من بيت النبوة[٦]. وقد دعا له النَّبي ﷺ بالعلم فقال: «اللَّهُمَّ علمه الحكمة»[٧] كذلك أخذ عبد الله بن عبَّاس ﷺ عن كبار الصحابة، فمن رواية عن عبد الرزاق بن معمر قال: «عامة علم ابن عبَّاس عن ثلاثة: عمر، وعلي وأبي بن كعب»[٨]. كذلك أخذ عن زيد بن ثابت، فيروى أن «ابن عبَّاس كان يأتي بابه ينتظره حتى يخرج

(١) ن.م، ٩٧/١.
(٢) ابن حزم...، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ١٨/١.
(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣١٧/١. اليافعي، مرآة الجنان، ١٤٣/١.
(٤) الطبري، تاريخ، ٩٣/٥.
(٥) خليفة، الطبقات، ص٤ و٢٨٤. العجلي، معرفة الثقات، ٤٣/٢. البستي، مشاهير، ص٩. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٥١/٢.
(٦) البخاري، الصحيح، ٥٢/٦-٥٣. رواية عبد الله بن عبَّاس عن خالته.
(٧) البخاري، الصحيح، ٣٤/٥. السيوطي، الإتقان، ١٨٧/٢.
(٨) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٤١/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤٠/١.

يسمع منه العلم، فإذا خرج (أي زيد) قال: يا ابن عبَّاس هلا كنت أتيتك أنا، فيقول: العلم يؤتى ولا يأتي...»[١]، وهكذا يضرب ابن عبَّاس رضي الله عنه مثلاً عالياً في التواضع للعلم، مع ما أوتي من حسب ونسب ومكانة علمية.

أمَّا تلاميذ ابن عبَّاس فهم كثرة، والذي يعنينا هنا من أمر تلاميذه هو ما كان في مجال التفسير، فقد تتلمذ عليه عدة رجال أشهرهم: سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولاه (ت ١٠٥هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ)[٢]، ومعظم هؤلاء من مكة والسبب يعود إلى استيطان ابن عبَّاس مدة بمكة. فقد ذكر العلماء عن ابن تيمية قوله: «أعلم النَّاس بالتفسير أهل مكة لأنَّهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عبَّاس وسعيد بن جبير، وطاووس، وغيرهم»[٣].

تعدّ شهرة ابن عبَّاس في التفسير أكثر من شهرته في غيره من العلوم. وقد أشاد الصحابة بمكانته العلمية فيه، فهذا عبد الله بن مسعود يقول: «نعم ترجمان القرآن ابن عبَّاس»[٤]، وقال عبد الله بن عمر: «لقد أوتي ابن عبَّاس علماً صدقاً هكذا، لقد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عبَّاس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنَّهُ قد أوتي علماً»[٥]، ويقول شقيق بن سلمة: «قرأ ابن عبَّاس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت...»[٦]، ولابن عبَّاس رأي جليل في تقسيم التفسير إلى أوجه فيقول: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاَّ

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ١٢١/١.
(٢) ينظر: سزكين، تاريخ التراث، ص١٧٧. جولد زيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٥، ص١٨.
(٣) السيوطي، الإتقان، ١٨٩/٢.
(٤) الطبري، جامع البيان، ٣١/١. أيضاً البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٩٥/١.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ٣٣٢/٢-٣٣٣.
(٦) الطبري، جامع البيان، ٢٨/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٣٣/٢.

الله»[1]، ولابن عبَّاس تفسير بروايات عدة عند الطبري وغيره، سيأتي الحديث عنه.

التفسير في عهد التابعين:

برز في عهد التابعين في المدينة المنورة جماعة اشتهروا بالتفسير، وأخذ التفسير في المدينة يتسم ببعض الخصائص التي أملتها الظروف الجديدة، فتكونت حول بعض التابعين مدرسة خاصة في التفسير عرفت بمدرسة المدينة. واشتهر من هذه المدرسة من مفسري التابعين: زيد بن أسلم العدوي المدني (ت ١٣٦هـ)، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت حوالي ٩٣هـ)، ومحمد بن كعب القرظي، (ت ١١٧هـ)، وسوف نقصر الكلام عن التفسير في عهد التابعين على هذه الشخصيات الثلاث فيما سيأتي.

ومن الملاحظات التي طرأت على التفسير في هذه المرحلة، ظهور بدايات التدوين والتصنيف في هذا العلم، يقول القاسمي: «ثمَّ المرتبة الثانية من المفسرين (التابعون) ومن أشهر ثقاتهم المصنفين في التفسير مجاهد وعطاء وقتادة والحسن البصري، وأبو العالية رفيع بن مهران، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم»[2]. والثلاثة الأخيرين هم من مدرسة المدينة، أمَّا الأربعة الأوائل فإنهم وإن اشتهروا في مكة والبصرة إلاّ أن موارد علمهم في التفسير هي موارد مدنية. وبذلك تكون المدينة قد شهدت أقدم تدوين للتفسير، ذلك لأنَّ أبا العالية المشار إليه في النص توفي ما بين ٩٠-٩٣هـ، فهو أقدم المذكورين وفاة، كذلك صار التفسير في عهد التابعين أكثر شمولية، واتسع نطاقه حتى شمل أكثر آيات القرآن الكريم، مع تنوع في فهم معانيها.

أبو العالية الرياحي (ت ٩٣هـ):

هو رفيع بن مهران، من كبار التابعين المخضرمين. أسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلَّى خلف عمر بن الخطاب (رضي الله

---

(١) الطبري، جامع البيان، ١/٢٦. السيوطي، الإتقان، ٢/٤.
(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ١/١٦. وينظر: شحاتة، تاريخ القرآن، ص٩٢.

عـــنهما)[(١)]. وأخـــذ علمه عن كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وهو القائل: «قـــرأت القـــرآن علـــى عمر ثلاث مرات»[(٢)]. كما أخذ عن علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وأبو برزة الأسلمي ﷺ[(٣)]، وجُلّ هؤلاء – كما نرى – مـــن أهـــل المدينة. أمَّا من أخذ عنه العلم فهم كثرة منهم على سبيل المثال: قتادة السدوسي، وعاصم الأحول، وداود بن أبي هند، والربيع بن أنس، ومحمد بن واسع، وثابـــت البـــناني، وحميد بن هلال، وحفصة بنت سيرين وآخرون غيرهم[(٤)]، وجلّ هؤلاء الذين أخذوا عنه من أهل البصرة، إذ استوطنها مدة وعَلَّمَ بها، على الرغم من أن عداده في مدرسة المدينة التفسيرية.

وثقّـــه جماعة من كبار العلماء منهم: يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وقال أبو القاسم الطبري: «هو ثقة مجمع على توثيقه...، روى له البخاري ومسلم في صحيحهما»[(٥)]، وهذا يدل على كونه محدثاً أيضاً إلى جانب كونه مفسراً. غير أن شـــهرته بالتفسير فاقت غيرها من معرفة بالعلوم الأخرى، وقد أجمل أبو بكر بن أبي داود هـــذه الشـــهرة التي كان عليها الرياحي فقال: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقـــرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير ثمَّ السدي ثمَّ سفيان الثوري...»[(٦)]، توفي أبو العالية سنة ٩٣هـ على الأرجح[(٧)].

(١) ينظـــر لذلك: ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٧ ق٢، ص٨١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٨٤، طبقات الحفاظ، ص٢٩.

(٢) طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ١/٤٥٢.

(٣) الـــنووي، تهـــذيب الأسماء، ٢/٢٥١. ابن الأثير...، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بلا.ت، ٢/٤٦.

(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٥١. ابن الأثير، اللباب، ٢/٤٦.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٥١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/٨٤.

(٦) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٢٩. الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، القاهرة، ١٩٧٢، ١/١٧٣.

(٧) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٧، ق٢، ص٨١. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٥١. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٢٩.

زيد بن أسلم العدوي (ت ١٣٦هـ):

زيـــد بـــن أســـلم العدوي المدني، كان والده أسلم من موالي الخليفة عمر بن الخطـــاب ﷺ، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو كثير الرواية عن عمر[١]، وأمَّا زيد بن أسلم (ابنه) فيعدّ من كبار التابعين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، لم أقـــف علـــى ســـنة ولادته، إلاّ أن السخاوي ذكر أن والده أسلم «سماه زيداً تيمناً بـــزيد بـــن حارثة وكنّاه بكنيته»[٢]، وقد طال العمر بزيد بن أسلم إلى أن توفي سنة ١٣٦هـ (رحمه الله)[٣].

روى زيـــد بن أسلم عن جماعة من الصحابة، وأكثر روايته عن أبيه وعن عبد الله بـــن عمر بن الخطاب، وأخذ عن سلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وعلي بن الحسين، وعطاء بن يسار، وغيرهم[٤].

أمَّا الذين رووا عنه من التابعين فهم كثرة منهم: بنوه أسامة وعبد الرحمن وعبد الله والزهـــري، وأيـــوب الســـختياني، ومحمد بن عجلان، والإمام مالك بن أنس، ومحمـــد بـــن إســـحاق (صـــاحب السيرة)، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وســـليمان بن بلال، وحفص بن ميسرة، ويحيى بن محمد، وهشام بن سعد، وخلق غيرهـــم[٥]. وثقه العلماء الأعلام، أمثال أبي حازم، ومحمد بن عجلان، وابن معين وغيرهـــم[٦]. وشـــهرة زيـــد بن أسلم في التفسير كانت أكبر من شهرته في العلوم الأخرى، وقد ذكر الكثيرون أن مدرسة المدينة في التفسير يعود أصلها إلى أصحاب زيـــد بن أسلم. وأطلق عليهم اسم «قدماء المفسرين»[٧]. وهم ممن سلك مسلك

---

(١) ابن قتيبة، المعارف (مصر ١٩٣٤)، ص٨٢. أيضاً: خليفة، الطبقات، ص٢٦٣.
(٢) السخاوي، التحفة اللطيفة، ١٠٩/٢.
(٣) خليفة، الطبقات، ص٢٦٣. البستي، مشاهير، ص٨٠.
(٤) أبـــو نعـــيم، حلية الأولياء، ٢٢٤/٣. السخاوي، التحفة اللطيفة، ١٠٩/٢. الداوودي، طبقات المفسرين، ١٧٦/١.
(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٢٤/٣. السخاوي، التحفة اللطيفة، ١٠٩/٢.
(٦) ينظر: البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٧٥/١. الداوودي، طبقات المفسّرين، ١٧٧/١.
(٧) السيوطي، الإتقان، ١٨٩/٢-١٩٠.

الصحابة في التفسير بالمأثور(١).

محمد بن كعب القرظي (ت ١١٨هـ):

وهـــو محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني، كنيته أبو حمزة، من عبّاد أهل المديـــنة وعلمائهم بالقرآن(٢)، وأحد كبار التابعين سكن الكوفة حيناً، ولكن أكثر حياته قضاها في المدينة، وعداده في حلفاء الأوس، ووصف بالصلاح والعلم(٣)، مات بالمدينة سنة ١١٨هـ، وقيل ١٢٠هـ(٤).

علمه وفضله:

كان محمد بن كعب على جانب من العلم، لاسيما في الحديث والقصة، فضلاً عن شهرته في التفسير. روى القرظي عن جماعة كبيرة من الصحابة، منهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، وأبي ذر، وأبي الـــدرداء، و(يقال إن الجميع مرسل) وعن المغيرة بن شعبة، ومعاوية، وأبي هريـــرة، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن يزيد الخطمي، والبراء، وجابر، وأنس وغيرهـــم ﷺ. وروى عنه أخوه عثمان، والحكم بن عتيبة، ويزيد بن أبي زياد، وابن عجلان، وموسى بن عبيدة، وأبو معشر،... وهشام بن زياد وآخرون(٥).

اشتهر محمد بن كعب بأنه كان يقصّ ويعظ في المسجد النبوي وفي غيره من مساجد المدينة، حتى إن ابن الجوزي ذكره ضمن أعيان القصاص والمذكّرين من أهل المدينة، وأن وفاته كانت في مجلس من مجالس القصص والوعظ(٦). وفي علم الحديث النبوي وصف بأنه «كان عالماً كثير الحديث ورعاً»(٧)، ولكن شهرته في

---

(١) ن.م، ٢/١٩٠.
(٢) البستي، مشاهير، ص٦٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٠.
(٣) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٢٥١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٠.
(٤) طبقات، ص٢٦٤. العجلي، معرفة الثقات، ٢/٢٥١، البستي، مشاهير، ص٦٥.
(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٢١٧-٢١٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٠-٤٢١.
(٦) ابـــن الجـــوزي، عـــبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، كتاب القصّاص والمذكّرين، دار المشرق، بـــيروت، ١٩٧١، ص٥٦-٥٧. أيضـــاً: البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٦٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٢.
(٧) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٢٥١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢١.

التفسير فاقت غيرها، وقد أشاد بعض العلماء بمكانته فيه، من ذلك ما روي عن عون بن عبد الله قوله: «ما رأيت أعلم بتأويل القرآن من القرظي»(١). ويظهر أن القرظي أدخل الأسلوب القصصي إلى تفسير القرآن، فلو أخذنا روايتي ابن حبان بأنه «كان يقص في المسجد»(٢) ومحمد بن فضيل الذي يقول: «كان لمحمد بن كعب جلساء كانوا من أعلم النّاس بتفسير القرآن»(٣). وروايات أخرى غيرها، لوجدنا أن محمد بن كعب كان يقصّ على جلسائه ما له علاقة بتفسير الآيات القرآنية، وأن جانباً من تفسيره كان يأخذ شكل القصة، فمثلاً في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (النحل/٣٢) يقول القرظي: «إذا انتزعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت يقول: السلام عليك يا وليّ الله، الله يقرئك السلام، ثمّ يوحى بهذه الآية (الذين تتوفاهم... الخ) الآية»(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩ ﴾ (الروم/٣٩)، قال: «الرَّجل يعطي من ماله ليكافئه به أو يزداد فذلك الذي لا يربو عند الله، والمضعفون: الذي يعطي لوجه الله تعالى لا يبغي به مكافأة فذلك الذي يضاعف الله له»(٥).

وعموماً فإن النماذج المتيسرة من تفسير القرظي تتسم بكونها تميل إلى الاختصار في التعبير، والتأكيد على شرح الألفاظ المبهمة، مع الاستعانة بالمأثور من كلام النّبي ﷺ والصحابة كالخليفة عمر وابنه عبد الله (رضي الله عنهما)، وأحياناً يرجح بعض المعاني التي تنمّ عن رأيه(٦).

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٦٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢١.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٢.
(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٦٤.
(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٢١٦-٢١٧.
(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٢١٦-٢١٧.
(٦) ينظر على سبيل المثال: أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٢١٣، ٢١٥، ٢١٨.

التفسير في عهد أتباع التابعين (العصر العباسي الأول):

تميز عهد أتباع التابعين باهتمامهم، بجمع ما أثر عن رسول الله ﷺ وعن صحابته وعن التابعين، وتدوينه، ومقارنة للعلماء الذين اشتهروا بالتفسير في المدينة المنورة مع غيرهم ممن اشتهر من بقية الأمصار والمدن الإسلامية في القرن الثاني الهجري (عهد أتباع التابعين) نجد أن الذين اشتهروا في غير المدينة أكثر، فقد انتقل مركز التفسير إلى البصرة، والكوفة، وبغداد، ودمشق، وبعض مدن المشرق كمدينة بلخ.

وقد برز من أتباع التابعين في المدينة المنورة جماعة من العلماء الأعلام ممن اشتغلوا بالتفسير ودونوه عمَّن سبقهم، وكان من أبرزهم: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، الذي سبق لوالده أن اشتهر بالتفسير، والإمام مالك بن أنس. وكليهما من أصحاب زيد بن أسلم ومن مدرسته، وقد نقل عن ابن تيمية قوله: «... وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس»[1]، غير أن مدرسة المدينة تركزت في التفسير في هذه المدة في شخصية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لذا سنقتصر عليه في الحديث كنموذج للمفسّرين في هذا العهد.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي المدني (ت ١٨٢هـ):

أحد مشاهير المفسّرين المدنيين، أخذ التفسير عن والده زيد[2]، وسار على نهجه في التزام الأثر، وروى العلم عن أبيه وابن المنكدر، وصفوان بن سليم، وأبي حازم، وغيرهم، وروى عنه: ابن وهب، وعبد الرزاق، ووكيع، وابن عيينة، والوليد بن مسلم، وعيسى غنجار، وأبو مصعب الزبيري، وسويد بن سعيد، وعيسى بن حماد وغيرهم[3]. ضعفه بعض العلماء في الحديث مثل أحمد، والنسائي،

---

(١) السيوطي، الإتقان، ١٨٩/٢. طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ٤٥١/١. القاسمي، محاسن التأويل، ١٧/١.

(٢) الداوودي، طبقات المفسّرين، ٢٦٥/١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٧٧/٦. الداوودي، طبقات المفسّرين، ٢٦٥/١.

وابن المديني... وغيرهم[(١)]. وقال ابن سعد: «كان كثير الحديث ضعيفاً»[(٢)]. أمَّا في التفســير فحاله أفضل كما يبدو، وخلا من الطعن، ويبدو أن مؤلفه في التفسير قد روى عنه الطبري في تفسيره، وأن هذه الروايات التي جاوزت الألف رواية، جاءت عــن طــريق يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤هـ)، عن عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم...[(٣)] والمتمعن في هذه الروايات التي نقلها الطبري يجد أن المنهج الغالب عليها هو الاختصار والاقتضاب مع التأكيد على طريقة الأثر[(٤)]، وله مؤلف آخر في التفسير هو الناسخ والمنسوخ[(٥)]، توفي عبد الرحمن سنة اثنتين وثمانين ومائة على الأرجح[(٦)].

مؤلفات علماء المدينة في التفسير:

١. تفسير أبيّ بن كعب: وهو الذي ذكره السيوطي وغيره بأنه «نسخة كبيرة يــرويها أبــو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه «أي عن أبيّ بن كعــب»، وهــذا إســناد صحيح»[(٧)]، أمَّا عن مكان وجود هذا التفسير، فيذكره السيوطي بقوله: «وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم منها كثيراً، وكذا الحاكم في مستدركه، وأحمد في مسنده»[(٨)].

٢. تفســير ابن عبَّاس: وأكثر هذا التفسير موجود عند الطبري في تفسيره[(٩)]،

---

(١) ابن حجر، تهذيب، ٦/١٧٨-١٧٩.

(٢) ابن حجر، تهذيب، ٦/١٧٨-١٧٩.

(٣) ينظــر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان، ١/٢٧١، ٤٤٥، ٧/١٢٦، ٢٠/٢٧٧ وغيرها. وينظر: سزكين، تاريخ التراث، ص٢١٠.

(٤) ينظــر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان، ١/٢٧١، ٤٤٥، ٧/١٢٦، ٢٠/٢٧٧ وغيرها. وينظر: سزكين، تاريخ التراث، ص٢١٠

(٥) الداوودي، طبقات المفسّرين، ١/٢٦٥.

(٦) عــند خليفة بن خياط، أنَّهُ مات سنة (١٨٠هـ)، الطبقات، ص٢٧٥. ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨١، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/١٧٩. الداوودي، طبقات المفسرين، ١/٢٦٦.

(٧) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٩.

(٨) ن.م، ٢/١٨٩.

(٩) سزكين، تاريخ التراث، ص١٧٦.

وقــد وصل هذا التفسير من طرق متعددة تتفاوت في الصحة، قال السيوطي: «وقد ورد عن ابن عبَّاس من التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة، فمن جيدها، طريق علي بن طلحة الهاشمي عنه»[١]، وأمَّا مكان وجود هذا التفسير فيروى عن أحمد بن حنبل قوله: «بمصر صحيفة في تفسير رواها علي بن أبي طلحة... قال ابــن حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس»[٢].

وثمة أماكن أخرى ذكرها السيوطي لوجود تفسير ابن عباس - نقلاً عن كتاب الإرشاد الخليلي — رواية «محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار وذلك صــحيح، وروايــة الحجاج بن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه. وتفسير شبل بن عباد المكي عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عبَّاس قريب إلى الصحة، وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به، وغيرها. ومن التفاسير المروية عن ابــن عبَّاس التي ضعّف أصحابها تفسير مقاتل بن سليمان، فمقاتل في نفسه ضعّفوه والشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح...»[٣].

وبين أيدينا من آثار تفسير ابن عبَّاس المجموعة في كتاب مستقل، نسخة خطية مــن تفسير مجاهد عن عبد الله بن أبي نجيح (ت ١٣١هـ)، عن ابن عباس[٤]، أشار إليها سزكين بأنها «في القاهرة برقم (تفسير/١٠٧٥) في ٩٥ ورقة، وأن الطبري نقل من هذا التفسير حوالي ٧٠٠ مرة في مواضع مختلفة»[٥].

أمَّا النسخة المطبوعة والمتداولة المنسوبة لابن عبَّاس والتي تحمل عنوان «تنوير المقــياس مــن تفسير ابن عبَّاس» فهي في واقعها «جزء من جمع محمد بن يعقوب

---

(١) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٨. حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/٤٢٩.

(٢) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٨.

(٣) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٨، وتفاصيل أخرى، أيضاً، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/٤٢٩.

(٤) أشار الداوودي إلى أن تفسير ابن عبَّاس «رواه عنه مجاهد، ورواه عن مجاهد، حميد بن قيس...»، طبقات المفسرين، ١/٢٣٣.

(٥) سزكين، تاريخ التراث، ص١٨٦. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/٨.

الفيروزآبادي (ت ١٧١٧هـ)، وقد طبعت أكثر من طبعة»[1].

٣. ويمكن أن نعدّ مسائل ابن الأزرق لابن عباس، والتي تضمنت ما يقرب من مائتي كلمة، أحد تفاسير ابن عبَّاس اللغوية للقرآن. فهي تتضمن الأجوبة عن معاني هذه الكلمات معززة بشواهد من الشعر القديم[2].

٤. تفسير زيد بن أسلم: له كتاب في التفسير أشار إليه الذهبي فقال: «ولزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن»[3] وقال السخاوي: «له إلمام بالتفسير وله فيه كتاب»[4]، فإن صح ذلك فيعد زيد بن أسلم من قدماء المفسرين من التابعين المدنيين الذين دوّنوا فيه الكتب.

٥. تفسير أبي العالية (رفيع بن مهران الرياحي): وقد ورد هذا التفسير خلال تفسير الطبري في الروايات التي نقلها الطبري عن طريق المثنى عن آدم عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية[5]. (قارن ما كتب أعلاه عن تفسير أبي بن كعب).

٦. تفسير محمد بن كعب القرظي: ورد منه معلومات في كتب مختلفة منها، الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي، وهو من كتب التفسير بالمأثور[6].

---

(١) سزكين، تاريخ التراث، ص١٨٢. ومن هذه الطبعات بولاق ١٨٦٣، ١٨٦٦، ١٨٧٣ والقاهرة ١٣٠٢هـ، ١٣١٦هـ، ١٣٣٢هـ، ١٩٣٧م، ١٩٦٠م، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/٨.

(٢) أوردها السيوطي في: الإتقان في علوم القرآن، ١/١٢٠-١٣٣. كما ضمنت بنت الشاطئ كتابها، الإعجاز البياني للقرآن (مسائل ابن الأزرق)، من ص٢٧٨-٥٠٧، وثمة طبعات أخرى غيرها لهذه المسائل أشار إليها سزكين، تاريخ التراث، ص١٨٢-١٨٣.

(٣) الداوودي، طبقات المفسّرين، ١/١٧٧.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/١١٠. أيضاً: السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٠.

(٥) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٩، على سبيل المثال ينظر ما أخذه الطبري عن هذا الطريق في تفسيره في ١/١٨١، ١٩١، ٢٠٠، ٢٢٥، ٢٥٣، ٣٠٠، ٣٣٧، ٣٧٤ وغيرها كثير، وأشار إلى هذا التفسير: الداوودي، طبقات المفسرين، ١/١٧٣ إذ يقول: «وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري...».

(٦) النعمة، إبراهيم، «تفسير رشيد بن الشيخ صالح الموصلي الذي يحمل عنوان: أولى ما قيل في آيات التنزيل، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٩٦ السنة التاسعة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦، ص٦٦. وذكر كتاب الكشف والبيان فقال: «... ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم (١٣٦) و(٥٥٦١) تفسير...»، ص٦٦. وينظر أيضاً: سزكين، تاريخ التراث، ص١٩٠.

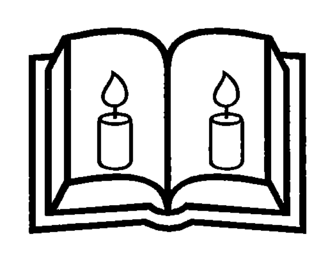
ونقل ابن إسحاق في السيرة والطبري في التاريخ، روايات عن تفسير القرظي ذات مضمون تاريخي، تدل على أن ابن إسحاق قد استخدم كتاباً عنه «ربَّما كتاب تفسـير يتضـمن معلومات تاريخية وفيرة»[1]، وأيضاً نقل الطبري عنه روايات في تاريخـه، فعلـى سبيل المثال: نقل عنه ابن إسحاق والطبري تفسير قصة أصحاب الأخدود، سورة البروج، عند الحديث عن انتشار النصرانية بنجران[2]، ونقل الطبري عن ابن إسحاق ما يتعلق بتفسير صدر سورة النجم (الآيات ١-٢٠) وسبب نزولها، عن يزيد بن زياد المدني، وعن محمد بن كعب القرظي[3]، وكذلك تفسير آخر سورة النحل، ومقتل حمزة عم النَّبي ﷺ[4]، وغير ذلك.

٧. تفسـير عـبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ذكر ابن النديم أن له من الكتب، كـتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب التفسير[5]، وورد هذا التفسير ضمناً مع تفسير الطبري، فيذكر أن الأخير ضمن تفسيره (١٨٠٠) رواية مسندة إلى عبد الرحمن بن زيـد، وقد وردت هذه الروايات بهذه السلسلة: يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤هـ) قال: حدثنا ابن وهب (عبد الله)، قال: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم...»[6].

كذلك استخدم الثعلبي تفسير عبد الرحمن بن زيد في كتابه «الكشف والبيان/٤ ب»[7]، هذا ما تيسّر لنا الوقوف عليه من مؤلفات أهل المدينة في التفسير في القرنين الأول والثاني للهجرة.

---

(١) سزكين، تاريخ التراث، ص١٩٠.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤-٣٥. الطبري، تاريخ، ٢/١٢١-١٢٣.
(٣) الطبري، تاريخ، ٢/٣٣٨-٣٣٩.
(٤) ن.م، ٢/٥٢٩.
(٥) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨١. الداوودي، طبقات المفسرين، ١/٢٦٥.
(٦) سزكين، تاريخ التراث، ص٢٠١.
(٧) سزكين، تاريخ التراث، ص٢٠١.



الفصل الرابع

علوم الحديث

حول مفهومي الحديث والسنة:

السنة، لغة: الطريقة والسيرة، يقال: سن الله سنة أي بيّن طريقاً قويماً. وسننتها سنّا واستننتها: سرتها[1]، وهي في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النّبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو سيرة، سواء كانت قبل البعثة أم بعدها[2]. والحديث، لغة: ما يستعمل في قليل الكلام وكثيره[3]. وفي اصطلاح المحدثين: قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره، وهو ينصرف في الغالب إلى ما يروى عن الرسول ﷺ بعد النبوة، وبذا تكون السنة أعم من الحديث لما قد يدخل معها من أقوال وأفعال الخلفاء الراشدين أو الصحابة[4]، لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»[5].

ومنهم من قسّم علم الحديث إلى قسمين: «علم الحديث الخاص بالرواية: وهو

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سنن). الزبيدي، تاج العروس مادة (سنن).

(٢) الكرماني، شمس الدين محمد بن يوسف البغدادي (ت ٧٨٦هـ)، شرح صحيح البخاري، المطبعة البهية، مصر، ١٩٣٧، ١/١١-١٢. وينظر: الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٤ وما بعدها. عبد الغني عبد الخالق، حجيّة السنة، دار التربية، بغداد، بلا.ت، ص٤٥ وما بعدها.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدث).

(٤) السيوطي، تدريب الراوي، ٢/٤-٥، محمد علي الفاروقي (ت ق ١٢هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧، ٤/٥٣. الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠، ص١، البوطي، محمد سعدي رمضان، السنة المصدر الثاني للتشريع، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٦، ١٩٨١، ٢/٨-٩.

(٥) أبو داود، السنن، ٤/٢٠١ رقم الحديث (٤٦٠٧). ابن ماجة، السنن، ١/١٦، رقم الحديث (٤٢ و٤٣).

علـــم يشـــمل على نقل أقوال النَّبي ﷺ. وأفعاله، وروايتها وتحرير ألفاظها[(١)]. وعلم الحـــديث الخاص بالدراية: وهو علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها وأحكامهـــا، وحال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها»[(٢)]. وعلى هـــذا سنركز دراستنا لهذا الفصل على رواية الحديث وتدوينه وأشهر المحدثين (الرواة والمدونين) من أهل المدينة، والوضع في الحديث ونشوء علم الجرح والتعديل، ودور أهل المدينة في مقاومة الوضع في الحديث، ورحلتهم في طلب الحديث، وما ألقوه في هذا العلم.. وما إلى ذلك.

وللحديث أهمية كبرى في العلوم الدينية، وفي التشريع، فهو يلي مرتبة القرآن، إذ القرآن هو المصدر الأول لهذه الشريعة الغرّاء، والحديث هو المصدر الثاني لها...، والترابط بين القرآن والحديث في هذا المجال غاية في الأهمية. وقد أبان الإمام الشافعي ذلك عند حديثه عن السنة بقوله: «... وذلك أنها مقرونة بكتاب الله، وإن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على النَّاس اتباع أمره»[(٣)]، ذلك أن أكثر آيات القرآن الكريم جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة، فجاء قول الرسول ﷺ أو عمله فبيّنها أو قيدها أو خصها، فكانت السنة النبوية (الحديث) مفسرة للقرآن وذلك واضح في آيات القرآن نفسها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل/٤٤). وعلى سبيل المثال فمن بيان السنة للقرآن، ما يتعلق «بفريضة الصَّلاة التي جاءت مجملة في الكتاب فبين النَّبي ﷺ مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه للزكاة وحدّها ووقتها. وما الذي تؤخذ منه الأموال، وبيانه

---

(١) طـــاش كـــبري زادة، مفـــتاح الســـعادة، ٢/٥٢. القاســـي...، قـــواعد الـــتحديث، مصر، ١٩٦١، ص٧٥. المـــباركفوري، محمـــد بـــن عـــبد الـــرحيم (ت ١٣٥٣هـ)، مقدمـــة تحفـــة الأحـــوذي...، المديـــنة المـــنورة، بـــلا.ت، ١/٧. عـــبد الكـــريم زيدان، وعبد القهار العاني، علوم الحديث، بغداد، ١٩٨٠، ص٥ وما بعدها، وينظر:
J. Robson, S. V. (Hadith), E. I. ٢.

(٢) المصادر السابقة نفسها (١-٦).

(٣) الشـــافعي، محمـــد بـــن إدريس، الرسالة، طبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٠، ص٧٨ وص١٩٨. وينظر: البوطي «السنة المصدر الثاني للتشريع»، مجلة المؤرخ العربي، ع١٦، ٢/١٠.

لمناسك الحج قال ﷺ إذ حج بالناس: «خذوا عني مناسككم»[١]، ولتأكيد أهمية الحديث وأنه قرين لكتاب الله في التشريع، ورد قول النّبي ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ليوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه... وإن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله»[٢].

ولذلك ذهب البعض من العلماء بأن السنة (الحديث) تفسر الكتاب وتبينه، قال يحيى بن كثير: «السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة»[٣]، ولأهمية علم الحديث فإنَّه استحوذ على جميع العلوم والمعارف في العصر الوسيط، حتى ذكر أحد الباحثين بأنه ليس من المستغرب أن دلالة كلمة «علم» اقتصر مفهومها في القرون الإسلامية الأولى على علم الحديث[٤]. وقد اهتم الصحابة ﷺ بروايته، ودوّنه بعضهم، فكانوا بذلك قد أسسوا قواعد الرواية والتدوين لمن بعدهم. وكالآتي:

تدوين الحديث في عهد التابعين ومن بعدهم بالمدينة:

وجد في جيل التابعين من كان يكتب الحديث ويرخص في كتابته عنه، بل حتى الذين ورد عنهم التحرج من الكتابة أو الامتناع منها قد رخصوا في مواضع، وبذلك يمكننا القول، إن حركة التدوين زادت أكثر في عهد التابعين، وأخذ التحرج من كتابة الحديث يقل عما كان عليه في عهد الصحابة. يؤكد ذلك ما ورد عنهم من الآثار التي تحث على كتابته للعلم وتحرص عليه، لاسيما بعد أن «فرق طلاب العلم بين النهي عن كتابة الرأي والنهي عن كتابة الرأي مع الحديث»[٥]، فهذا سعيد بن

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٢/١٩٠.

(٢) أبو داود، السنن، ٤/٢٠٠، رقم الحديث (٤٦٠٤). ابن ماجة، السنن، ١/٦، رقم الحديث (١٢).

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١٩١/٢. القرطبي، الجامع، ٣٩/١. الشاطبي، الموافقات، ٤/٢٦، ومعنى قاضية هنا أي مفسّرة ومبينة.

(٤) منير الدين أحمد تاريخ التعليم عند المسلمين...، ترجمة أسامة الصفار، الرياض، ١٩٨١، ص٢٢.

(٥) ينظر: الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٣٢٢-٣٢٥.

المسيب يرخص لعبد الرحمن بن حنظلة بالكتابة، يقول الأخير: «كنت لا أحفظ... فرخص لي سعيد بن المسيب في الكتابة»[١]. ورُويَ عن ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، التابعي المدني أنَّهُ كان يدوّن الحديث، فعن عبد العزيز بن محمد قال: «أول من دوّن العلم وكتبه ابن شهاب»[٢]، وعن صالح بن كيسان قال: «كنت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم فاجتمعنا على أن نكتب السنن فكتبنا كل شيء سمعنا عن النَّبي ﷺ، ثمَّ قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنَّه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت»[٣]، وفي هذا دليل على أن التدوين أخذ يتسع نطاقه ليشمل أقوال الصحابة فضلاً عما جاء عن النَّبي ﷺ، وذلك لكونه من الآثار التي يمكن للتابعين أن يستندوا إليها في أمور دينهم ودنياهم، ومن الأمثلة الأخرى على التدوين في عهد التابعين ما روي عن نافع مولى ابن عمر من أنَّهُ كان «يملي العلم على طلابه، وطلابه يكتبون بين يديه»[٤].

وهذا علم آخر من أعلام التابعين بالمدينة يُكتب الحديث بين يديه ويُقرأ عليه ولا يمانع، فعن عبيد الله بن أبي رافع قال: «رأيت من يقرأ على الأعرج – عبد الرحمن بن هرمز – حديثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، فيقول: هذا حديثك يا أبا داود؟ قال: نعم»[٥] ويرجح أن يكون ما يقرأ عليه من حديثه عن أبي هريرة مدوناً. غير أن الخدمة الجليلة التي قدمت لتدوين الحديث النبوي في المدينة المنورة وعلى عهد التابعين، هي تلك التي كانت على يد أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١١٧هـ). عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز على المدينة المنورة (٩٩-١٠١هـ) وبإيعاز من الخليفة عمر ﷺ نفسه، وهو ما أطلق عليه «التدوين الرسمي

---

(١) الخطيب، تقييد العلم، ص٩٩. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/٧٣.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/٧٣.

(٣) الخطيب، تقييد العلم، ص١٠٦-١٠٧. ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/٧٦-٧٧. وبألفاظ متقاربة عند: ابن سعد، طبقات ج٢ ق٢ ص١٣٥. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٣٦٠-٣٦١.

(٤) الدارمي، السنن، ١/١٢٩. وينظر: الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٣٢٧.

(٥) ابن سعد، طبقات (ط ليدن)، ٥/٢٠٩.

للحـــديث»[١]. فتكاد تجمع الروايات على أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ كتب إلى أبي بكر ابن حزم يطلب منه أن يكتب له حديث النّبي ﷺ، فعن عبد الله بن دينار «أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره: انظر ما كـــان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة[*]، فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله»[٢]، وثمة رواية أخرى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهـــل المديـــنة: «انظروا ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإني خفت دروس العلـــم وذهاب العلماء»[٣]، إن اختيار المدينة المنورة لهذه المهمة دليل على مكانتها العلمية، وتصدرها على غيرها في حفظ حديث رسول الله ﷺ، فهو قد عاش بهـــا عشر سنوات وأسس بها دولة الإسلام. وبالفعل فقد كتب ابن حزم الحديث في كتب خاصة، غير أننا لا يمكن أن نستدل على نشرها وتوزيعها، إذ يروى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز «توفي وقد كتب له ابن حزم كتبا قبل أن يبعث بها إليه...»[٤]. ومن الذين أسهموا في تدوين الحديث من التابعين المدنيين محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) — وأنه كان ممن يدون الحديث، ولكن هنا نشير إليه أنَّهُ شارك في عملـــية الـــتدوين الرسمـــي للحديث في خلافة عمر بن عبد العزيز وتوزيعه على الأمصـــار، فـــيروى عن ابن شهاب قوله: «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً[٥]». وهكذا تأكد لنا مـــن المعلومات الخاصة بالكتابات الأولى في كثير من المجالات، وكذلك من تطور الإسناد، ومن بحث سلاسل إسناد الحديث، أن الوقت كان سانحاً لمثل هذا النشاط

---

(١) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٣٣٢.

(*) عمـــرة: هي عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار... نشأت في حجر عائشة، وكانـــت مـــن أثبت التابعين في حديث عائشة (رضي الله عنها)، وروت عن أم سلمة (رضي الله عنها)، روى عنها الزهري، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم.
ينظر: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت ١٩٦٠)، ٨/٤٨٠-٤٨١.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٢ ق٢ ص١٣٤.

(٣) الخطيب، تقييد العلم، ص١٠٦.

(٤) عياض، ترتيب المدارك (ط بيروت)، ٦٢/١.

(٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٧٦/١.

في التأليف، وأن للزهري دوراً كبيراً في ضم الأحاديث[١].

إذن نشطت الحركة التدوينية للحديث النبوي في عهد التابعين وأتباع التابعين في المدينة المنورة كما في غيرها، وهكذا كانت نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني خاتمة حاسمة لما كان من كراهة الكتابة وإباحتها، فدُونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر، وكثرت الصحف في أيدي طلاب الحديث.

في عهد أتباع التابعين:

ولما جاء القرن الثاني أي عهد أتباع التابعين زادت حركة تدوين الحديث النبوي ولم يلبث هذا التيار من النشاط العلمي (الفكري) وكتابة الحديث أن طالع العالم بمدونات حديثية مختلفة – على أيدي التابعين وأتباع التابعين – لا سيما في النصف الأول من القرن الثاني الهجري[٢]. سواء في المدينة المنورة أو في غيرها من المدن الإسلامية، والذي يهمنا هو ما كان في المدينة من أمر التدوين، نقول: بعد أن كان الحديث يجمع في صحف وكراريس أصبح الحديث يرتب على الأبواب، وكان التدوين يشمل السنن وما يتعلق بها. وقد ذكر ممن صنف ودون الحديث النبوي من أهل المدينة وبوبه، هشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٦هـ)، وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري (ت ١٤٧هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن (ابن أبي ذئب) (ت ١٥٩هـ)، والإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)[٣]. وسنأتي بالكلام عن مصنفاتهم ومدوناتهم في الحديث النبوي عند الحديث عن مؤلفات أهل المدينة في هذا الفصل.

جهود علماء المدينة في خدمة الحديث النبوي الشريف:

نتيجة لظاهرة الوضع في الحديث[٤]، فقد نشأت في المدينة المنورة – كما نشأ في غيرها أيضاً – حركة قوية اتسمت في جهود العلماء في مقاومة هذه الظاهرة

(١) سزكين، تاريخ التراث، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٣٣٧ بتصرف.

(٣) قارن: ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١/١٧. وينظر: ما كتب في مبحث المؤلفات في هذا الفصل.

(٤) ينظر عن الوضع وأسبابه: ابن عراق، تنزيه الشريعة، ١/٥. ابن كثير، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، بيروت، بلا.ت، ص٤٢ وما بعدها.

المـــربية، مما يمكن أن نسميه «نقد الحديث» أو «الجرح والتعديل»، وتعد المدينة أوثق الأمصار الإسلامية في رواية الحديث النبوي، حتى رحل إليها العلماء للتوثق من الـــرواية، فهذا أبو العالية الرياحي يقول: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رســـول الله ﷺ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم فسمعناها من أفواههم»[١]، ومعلوم أن المقصـــودين مـــن الصحابة هنا أهل المدينة لأنّ أبا العالية نشأ بالمدينة وأخذ من علمائهـــا. ولقد تجلت جهود علماء المدينة في مقاومة الوضع، والحفاظ على سنة رسول الله ﷺ في الأمور الآتية:

١. التـــزام الإســـناد: لم يكن للإسناد شأن في عهد الصحابة الأوائل، إذ من المعروف أن الصحابة ﷺ كانوا ينقلون ما سمعوه من رسول الله ﷺ إلى من لم يسمع، فكـــان الشاهد يحدث الغائب... وإن عدم سؤال بعض الصحابة عن الإسناد مردّه إلى عـــدم الحاجة إليه لثقة أحدهم بالآخر، إذ لا يكذب بعضهم على بعض[٢] لكن الحاجـــة إلى الإســـناد ظهـــرت بعد ظهور الفتن وركوب النَّاس لأسبابها... يقول عـــبد الله بن عبَّاس ﷺ: «إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب النَّاس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه»[٣]، وفي رواية أخرى «كنا إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه، فلما ركب النَّاس الصـــعب والذلـــول لم نأخذ من النَّاس إلاَّ ما نعرف»[٤]. وفي تعليقه على كلام ابن عبَّاس يقول البستي: «قد أخبر ابن عبَّاس أن تركهم الرواية وتشديدهم فيها... كان ذلك توقياً للكذب عليه من بعدهم، لا أنهم كانوا متهمين في الرواية»[٥].

وتعـــدّ المدينة من أوثق الأمصار الإسلامية في التزام الإسناد، لما اتبع علماؤها

---

(١) ابـــن عبد البر...، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٧، ٥٦/١.

(٢) ينظـــر: الدارمـــي، السنن، ١١٢/١. الدوري، قحطان عبد الرحمن، «علوم الحديث الشريف»، حضارة العراق، ٩٤/٧.

(٣) مسلم، الصحيح، ١٠/١. البستي، المجروحين، ٢٨/١. ابن عبد البر، التمهيد، ٤٣/١.

(٤) مسلم، الصحيح، ١٠/١.

(٥) البستي، المجروحين، ٢٨/١.

من طريقة دقيقة ومشدّدة في نقل الرواية[١]، يقول ابن خلدون: «وكانت طريقة أهل الحجاز في أمصارهم في الأسانيد أعلى ممن سواهم، وأمتن في الصحة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك»[٢]، ويقول البيهقي: «حديث أهل المدينة أصح، وإسنادهم أقرب برجل»[٣]. ولما كان الهدف من الإسناد التوصل إلى حقيقة أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، ولأنّ الكثير من الصحابة عاشوا في المدينة، وفهموا السنة النبوية وتلمسوها، فهم المصدر الوحيد عنها... «فالإسناد في الحديث يثبت لأهل المدينة ونظامها مكانة متميزة في الدولة الإسلامية، ويجعلهم المثل الأعلى والمرجع الأكبر في الحياة الاجتماعية والفكرية»[٤].

وقد أخذ علماء الحديث المدنيون يطالبون رواة الأحاديث بالإسناد عندما يحدثون فهذا ابن شهاب الزهري يسمع إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة يحدث فيقول: «قال رسول الله ﷺ، فقال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله عز وجل لا تسند حديثك، تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة»[٥]، وهذا هشام بن عروة بن الزبير، يقول: «إذا حدثك رجل بحديث فقل عمَّن هذا»[٦]. ولأهل المدينة سلاسل إسناد اتسمت بدقتها وعدالة رجالها وصحتها، وأشهرها ثلاثة: الأولى: «الزهري عن سالم عن أبيه، والثانية: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي، والثالثة: مالك عن نافع عن ابن عمر...»[٧].

---

(١) ينظر لذلك: الدوري، عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، ١٩٦٠، ص١٩-٢١. العلي، «الرواية والأسانيد...» مجلة المجمع العلمي العراقي، ع٣١ لسنة ١٩٨٠، ١/٢٤-٢٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤١-٤٤٢.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، معرفة السنن والآثار، تح. أحمد صقر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٦٩، ١/٦٦.

(٤) العلي، «الرواية والأسانيد...»، مجلة المجمع العلمي العراقي، ع٣١ لسنة ١٩٨٠، ١/٣٤.

(٥) البستي، المجروحين، ١/١١٩. الحاكم النيسابوري...، معرفة علوم الحديث، باعتناء معظم حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧، ص٦.

(٦) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١/٣٤.

(٧) السيوطي، تدريب الراوي، ١/٣٢.

٢. التثبت من الحديث والرحلة في طلبه: اتصف جيل الصحابة من أهل المدينة خاصة، بالدقة والأمانة في رواية الحديث، فالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يطلب شهوداً على حديث رواه أحد الصحابة في الاستئذان، والخليفة علي بن أبي طالب ﷺ يستحلف من يحدث عن رسول الله ﷺ[(١)]، ويروى عن ابن عبَّاس قوله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[(٢)]، والواقع فإن ذلك كان يهدف إلى التثبت في الرواية والتحري الشديد، وقد روي عن بعض علماء الحديث من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يأخذوا الحديث إلاً ممن هو أهل للحديث، فهذا أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان ت ١٣١هـ) يقول: «أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال ليس من أهله»[(٣)].

وقد رحل بعض أعلام أهل المدينة من الصحابة أو التابعين للتثبت من الحديث، وفي هذا دليل على اهتمام الصحابة والتابعين وأتباعهم بالحديث الشريف. فمن أهل المدينة ممن أثر عنه ذلك من الصحابة، أبو أيوب الأنصاري[(*)] (ت ٥٢هـ)، رحل إلى عقبة بن عامر بمصر «فلما أخبروا عقبة خرج إليه قال: حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مسلماً على خزية ستره الله يوم القيامة» فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة ما حلّ رحله»[(٤)].

وسار جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ، إلى الشام شهراً من أجل حديث، إذ

---

(١) البستي، المجروحين، ١/٣٧.

(٢) البستي، المجروحين، ١/١٤.

(٣) مسلم، الصحيح، ١/١١.

(*) اسمه خالد بن زيد بن كليب من بني عوف. شهد بيعة العقبة الثانية، وكان ممن نزل عليه النَّبي ﷺ عند قدومه المدينة، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. روى عن النَّبي ﷺ بعض الأحاديث... مات في حصار القسطنطينية سنة ٥٢هـ.

ينظر عنه: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٣ ق٢ ص٤٩-٥٠، البستي، مشاهير، ص٢٦. ابن حجر، الإصابة، ٤/٥. ٤-٤٠٦.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/٩٣-٩٤. الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٣٤. الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص٧-٨.

يقول: «بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثمّ سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري فأتيت منزله... قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه أنا منه، فذكر له ابن أنيس الحديث بتمامه»[1].

ولم تقتصر الرحلة في طلب الحديث للتثبت والتوثيق على الصحابة فحسب، بل جرى التابعون المدنيون على ذلك، فمما يروى عن سعيد بن المسيب قوله: «إني كنت لأسافر مسيرة الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[2]، كما رحل ابن شهاب الزهري إلى الشام، «إلى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة»[3].

وكما كان العلماء المدنيون الأعلام يرحلون في طلب الحديث إلى أماكن بعيدة خارج المدينة، فقد كانت المدينة تستقبل الكثير من العلماء للتوثق من الحديث فيها، لا سيما أن المدينة أصبحت محط أنظار المسلمين من طلبة الحديث وعلمائه، فقد حدّث عامر الشعبي (ت ١٠٤هـ) أحد تلامذته بحديث فلما أنهى حديثه قال: «خذها بغير شيء، قد كان الرَّجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»[4]. فذكر المدينة أنها يرحل إليها في التوثق من الأحاديث حتى لو كانت ألفاظها قليلة يدل على مكانتها الرائدة في الدقة في رواية الحديث.

الجرح والتعديل:

الجرح: ظهور وصف للراوي يثلم عدالته، أو يخلّ بحفظه وضبطه مهما يترتب عليه سقوط روايته، أو ضعفها وردها. والتعديل: وصف الراوي بصفات تزكيه فتظهر عدالته ويقبل خبره[5]. لذا عدّه البعض «من

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان، ٩٣/١. الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٣٣/١.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٨٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٦٨/١-٤٦٩. من رواية الإمام مالك عن سعيد بن المسيب.

(٣) ينظر: الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٢٢٨.

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٩٣/١.

(٥) ينظر: الخطيب، الكفاية، ص١٧٠-١٧٥، ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح، المقدمة، ص(ب). حاجي خليفة، كشف الظنون، ٣٩٠/١.

الواجبات للحاجة إليه»[١].

وقد اعتاد علماء الحديث الذين كانت رواية الحديث صنعتهم على التحري الدقيق عن أحوال رواة الحديث. ليتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب، وهذه المسألة ضرورية جداً في علم الحديث، يقول ابن حبان البستي[٢]. «لا يتهيأ معرفة السقيم من الصحيح، ولا استخراج الدليل من الصريح، إلاّ بمعرفة ضعفاء المحدثين والثقات، وكيفية ما كانوا عليه من الحالات». وإلى هذا أشار الخطيب البغدادي بقوله[٣]: «كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النّبي ﷺ لم يلزم العمل به إلاّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي...».

والواقع أنّ الحلقة الأولى في رواية الحديث عن النَّبي ﷺ هم الصحابة، وأنهم معدّلون بتعديل الله ورسوله لهم، ولا يحتاج إلى السؤال عنهم «لأنّ عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن»[٤]، ومن الآيات القرآنية الواردة في حقهم، قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ (آل عمران/١١٠). وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة/١٤٣). وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ...﴾ (التوبة/١٠٠). وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ...﴾ (الحشر/٨) وآيات غيرها.

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء

(١) السخاوي...، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، (مع كتاب علم التاريخ لروزنثال)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣، ص٤٦٢.

(٢) المجروحين، ١/٢.

(٣) ينظر: الخطيب، الكفاية، ص٤٦.

(٤) ن.م، ص٤٦.

عليهم[١]، فمن ذلك قوله ﷺ: «خير أمتي قرني ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم»[٢]. ثمَّ إنهم رضي الله عنهم على روايتهم للحديث «قسمهم العلماء إلى مراتب حسب قدم إسلامهم، فبدؤوا بمن أسلم من الصحابة بمكة، وانتهوا بطبقة الصبيان الذين رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وحجة الوداع وغيرها، وعدادهم في الصحابة»[٣]. ومارس أهل المدينة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الجرح والتعديل، لذا قال أحد الباحثين «إن علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم في ضوء الشريعة الإسلامية متأسين برسول الله ﷺ»[٤].

وأورد ابن عديّ[٥] بعض أسماء الصحابة الذين صرح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله، منهم، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعائشة أم المؤمنين، وعبادة بن الصامت وغيرهم ﷺ، وذكر أيضاً جماعة من التابعين ممن نهجوا منهج الصحابة في ذلك منهم: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وغيرهم، ومن أتباع التابعين، سعد بن إبراهيم الزهري، ومالك بن أنس وغيرهم. ولا يكاد يوجد بين الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلاّ الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور والمختار الكذاب، وهذا في القرن الأول كله، ذلك أن أكثر الصحابة عدول – كما أسلفنا – وغير الصحابة من التابعين أكثرهم ثقات[٦]. غير أنَّهُ وجد من بين الصحابة وكبار التابعين من أشار إلى وهم أمثاله في الرواية لأنَّ حفظهم يكمل بعضه بعضاً فإن فات أحدهم أمراً أشار إليه غيره.

مثل ذلك ذكر من أن «عطاء الخراساني حدث سعيد بن المسيب في الرَّجل الذي أتى رسول الله ﷺ وقد أفطر في رمضان أنَّهُ أمره ﷺ بعتق رقبة فقال: لا أجدها

---

(١) ينظر: الخطيب، الكفاية، ص٤٦.

(٢) البخاري، الصحيح، ٥/٢-٣. مسلم، الصحيح، ٧/١٨٤-١٨٥.

(٣) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص٢٢-٢٤.

(٤) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٢٣٥.

(٥) مقدمة الكامل، ص٨٤، تحت عنوان «من استجاز تكذيب من تبين كذبه من الصحابة والتابعين...».

(٦) الخطيب، السنة، ص٢٣٥-٢٣٦، (بتصرف).

قـــال: فاهـــد جزوراً، قال: لا أجدها، قال: فتصدق بعشرين صاعاً من تمر، فقال سعيد: كذب الخراساني»[١].

وحـــدد الإمام مالك الثقات الذين يؤخذ عنهم الحديث ممن يتصفون بصفات تجعلهم بعيدين عن الجرح وترفعهم إلى العدالة في الرواية فقال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ عمَّن سوى ذلك: لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو النَّاس إلى هواه، ولا مـــن ســـفيه معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديـــث النَّاس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث»[٢].

لقد تركت هذه القواعد والأسس التي رسخها جهابذة العلم في المدينة المنورة، وفي غيرها من الأمصار آثاراً طيبة في تكامل علم الجرح والتعديل وظهور المصنفات الضـــخمة في الـــرواة، وأقـــوال الـــنقاد فيهم، فكان منها معاجم خاصة للضعفاء والمتروكين، وأخرى للعدول والثقات.

وهـــذه الجهـــود العلمية القيمة التي بذلها علماء المدينة، وغيرهم، من صحابة وتـــابعين وأتباع التابعين في القرنين الأول والثاني للهجرة، أسهمت في حفظ السنة النـــبوية، وترسيخ قواعد دقيقة في النقد للوصول إلى الحقيقة التي لا تشوبها شائبة في سنة رسول الله ﷺ.

مدرسة المدينة المنورة في الحديث:

المديـــنة المـــنورة هي مهاجر رسول الله ﷺ، وهي حاضرة الدولة الإسلامية الأولى، ومـــأوى كـــبار الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين شهدوا التشريعات الأولى في صـــدر الإسلام قولاً وعملاً على عهد رسول الله ﷺ، فكانوا يتلقون عنه القرآن الكريم ويسمعون حديثه الشريف.

إن الخلفـــاء الراشـــدين – عدا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبان خلافته – وأغلب

---

(١) ابن عدي، مقدمة الكامل، ص٨٩.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٨٤. أيضاً: الخطيب، الكفاية، ص١١٦.

المهاجرين لم يخرجوا من المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ وآثروا مجاورة النّبي ﷺ[١]، والإقامة حيث أقام.

لهذا نرى أن كبار الصحابة الذين رسخوا في العلم برزوا في المدينة، وكانت لهم مكانة عظيمة في الحديث، أمثال الخلفاء الراشدين الأربعة ﷺ وإن كانت روايتهم للحديث أقل من غيرهم بسبب تقدم وفاتهم، وانشغالهم بشؤون الإدارة والحكم، وأكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الذين عمروا ستة كلهم من أهل المدينة وهم: «أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً وحمل عنه الثقات[٢]، ومن غير هؤلاء من أعلام هذه المدرسة نجد زيد بن ثابت، الذي كانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى أنهم «ما كانوا يقدمون عليه أحداً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض»[٣].

ومن كبار رواة الحديث بالمدينة أبو سعيد الخدري (سعد بن مالك ت ٧٤هـ)، فقد «روى حديثاً كثيراً وأفتى مدة»[٤]، وقد ذكره ابن حزم ضمن الصحابة الذين زادت روايتهم على الألف حديث[٥]. هؤلاء هم أبرز الصحابة بالمدينة، الذين تصدروا زعامة مدرسة الحديث فيها.

ثمّ انتقلت زعامة مدرسة المدينة في الحديث بعد الصحابة إلى التابعين، وكان من بينهم من يطلق عليهم كبار التابعين، الذين اشتهر منهم التابعي الجليل سعيد بن المسيب ﷺ الذي أخذ عن كبار الصحابة منهم، «زيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن عمر»[٦]، وأخذ أيضاً عن أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة. لذلك عدّه الكثيرون رأس علماء كبار التابعين في المدينة فقال محمد بن يحيى:

---

(١) ينظر عن كراهية المسلمين المهاجرين العودة إلى مكة بعد وفاة الرسول ﷺ في المدينة: ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٣٢٨/٥.

(٢) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٦٦.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٢/١.

(٤) ن.م، ٤٤/١.

(٥) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٦. قال بأنه روى «ألف ومائة وسبعون حديثاً».

(٦) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٨٩/٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٥/١.

«كان رأس من بالمدينة في دهره»[١]، وسيأتي الحديث عن شخصيته في ترجمة أعلام التابعين.

وفضـــلاً عن سعيد بن المسيب كان من التابعين على رأس مدرسة المدينة في الحــديث: القاســم بــن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعلي بن الحســين بن علي، وعروة بن الزبير، وابن شهاب الزهري، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء كثير ممن كانوا أعلاماً في الحديث والفقه.

وقد توّجت مدرسة المدينة في الحديث بالإمام مالك بن أنس. فقد أخذ مالك الحديث عن الزهري حتى أنَّهُ يعدّ أشهر تلاميذه، وأخذ عن نافع مولى ابن عمر، حتى عــرفت روايــته عن الأخير بالسلسلة الذهبية عند المحدثين (مالك عن نافع عن ابن عمــر)[٢]، وصارت له الإمامة في الحجاز بالحديث والفقه معاً. وكان من شار هذه الجهــود العلمية للإمام مالك أن كتب كتابه الشهير «الموطأ» الذي يعد بحق ثمرة مدرسة المدينة في الحديث فضلاً عن الفقه.

فلــنقف على ترجمة نماذج من أعلام المدينة المنورة في الحديث بدءاً بالصحابة فالتابعين فأتباع التابعين. فمن الصحابة.

أبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر الدوسي) (ت ٥٩هـ):

في اسمــه عدة أقوال أشهرها وأقواها – عبد الرحمن – وقيل عبد الله بن صخر الدوسي ﷺ، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقد غلبت عليه كنيته، أسلم على يد الطفــيل بن عمرو الدوسي قبل قدومه إلى المدينة، ثمَّ قدمها سنة سبع للهجرة عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ[٣]. أقام أبو هريرة في المدينة قريباً من النَّبي ﷺ يتعلم منه الإِسلام والقرآن وأصبح من أهل الصفة، فاتخذ المسجد مقاماً له وانقطع لخدمة

(١) ابن سعد، الطبقات، ٥/٩٠.

(٢) ن.م، ٥/١٠٦. أيضاً: السيوطي، تدريب الراوي، ١/٣٢.

(٣) ابــن ســعد، الطــبقات (لــيدن)، جـ٤ ق٢ ص٥٢. البســتي، مشاهير، ص١٥. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/٢٠٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/٢٦٢.

الرسول ﷺ[١]. ولم يمض زمن طويل على ذلك حتى فاضت الخيرات على المسلمين في صدر القرن الأول الهجري، فصار لأبي هريرة مال، ومنزل ومتاع وزوج وولد[٢]، وفي خلافة عمر بن الخطاب ﷺ تولى أبو هريرة إمارة البحرين وبقي عليها مدة سنتين[٣]، واعتزل الفتن فيما بعد وتفرغ للعلم، وتوفي في آخر خلافة معاوية سنة ٥٩هـ على الأرجح[٤].

جهوده العلمية في خدمة الحديث النبوي:

يعد أبو هريرة ﷺ من أبرز أعلام الصحابة رواية للحديث، ويعود ذلك إلى أسباب عدة، أهمها:

١. أن أبا هريرة لازم النَّبي ﷺ ملازمة شديدة أملتها ظروف حياته الجديدة في المدينة، فقد سكن الصفة داخل المسجد النبوي قريباً من بيت رسول الله ﷺ وظل كذلك «طول عمر النَّبي ﷺ ولم ينتقل عنها»[٥] وأن عمر بن الخطاب ﷺ شهد بملازمته لرسول الله ﷺ بقوله له: «أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه»[٦].

٢. أن أبا هريرة لم يكن لديه عمل يشغله، لذا فقد تفرغ لتلقي العلم عن النَّبي ﷺ، وقد أشار هو بنفسه إلى ذلك بقوله: «إنكم تقولون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النَّبي ﷺ وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون عن النَّبي ﷺ مثل حديث أبي هريرة، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان يشغل إخواني من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصفة ألزم

(١) مسلم، الصحيح، ١٦٦/٧. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٦/١-٣٧٧.
(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٤ ق٢ ص٥٦.
(٣) الطبري، تاريخ، ١١٢/٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات، جـ٤ ق٢ ص٦٤. ابن قتيبة، المعارف (ط الحسينية)، ص١٢١. العجلي، معرفة الثقات، ٤٣٣/٢.
(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٧٦/١.
(٦) ابن حجر، الإصابة، ٢٠٨/٤.

النَّبي ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون»[1].

٣. القابلـــية الذهنـــية العالية والاستعداد للحفظ والإتقان، مما لا يتوفر لدى البعض من الصحابة، وهذه مسألة مهمة ذلك أن النسيان آفة العلم – كما يقولون – ولشـــدة حـــرص أبي هريرة ﷺ على حفظ الحديث فإنَّه كان يتعاهد ما حفظه من حـــديث رســـول الله ﷺ بالرعاية، وقد أثر عنه قوله: إني لأجزئ اللَّيل ثلاثة أجزاء، فثلث أنام، وثلث أقوم، وثلث أتذكر أحاديث رسول الله ﷺ[2].

ويـــروى أيضاً أنَّهُ شكا ما كان ينساه من الحديث فدعا له النَّبي ﷺ وغرف في رداءه، إذ قـــال: «قلت: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: ابسط رداءك فبســـطته فغرف بيده فيه ثمَّ قال ضمّه فضممته فما نسيت حديثاً بعده»[3]. «وقـــد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث»[4]، وممن شهد له بـــالحفظ وعـــدم النســـيان من الصحابة، عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عمر، وصلحة بن عبد الله، ومما قاله الأخير: «قد سمعنا كما سمع ولكنه حفظ ونسينا»[5].

٤. ومما ساعد على اشتهاره برواية الحديث النبوي هو جرأته على التحديث وعدم تحرجه منه عكس بعض الصحابة الذين تحرجوا من الحديث. وكانت حجته أنَّهُ إن لم يحدث عن رسول الله ﷺ فإنَّه يكتم علماً يعلمه عن الناس[6]، وقد سبقت الإشارة إلى احتجاجه بنصوص القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ...﴾ (البقرة/١٥٩) وحجته من الحديث النبوي ما رواه هو

(١) البخاري، الصحيح، ١/ ٤٠-٤١. مسلم، الصحيح، ١٦٧/٧. أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/ ٣٧٨-٣٧٩. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/ ١٦٥.

وينظر: الخطيب، السنة قبل التدوين (الرد على الشبه التي أثيرت حول أبي هريرة)، ص٤٣٦-٤٦٨.

(٢) ينظر: العبيدي، داود سلمان، أبو هريرة رجل لا ينسى، دار الرسالة. بغداد، ١٩٧٦، ص٦٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٤ ق٢ ص٥٦. البخاري، صحيح، ١/ ٤٠-٤١. ابن عبد البر، الاستيعاب (هامش الإصابة)، ٤/ ٢٠٩. ابن عدي، مقدمة الكامل، ص٤٤.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب (هامش الإصابة)، ٤/ ٢٠٩.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٠٩.

(٦) ابن عدي، مقدمة الكامل، ص٤٤.

عن النَّبي ﷺ إذ يقول: «من كتم علماً ينتفع به ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[(١)]، وكان عبد الله بن عمر «إذا سمع أبا هريرة يتكلم قال: إنا نعرف ما يقول ولكنا نجبن ويجترئ...»[(٢)].

لـــذا يعدّ من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي، وقد ذكره ابن حزم ضمن أصحاب الألوف وقدمه عليهم، فقال: «صاحب الألوف، أبو هريرة: خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً»[(٣)].

عائشة (أم المؤمنين) بنت أبي بكر (ت ٥٧هـ):

أشـــهر من أن تعرّف فهي ابنة الخليفة الراشد الأول صاحب رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ وهي زوج النَّبي ﷺ، بنى بها رسول الله ﷺ بعد الهجرة بسبعة أشهر تقـــريباً، وظلت معه طول حياته بالمدينة[(٤)]، والذي يهمنا من ترجمة السيدة عائشة (رضـــي الله عنها) الجانب العلمي فيها وكونها محدثة من الطراز الأول. فقد يسر لها زواجها من رسول الله ﷺ واختلاطها به معرفة كثير من أحكام الإسلام فكانت أكثر نســـاء الـــنبي صلى الله عليه وسلم رواية عنه[(٥)]، ويعود إليها الفضل الكبير في نقل الكـــثير مـــن الأحكـــام المتعلقة بأمور النِّساء. وفضلاً عن علمها بالسنة وروايتها للحديث النبوي فقد كان لها علم بأمور أخرى غيرها، فقد روي عن عروة بن الزبير (ابن أختها) أنه قال: «ما رأيت أحداً من النَّاس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام، ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة (رضي الله عنها)»[(٦)]. ولذلك فإنها كانت مرجع الكثير من أعلام العلماء في المدينة من الصحابة والتابعين،

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٤/٥٦-٥٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٠٩.

(٣) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٥. القاسمي، قواعد التحديث، ص٧٢.

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٨/٣٩. البلاذري، أنساب الأشراف (تح. حميد الله)، ١/٤٠٩ وما بعدها. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١/٤٣٣.

(٥) ينظر: العجلي، معرفة الثقات، ٢/٤٥٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٢٧.

(٦) الـــبلاذري، أنســـاب الأشراف (تح. حميد الله)، ١/٤١٦. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢/٤٩-٥٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٢٨.

يـــروون عنها الحديث، ويأخذون عنها العلم، فهذا أبو موسى الأشعري، يقول: «ما أشـــكل عليـــنا أصـــحاب محمد ﷺ حديثاً قط فسألنا عائشة إلاَّ وجدنا عندها منه علمـــاً»[١]. ورُويَ عن قبيصة بن ذؤيب، أنَّهُ قال: «كانت عائشة أعلم النَّاس يسألها أكابـــر الصـــحابة»[٢]. وهذا مسروق وهو أحد التابعين ممن أخذ علماً عن عائشة (رضـــي الله عنها) يقول: «رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ يسألونها عن الفـــرائض»[٣]. روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن النَّبي الكريم ﷺ الكثير من الحديث، وروت عن أبيها، وعن عمر بن الخطاب، وفاطمة، وسعد بن أبي وقاص، وأســـيد بـــن حضير، وحذامة بنت وهب، وغيرهم ﷺ، وروى عنها من الصحابة: عمـــر بـــن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو موسى، وزيد بن خالد، وابن عباس، وربيعة بن عمرو الجرشي، والسائب بن يزيد، وصفية بنت شيبة... وغيرهم ﷺ. وروى عنها من التابعين: القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر... وابنا أختها عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام، وبنت أختها عائشة بنت طلحة،... ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وعمر بن ميمون، وعلقمة بن قيس، ومسروق... وأبو ســـلمة بن عبد الرحمن.. ومن مواليها: أبو عمر، وذكوان، وأبو يونس... وغيرهم كـــثير[٤]. أمَّا عدد ما روي عنها من الحديث فهو (٢٢١٠) ألفان ومائتان وعشرة أحاديـــث[٥]، لها في الصحيحين (٣١٦) حديثاً، اتفق الشيخان على (١٩٤) حديثاً منها، وانفرد البخاري بـــ(٥٤) حديثاً، ومسلم (٦٨) حديثاً، وأحاديثها في الكتب الســـتة وســـائر كتب السنن الأخرى[٦]. وأصح أسانيد الحديث عنها عبيد الله بن عمر بن القاسم عن عائشة، قال يحيى بن معين: «عبيد الله بن عمر، عن القاسم عن

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٨/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٦٠/٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤١٨/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٨/١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٥٨/٤. ابن حجر، الإصابة، ٣٦٠/٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ٣٦١/٤.

(٥) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٦. أيضاً: القاسمي، قواعد التحديث، ص٧٢.

(٦) الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٢٧٥.

عائشة ترجمة مشبّكة بالذهب[١]، توفيت عائشة (رضي الله عنها) سنة ٥٧ هجرية – على الأرجح – ودفنت بالبقيع[٢].

جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ):

هـو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب... الأنصاري السلمي المدني الفقيه، وكان ممن شهد العقبة في السبعين من الأنصار[٣]، وشارك في تسع عشرة غزوة من غزوات النَّبي ﷺ[٤]، وكان النَّبي يحبه ويستغفر له ويقربه[٥].

يعـدّ جابر «أحد المكثرين في الرواية عن النَّبي ﷺ»[٦]، لذا فقد كان من أبرز المحدثين من الصحابة، وعلى الرغم من حالة شظف العيش التي كان يمر بها فقد كان يرحل لطلب الحديث إلى خارج المدينة – كما أسلفنا –.

أمَّـا من روى عنهم جابر، فأولهم رسول الله ﷺ، وكذلك روى عن أبي بكر وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعن أبي عبيدة، وطلحة، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن أنيس، وأبي هريرة، وأبي سعيد... وغيرهم ﷺ[٧].

وروى عنه جماعات من أئمة التابعين: «منهم سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، ومحمـد الباقر، وعطاء، وسالم بن أبي الجعد، وعمرو بن دينار، ومجاهد، ومحمد بن المـنكدر، والشـعبي، وروى عـنه أولاده، عبد الرحمن وعقيل ومحمد، وخلائق

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص٢ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ٥/٥٦.
(٢) العجلـي، معرفة الثقات، ٢/٤٥٥. ابن عبد البر، الاستيعاب (هامش الإصابة)، ٤/٣٦٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٢٨. ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٦١.
(٣) ينظـر لذلك: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٤ ق٢ ص٦٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/٤٢.
(٤) الـبخاري...، التاريخ الكبير، مطبعة المعارف العثمانية/الهند، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ق١ ج٢ ص٣٠٧. العجلي، معرفة الثقات، ١/٢٦٤.
(٥) البستي، مشاهير، ص١١. ابن حجر، الإصابة، ١/٢١٣.
(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٢. ابن حجر، الإصابة، ١/٢١٣.
(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/٤٢.

غيرهم...»[١].

وقد ذكرنا من قبل أن جابر بن عبد الله كان من أهل الحلقة العلمية في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.

روى من الحديث (١٥٤٠) ألف وخمسمائة وأربعين حديثاً[٢]. «روى له الشيخان منها (٢١٢) مائتين واثني عشر حديثاً، واتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثاً، وانفرد البخاري بـ(٢٦) ستة وعشرين، ومسلم بـ(١٢٦) مائة وستة وعشرين حديثاً»[٣]. وله منسك صغير في الحج أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[٤]، توفي سنة ٧٨هـ على الأرجح، وهو آخر من مات من أهل العقبة، وآخر من توفي بالمدينة من الصحابة[٥].

أبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ):

هو سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري المدني، وشهرته أبو سعيد الخدري وهي كنيته[٦]، شهد أبو سعيد معظم غزوات النَّبي ﷺ، بعد أحد، ومنها بيعة الرضوان (بيعة الشجرة)[٧]، كان يعدّ من أهل الصفة ومن سادات الأنصار، ومن علماء الصحابة وفقهائهم[٨].

روى عن النَّبي ﷺ علماً كثيراً فقد كان يحضر حلقاته ﷺ في المسجد النبوي، فتحمل عنه الكثير، حتى عدّ من المكثرين من الرواية عنه، وفضلاً عن روايته عن

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/٤٢.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٦. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٢. القاسمي، قواعد التحديث، ص٧٢.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٢.

(٤) مسلم، الصحيح، ٤/٣٨-٤٣.

(٥) البستي، مشاهير، ص١١. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٤٣. الذهبي، العبر، ١/٨٩.

(٦) ينظر: خليفة، الطبقات، ص٩٦. الخطيب...، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا.ت، ١/١٨٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/٣٧٩.

(٧) ينظر: خليفة، الطبقات، ص٩٦. الخطيب...، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا.ت، ١/١٨٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/٣٧٩.

(٨) البستي، مشاهير، ص١١. أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/٣٦٩.

النَّبي ﷺ فقد روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن زيد بن ثابت وغيرهم ﷺ، وروى عـــنه مـــن الصـــحابة ابن عباس، وابن عمر، وجابر، ومحمود بن لبيد، وأبو أمامـــة بـــن سهيل ﷺ وغيرهم ﷺ[١]، وممن روى عنه من كبار التابعين: سعيد بن المســـيب، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، وعبيد بن عمير، وممن بعدهم عطاء، وعياض بن أبي سرح، وبسر بن سعيد، ومجاهد، وأبو نضرة، وغيرهم[٢].

يعـــد أبـــو سعيد من المكثرين من الحديث، وقد كان تأخر وفاته سبباً في أن يؤخذ عنه الكثير منه، إذ روي عنه (١١٧٠) ألف ومائة وسبعين حديثاً[٣]، أخرج له منها الشيخان (١١١) مائة وأحد عشر حديثاً اتفقا على (٤٣) ثلاثة وأربعين حديثاً مـــنها، وانفرد البخاري بـــ(١٦) ستة عشر حديثاً، وأخرج له مسلم اثنين وخمسين حديثاً[٤]، وفي غير الصحيحين حديثه كثير في بقية الكتب الستة، والمسانيد والسنن والمعاجم وغيرها من كتب الحديث.

كـــان أبو سعيد حريصاً على الحق ورعاً تقياً لا يخاف في الله لومة لائم، ومما أثـــر عنه قوله: «لا يمنعن أحدكم مخافة النَّاس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه»[٥].

توفي ﷺ بالمدينة عام (٧٤هـ) على الأرجح بعد أن عاش (٨٦) سنة[٦].

عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ أو ٧٤هـ):

أبـــو عـــبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) القريشي العدوي المدني الصحابي الزاهد[٧]، أسلم مع أبيه قبل بلوغه، وهاجر إلى المدينة قبل أبيه وقيل معه، وهو ابن إحدى عشرة سنة، وأجازه الرسول ﷺ يوم الخندق وهو ابن

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٤. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥.
(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٤. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥.
(٣) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٦٧. أيضاً: القاسمي، قواعد التحديث، ص٧٢.
(٤) الذهبي، تذكرة، ١/٤٤.
(٥) ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥.
(٦) خليفة، الطبقات، ص٩٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٤٤. اليافعي، مرآة الجنان، ١/١٥٥.
(٧) ينظر لذلك: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٤، ق١ ص١٠٥. البخاري، التاريخ الكبير، ق١ جـ٣ ص١٢٥. ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٣٤٠.

خمس عشرة سنة[١] وشهد بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومنها بيعة الرضوان[٢] وبعد وفاة النَّبي ﷺ، اعتزل الفتن، وقعد في البيت عن الناس، فكان لا يخرج إلاّ حاجاً أو معتمراً أو غازياً إلى أن أدركته المنية[٣].

كان ابن عمر من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، وكان حريصاً على السنة فكان النَّبي ﷺ أسوته في كل شيء في صلاته وحجه وصيامه حتى قال فيه جابر بن عبد الله ﷺ: «لم يكن أحد منهم ألزم لطريق رسول الله ﷺ ولا أتبع من ابن عمر»[٤]، وقال العجلي: «كان من أشدّ النَّاس اتباعاً للأثر»[٥].

روى ابن عمر عن النَّبي ﷺ، وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ، وعائشة (رضي الله عنهم)، وروى عنه من الصحابة: جابر وابن عباس، وغيرهما[٦]... وروى عنه: أبناؤه سالم وعبد الله وحمزة وزيد، وبلال، ومولاه نافع، وأسلم مولى عمر، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وممن بعدهم زيد وخالد ابنا أسلم، وعروة بن الزبير، وموسى بن طلحة، وعطاء، ومحمد بن سيرين، ومجاهد والحسن البصري، وآخرون غيرهم[٧].

كان ابن عمر ﷺ من مشاهير عباد الصحابة، كثير الصَّلاة والصيام والصدقة، وكان شديد التعلق بالحج مكثراً له لذا يعد من أعلم الصحابة بمناسك الحج[٨].

أمَّا علمه بالحديث: فهو أحد المكثرين من الرواية عن النَّبي ﷺ يقول النووي:

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٨٠. البستي، مشاهير، ص١٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٨/١.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٨٠. البستي، مشاهير، ص١٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣٨/١.

(٣) البستي، مشاهير، ص١٦.

(٤) ينظر لذلك: ابن حنبل، المسند، ٢٩٧/٧. ابن عبد البر، الاستيعاب (هامش الإصابة)، ٣٤٢/٢. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٧٩/١.

(٥) العجلي، معرفة الثقات، ٤٨/٢.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٧٩/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٤٧/٢.

(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٧٩/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٤٧/٢.

(٨) ينظر لذلك: ابن عبد البر، الاستيعاب (هامش الإصابة)، ٣٤٢/٢-٣٤٣، النووي، تهذيب الأسماء، ٢٨٠/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٤٩/٢.

«اعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النَّبي ﷺ: وهم: أبو هريــرة ثمَّ ابن عمر، ثمَّ أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة[١]، ذلك أنَّهُ كان يحرص علــى حفــظ الحديث في عهد النَّبي ﷺ...» يقول الزبير بن بكار: «كان ابن عمر يــتحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله أو فعله»[٢] لقــد كــان لشهرته العلمية أسباباً عدة، منها: وقوفه بعيداً عن الفتن، وتفرغه للعلم والعــبادة، وقدم إسلامه، وطول عمره، وكثرة مخالطته للرسول ﷺ، ولا سيما وأن أخته حفصة زوج النَّبي ﷺ، فكان ذلك مما يسهل دخوله على الرسول ﷺ[٣].

أمَّــا عــدة ما روى من الحديث الشريف: فإنَّه روى (٢٦٣٠) ألفي حديث وستمائة وثلاثين حديثاً[٤]، أخرج له الشيخان البخاري ومسلم (٢٨٠) حديثاً، اتفقا علــى (١٦٨) حديــثاً منها، وانفرد البخاري بــ(٨١) ومسلم بــ(٣١) حديثاً، وأحاديــثه في الكتب الستة، والمسانيد، وسائر كتب السنن الأخرى[٥]. ويعدّ إسناد الحــديث إلى عــبد الله بن عمر، من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر من سلسلة الإسناد الذهبية[٦]، توفي حاجاً سنة (٧٣هـ) وقيل (٧٤هـ) وعمره أربع وثمانون سنة وقيل ست وثمانون[٧].

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٨٠/١. أيضاً: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٣٤٩/٢.

(٣) ينظــر: البستي، مشاهير، ص١٦. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٩٤/١-٢٩٥. الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٤٧١.

(٤) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٥.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٧٩/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٤٩/٢-٣٥٠.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٨٠/١. أيضاً: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٦٦.

(٧) ابــن ســعد، الطــبقات (ليدن)، جـ٤ ق١ ص١٣٧. البستي، مشاهير، ص١٧. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤٠/١ وغيرها.

أعلام المحدثين من التابعين:

سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ):

أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب القرشي المخزومي المدني، أحد سادة التابعين وكبارهم، وعالم أهل المدينة[١]، ولد سعيد سنة (١٥هـ) لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وفي إدراكه لعمر وسماعه منه خلاف[٢].

نشـأ سعيد بالمدينة المنورة ولقي الكثير من الصحابة وأخذ عنهم فممن أخذ عنهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعائشة، وسعد بن أبي وقـاص، وأم سـلمة، وابن عباس، وجل روايته عن أبي هريرة وكان (سعيد) زوج ابنـته، وكـان يقال أيضاً: ابن المسيب راوية عمر لأنَّهُ كان أحفظ النَّاس لأحكامه وأقضيته[٣].

وممـن روى عـنه العلم (الحديث): محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (وهو أشـهر مـن روى علـم سعيد)، ومحمد الباقر، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصـاري، وعطاء بن أبي رباح، وبكير بن الأشج، وقتادة بن دعامة السدوسي،

---

(١) ينظـر لذلك: ابن سعد، طبقات (ليدن)، ٨٨/٥ وما بعدها. البستي، مشاهير، ص٦٣. الباجي، سليمان بن خلف (ت ٤٧٤هـ)، التعديل والتجريح، الرياض، ١٩٨٦، ١٠٨١/٣. أيضاً العامري، عمـاد الدين يحيى بن كثير (ت ٨٩٣هـ)، غربال الزمان المفتتح لسيد ولد عدنان ﷺ...، مخطوطة مصـورة في المجمـع العلمـي العراقـي، برقم (١١٤٢)، الورقة ٢٦. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحـي... (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص١٠٢ وغيرها.

(٢) ينظـر لذلك: ابن سعد، طبقات (ليدن)، ٨٨/٥ وما بعدها. البستي، مشاهير، ص٦٣. الباجي، سليمان بن خلف (ت ٤٧٤هـ)، التعديل والتجريح، الرياض، ١٩٨٦، ١٠٨١/٣. أيضاً. العامري، عمـاد الدين يحيى بن كثير (ت ٨٩٣هـ)، غربال الزمان المفتتح لسيد ولد عدنان ﷺ...، مخطوطة مصـورة في المجمـع العلمـي العراقـي، برقم (١١٤٢)، الورقة ٢٦. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحـي... (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص١٠٢ وغيرها.

(٣) ابن سعد، طبقات، ٨٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٧١/١. الذهبي...، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ٢٩٦/١.

وميمون بن مهران، وميسرة الأشجعي، وأبو سهيل نافع بن مالك... وغيرهم كثير جداً[١]. وكان سعيد من أغزر أهل المدينة في عهده علماً وورعاً... وقال ابن المديني: «لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، وهو عندي من أجلّ التابعين»[٢]. وقال مكحول وقتادة والزهري وغيرهم «ما رأينا أعلم من ابن المسيب»[٣].

كان سعيد من أعلم التابعين الكبار بقضاء رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، وكان شديد الحفظ يمتاز بحدة الذكاء، وقد قيل فيه: «والله ما أراه مرّ على أذنه شيء قط إلاّ وعاه قلبه»[٤]، اشتهر بحرصه على الحديث وطلبه وهو القائل «إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[٥].

عرف عن سعيد بن المسيب أنَّهُ كان يحدث عن رسول الله ﷺ مباشرة في بعض الأحيان، وهذا ما يعرف بالمرسل من الحديث، الذي يعرفه بعضهم بقوله: «إن مشايخ الحديث لم يختلفوا في أن الحديث المرسل هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي فيقول التابعي: قال رسول الله ﷺ، وأكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عن سعيد بن المسيب...»[٦]، وقد روى عن بعض التابعين من أهل الأمصار مراسيل أيضاً.

وعدّت مراسيل سعيد في الحديث صحيحة، يقول يحيى بن معين: «أصح المراسيل مراسيل سعيد بن المسيب، وأيضاً فقد تأمل الأئمة المتقدمون مراسيله فوجدوها بأسانيد صحيحة، وهذه الشرائط لم توجد في مراسيل غيره»[٧]، وقال بعض العلماء الأعلام ومنهم الشافعي: «إرسال ابن المسيب عندنا حسن»[٨].

---

(١) ابن سعد، طبقات، ٨٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٧١/١. الذهبي...، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ٢٩٦/١.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٢١٩/١-٢٢٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٤/١. العبر، ١١٠/١.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٢١٩/١-٢٢٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٥٤/١. العبر، ١١٠/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٨٩/٥-٩٠.

(٥) ن.م، ٨٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٦٨/١-٤٦٩. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٢٠/١.

(٦) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص٢٥.

(٧) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص٢٦. أيضاً: النووي، تهذيب الأسماء، ٢٢١/١.

(٨) الخطيب، الكفاية، ص٤٠٤. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٢١/١.

كان سعيد بن المسيب ممن لزم مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فكان المسجد النبوي مكان عبادته وعلمه، فقد ذكرت المصادر أن سعيداً قال: «ما فاتتني التكبيرة الأولى مـــنذ خمسين سنة[١]، وما نظرت في قفا رجل في الصَّلاة منذ خمسين سنة»، فكان من أصحاب الصف الأول، ومن المبكرين إلى الصلوات، ونقل قريب من ذلك عن الأوزاعي وميمون بن مهران[٢].

أمَّا مجلسه العلمي في المسجد النبوي، فقد كان سعيد بعد أن يفرغ من صلاته «وينصرف الإمام يصلِّي ركعات ثمَّ يقبل على جلسائه ويسأل»[٣].

وقد أجمع العلماء على منزلته العلمية في الحديث والفقه —وسيأتي الحديث عنه في الفقه— والترابط بين العلمين واضح، وممن أثنى على علمه: مكحول، وشهاب بن عـــباد، أمَّا ابن شهاب الزهري فقال عنه: «جالسته سبع حجج، وأنا لا أظن أحداً عنده، علم غيره»[٤].

تـــوفي سعيد بن المسيب سنة ٩٤ هجرية على الراجح وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم[٥].

عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ):

أبـــو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، تابعي جليل، ومحدث وفقـــيه بارز، ولد في آخر خلافة عمر سنة ٢٢ أو ٢٣ هجرية وقيل ولد في خلافة عثمان والثاني أرجح[٦].

(١) أبـــو نعـــيم، حلية الأولياء، ص١٦٣/٢. أيضاً: العامري، غربال الزمان، مخطوطة المجمع ١١٤٢، ورقة ٢٦.

(٢) أبـــو نعـــيم، حلية الأولياء، ص١٦٣/٢. أيضاً: العامري، غربال الزمان، مخطوطة المجمع ١١٤٢، ورقة ٢٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٩٨/٥.

(٤) ن.م، ٩٠/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٧٣/١.

(٥) ابـــن ســـعد، الطـــبقات، ١٠٦/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٢١/١. الذهبي، العبر، ١١٠/١ وغيرها.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٢/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٩٨. العجلي، معرفة الثقات، ١٢٣/٢. العامري، غربال الزمان (مخطوطة المجمع) رقم ١١٤٢، الورقة ٢٦. الذهبي، العبر، ١١٠/١.

نشأ عروة بالمدينة وتلقى العلم عن كبار الصحابة، وقد سهل له ذلك نشأته في بيت علم وديانة، فوالده الزبير بن العوام أحد أعلام الصحابة، ووالدته أسماء بنت أبي بكر الصديق صحابية جليلة عاشت دهراً، فأخذ عروة عن والديه، وعن خالته عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين(١).

أخذ عروة العلم والرواية عن: علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وعبد الله بن الأرقم وأبي أيوب، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير (أخيه)، والمسور بن مخرمة، وأم سلمة (أم المؤمنين)، والحسن بن علي، وسعيد بن زيد، وبشير بن أبي مسعود الأنصاري، وعبد الرحمن ابن عبد القارئ، وحكيم بن حزام وابنه هشام، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم من الصحابة والتابعين ﷺ(٢).

كان عروة ثقة كثير الحديث فقيهاً مأموناً ثبتاً، طلاّبة للعلم دقيقاً في تحمله، محباً لنشره، فكان يتألف النَّاس على حديثه(٣)، ويذاكر أبناءه الحديث، يروي ابنه هشام بن عروة عن أبيه أنَّهُ قال: «يا بنّي سلوني فلقد تركت حتى كدت أن أنسى، وإني لأسأل عن الحديث فيفتح حديث يومي»(٤).

روى عنه العلم جلّة من التابعين وغيرهم منهم: عطاء وابن أبي مليكة، وعراك بن مالك، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، وبنوه: هشام ومحمد ويحيى وعبد الله وعثمان بنو عروة، وخلائق غيرهم(٥).

يعدّ عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة، وكان يدعى فقيه المدينة(٦)، ضمنه

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٢/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٩٨. العجلي، معرفة الثقات، ١٢٣/٢. العامري، غربال الزمان (مخطوطة المجمع) رقم ١١٤٢، الورقة ٢٦. الذهبي، العبر، ١١٠/١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١٣٣/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٣٣١/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨١/٧.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٧٦/٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١٣١/٥.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٣٣١/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨١/٧-١٨٢.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٥/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٣٣١/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٢/٧.

عمر بن عبد العزيز في مجلس شورى المدينة عندما كان أميراً عليها ما بين (٨٧-٩٣هـ)، وهذا المجلس يضم عشرة فقهاء منهم الفقهاء السبعة[1].

لقد شهد له العلماء الأعلام بالأمانة في العلم والحديث، من ذلك ما قاله الزهري عنه «رأيت عروة بحراً لا ينزف «وفي رواية» وجدت عروة بئراً لا تكدره الدلاء»[2]، وقال عنه سفيان بن عيينة: «كان أعلم النَّاس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم وعروة، وعمرة» وقال ابنه هشام: «والله ما تعلمنا منه جزءاً من ألفي جزء من حديثه»[3].

أجمعت معظم المصادر على وصفه بالفضل والعبادة، فقد كان «يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً بالتدبر والتفكر، فيذهب عامة يومه، ثمَّ يقوم تلك الليلة به على التدبر والتفكر حتى يذهب عامة ليله به»[4]، أمَّا صيامه فإنَّه «كان يصوم الدهر كله إلاَّ يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم»[5]. وإلى جانب علمه في الحديث والفقه، فقد كان عروة بن الزبير عالماً بالسيرة النبوية ومغازي رسول الله ﷺ، وسيأتي الحديث عنه عند الكلام عن علم التاريخ والسيرة النبوية، إن شاء الله.

كان لعروة بن الزبير مجلس علمي في مؤخر مسجد رسول الله ﷺ، «كان يختلف إليه الكثير من العلماء الأعلام منهم، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»[6].

---

(١) يذكر الطبري الفقهاء العشرة وهم: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، تأريخ، ٤٢٧/٦ و٤٨٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١٣٣/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٥١/١. العامري، غربال الزمان، مخطوطة المجمع، ١١٤٢ ورقة ٢٦. أبو نعيم، حلية، ٣٦٦/٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٢/٧.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٣٢/١.

(٤) البستي، مشاهير، ص٦٤. العامري، غربال الزمان، مجمع، رقم ١١٤٢، ورقة ٢٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٣/٥-١٣٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٣/٥-١٣٥.

اعتــزل عــروة الفــتن، وتفرغ للعلم والعبادة، وعمّر طويلاً، فكان ذلك من أسباب انتشار علمه وضلوعه فيه. وكان العلم ديدنه ومن وصاياه لأولاده به، «إنكم الــيوم أصاغر وستكونون كباراً، فتعلموا العلم تسودوا قومكم ويحتاجوا إليكم»[١] توفي عروة سنة ٩٤هـ[٢].

علي بن الحسين (ت ٩٤هـ):

أبــو محمــد، علــي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني التابعي المعــروف بزين العابدين ﷺ قيل إنَّهُ «حضر كربلاء مريضاً، وكان يومئذ ابن نيف وعشــرين ســنة[٣]، وليس للحسين ﷺ عقب إلاَّ منه. كان من فقهاء أهل البيت، وأفاضل بني هاشم وعباد المدينة»[٤].

أخــذ الحــديث والعلم عن جماعة من كبار الصحابة والتابعين، منهم: والده الحسين بن علي، وعمه الحسن وعبد الله بن عبَّاس وأبو هريرة، ومن أمهات المؤمنين عائشــة وأم ســلمة، وصفية، وأبو رافع، ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم ﷺ[٥] وروى عنه: أولاده: محمد، وزيــد، وعــبد الله، وعمر، ومن غيرهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وطاووس بن كيســان وهما من أقرانه، والزهري، وأبو الزناد، وعاصم بن عمر بن قتادة، وزيد بن أســلم، والحكم بن عتيبة، والقعقاع بن حكيم، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وعلي بن زيد وغيرهم كثير[٦].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/٢٠٢. البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٥٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٥/١٣٥. الذهبي، العبر، ١/١١٠. ابن حجر، تهذيب، ٧/١٨٤، وغيرها.

(٣) ينظــر لــذلك: ابن سعد، الطبقات، ٥/١٥٦-١٥٨. البستي، مشاهير، ص٦٣. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٧٤-٧٥. اليافعي، مرآة الجنان، ١/٩٤.

(٤) ينظــر لــذلك: ابن سعد، الطبقات، ٥/١٥٦-١٥٨. البستي، مشاهير، ص٦٣. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٧٤-٧٥. اليافعي، مرآة الجنان، ١/٩٤.

(٥) الــنووي، تهــذيب الأسمــاء، ١/٣٤٣. تذكــرة الحفاظ، ١/٧٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٣٠٤-٣٠٥.

(٦) الــنووي، تهــذيب الأسمــاء، ١/٣٤٣. تذكــرة الحفاظ، ١/٧٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٣٠٤-٣٠٥.

كان محباً للصحابة ﭫ آخذاً عمَّن أدركه منهم، روى عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: «سمعت علي بن الحسين يُسأل كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، وقال: منزلتهما منه الساعة»[١].

كما أنَّهُ كان يكره الغلو والمغالين بحق أهل البيت: يقول يحيى بن سعيد الأنصاري: «سمعت علي بن حسين – وكان أفضل هاشمي أدركته – يقول: يا أيها النَّاس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»[٢]، وقال عبد الله بن موهب: «جاء قوم إلى علي بن الحسين فأثنوا عليه، فقال: ما أكذبكم وأجرأكم على الله، نحن من صالحي قومنا، فحسبنا أن نكون من صالحي قومنا»[٣].

أجمع العلماء على جلالته في كل شيء، في العلم، والعبادة، والفضل، فقال فيه سعيد بن المسيب: «ما رأيت أورع منه» وقال أبو حازم: «ما رأيت هاشمياً أفضل منه»[٤].

أمَّا علمه في الحديث النبوي، ففيه يقول ابن سعد: «كان علي بن حسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً»[٥]، وعدّ علماء الحديث أن الإسناد عن علي بن الحسين من أصح أسانيد الحديث، يقول أبو بكر بن أبي شيبة: «أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي»[٦].

وكان له نشاط علمي في المسجد النبوي، إذ كان له مجلس علمي يتحدث فيه، كما سبقت الإشارة[٧].

توفي علي بن الحسين سنة ٩٤ هجرية على أرجح الروايات[٨].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٥/٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١٥٨/٥.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٦/٧.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٥/١.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٦٤/٥.

(٦) الخطيب، الكفاية، ص٣٩٧. النووي، تهذيب الأسماء: ٣٤٣/١. السيوطي، تدريب الراوي، ٣٢/١.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ١٦٠/٥.

(٨) ن.م، ١٦٤/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٩٤. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٥/١. ابن حجر، تهذيب =

سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦هـ):

أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، التابعي الجليل، الفقيه المحدث، كان يشبّه بعمر بن الخطاب في الهدي والسمت والعدل[(١)]. وكان أبوه عبد الله بن عمر يحبه كثيراً، ويلام في ذلك... فقال عبد الله:

يلومونني في سالم وألومهم   وجلدة بين العين والأنف سالم[(٢)]

تلقى سالم علمه في المدينة المنورة، وسمع من كبار علمائها، فمن الصحابة الذين أخذ عنهم: والده عبد الله بن عمر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وغيرهم[(٣)]. وروى عنه جماعات من التابعين منهم: نافع مولى ابن عمر، وعمرو بن دينار، والزهري، وموسى بن عقبة، وحميد الطويل، وصالح بن كيسان، وعبيد الله العمري... وغيرهم، وروى عنه خلائق من أتباع التابعين[(٤)].

أجمع العلماء على إمامته وجلالته وزهادته وعلو مرتبته. قال الإمام مالك: «لم يكن أحد أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش من سالم كان يلبس الثوب بدرهمين»[(٥)].

كان من الثقات المكثرين من الحديث، وفيه يقول محمد بن سعد: «كان ثقة كثير الحديث عالياً من الرجال ورعاً»[(٦)].

ومن علماء الحديث من عدّ الإسناد عن سالم عن أبيه من أصح الأسانيد في

التهذيب، ٣٠٧/٧.

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٤٤/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٨٠. البستي، مشاهير، ص٦٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٤٤/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٨٠. البستي، مشاهير، ص٦٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، (ليدن)، ١٣٨/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٠٧/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٨/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، (ليدن)، ١٣٨/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٠٧/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٨/١.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٠٧/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٩/١.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٤٨/٥.

الحـــديث، فعن إسحاق بن راهويه قال: «أصح الأسانيد كلها الزهري عن سالم عن أبيه (عبد الله بن عمر) «وكذا روي عن الإمام أحمد بن حنبل»[١].

توفي بالمدينة المنورة سنة (١٠٦هـ)، وصلّى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك وكان الأخير حاجاً[٢].

القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٨هـ):

أبـــو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد التابعين الأجلاء، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة[٣]. مات أبوه محمد بن أبي بكر وكان صغيراً، فنشأ في حجر عائشة، وكانت تربطه بالبيت العلوي روابط وشيجة إذ تربى أبوه محمد في بيت علي بن أبي طالب ﷺ بعد أن تزوج علي أمه أرملة أبي بكر الصديق[٤].

نشـــأ القاسم بن محمد بالمدينة المنورة وأخذ عمَّن أدركه من الصحابة، فأخذ عـــن أم المؤمـــنين عائشـــة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، ومعاويـــة، ورافع بن خديج. وروى عن جماعة من التابعين، منهم: أسلم مولى عمر، وعبد الرحمن بن يزيد بن جارية، وغيرهم[٥]، وروى عنه من التابعين: نافع مولى ابن عمـــر، والزهري، وابن أبي مليكة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسعد بن إبراهيم، وعـــبد الله بـــن ذكوان (أبو الزناد)، وربيعة الرأي، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم... وغيرهم[٦].

كان القاسم بن محمد ملازماً للورع والنسك، مواظباً على الفقه والأدب، على

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٢٠٧/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٩/١.

(٢) ابـــن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٤٨/٥. العجلي، معرفة الثقات، ٣٨٣/١. البستي، مشاهير، ص ٦٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٨٩/١.

(٣) ابـــن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٩/٥-١٤٠. العجلي، معرفة الثقات، ٢١١/٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٦/١.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٢٢٨/١. وينظر: إبراهيم الزين، معاجم الرجال، ص٨.

(٥) ابـــن ســـعد، الطـــبقات (ليدن)، ١٣٩/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٥٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٣/٨-٣٣٤.

(٦) ابـــن ســـعد، الطـــبقات (ليدن)، ١٣٩/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٥٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٣/٨-٣٣٤.

ما كان يرجع إليه من العقل والعلم[١]. ولقد أثنى عليه كثير من العلماء والأعلام على ما بلغه من منزلة علمية في الحديث، قال أبو الزناد: «ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم بن محمد»[٢]، وقال ابن عون، يصف دقته في الرواية: «كان القاسم بن محمد يحــدث بالحديث على حروفه»[٣]، وأهم موارده في الحديث هي عائشة (رضي الله عنها) يقول ابن عيينة: «كان أعلم النَّاس بحديث عائشة، القاسم وعروة وعمرة»[٤]، وروى عـــن يحيى بن سعيد في فضله العلمي قوله: «ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله علـــى القاسم بن محمد»[٥]، كان للقاسم مجلس علمي يحدث فيه في المسجد النبوي بالمدينة[٦]، وبعد أن قضى حياة حافلة بالنشاط العلمي، توفي سنة ١٠٨ هجرية على الأرجح[٧].

نافع مولى ابن عمر (ت ما بين ١١٧-١٢٠هـ):

أبـــو عـــبد الله نافـــع بـــن هرمز العدوي المدني، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ[٨]، أحد أعلام التابعين في الحديث[٩].

نشـــأ نافع نشأة علمية في المدينة، فتعلم علوم القرآن والحديث، وكانت أكثر روايـــته عن عبد الله بن عمر ﷺ إذ لازمه ما يقرب من ثلاثين سنة[١٠]، وفضلاً عن ابن عمر، فقد روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأمهات المؤمـــنين عائشة، وأم سلمة. وأخذ العلم عن خلائق من التابعين منهم: القاسم بن

---

(١) البستي، مشاهير، ص٦٣.
(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٥٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٤/٨.
(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٩/٥.
(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ٥٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٤/٨.
(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٤٨/١. اليافعي، مرآة الجنان، ٢٢٨/١.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٤١/٥.
(٧) ن.م، ١٤٣/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٧٦. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ٥٨/٥.
(٨) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ق٢ جـ٤ ص٨٤-٨٥. خليفة، الطبقات، ص٢٥٦.
(٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١٢/١.
(١٠) النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٣/٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١٢/١٠.

محمد وسالم بن عبد الله بن عمر. وأسلم مولى عمر، وإبراهيم بن عبد الله بن حسين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق وغيرهم[١].

وروى عنه جماعة من التابعين منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، والزهري، وصالح بن كيسان، وابن عون، وحميد الطويل، وميمون بن مهران، وموسى بن عقبة. ومن غير التابعين: أولاده، وعبد الله وعمر وأبو بكر بنو نافع وعبد الملك بن جريج، والإمام مالك بن أنس، والأوزاعي، والليث، ويونس بن عبيد، وابن أبي ذئب، وغيرهم[٢].

كان نافع كثير الحديث ثقة ضابطاً صحيح الرواية، أجمع العلماء على ثقته ومنزلته العلمية، فمما قاله سفيان بن عيينة: «أي حديث أوثق من حديث نافع»[٣] ويقول الإمام مالك: «إذا سمعت من نافع حديثاً عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره»[٤]. وقال سالم بن عبد الله: «سلوه (أي نافع) فإنَّه أعلمنا بحديث ابن عمر»[٥].

وكان لنافع مجلساً علمياً في المسجد النبوي، بعد صلاة الصبح حتى يرتفع النهار[٦]، يأخذ عنه طلبة العلم الحديث والفقه. ولمنزلته العلمية في الحديث، فقد «بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر يعلمهم السنن»[٧]، فمكث مدة هناك ثمَّ عاد إلى المدينة.

وتعد الأسانيد عن نافع في الحديث من الطراز الأول في سلسلة الإسناد، وتسمى (سلسلة الذهب)، وقول البخاري: «أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٣/٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١٢/١٠.
(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٣/٢-١٢٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١٢/١٠. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٧.
(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٤/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١٢/١٠.
(٤) البخاري، التاريخ الكبير، ق٢ جـ٤ ص٨٥.
(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٤٦/١.
(٦) ن.م، ٦٤٦/١.
(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٤/٢. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٤٧.

عمر»[١].

توفي نافع بالمدينة سنة ١١٧ هجرية، وقيل ١١٩ هجرية، وقيل سنة ١٢٠ هجرية، والأول أرجح والله أعلم[٢].

ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ):

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري المدني[٣]، ولد الزهري سنة (٥٠) هجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهو يذكر أحياناً باسم الزهري، وأحياناً ابن شهاب ينسب إلى جده الأعلى[٤]، وهو من طبقة صغار التابعين، ومن أكثر علماء المدينة الذين ترددوا على الشام في عهود الخلفاء الأمويين عبد الملك وأولاده... لذا تصفه المصادر أحياناً بأنه عالم الحجاز والشام[٥]. ولكننا نعده في أهل المدينة لأنَّهُ ولد بها ونشأ بها وأخذ علمه من مشاهير علمائها. ولأنه كتب في المدينة وألف بها. واشتهر الزهري بموسوعيته العلمية ففضلاً عن شهرته بالحديث اشتهر بالفقه، والسيرة (المغازي) والأنساب، وغير ذلك[٦].

الزهري والحديث: طلب الزهري الحديث وله نيف وعشرون سنة. وروى عن جماعة من الصحابة منهم: جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد الكندي، وعبد الرحمن بن أزهر، والمسور بن مخرمة، وعبد الله بن عامر، وأبو الطفيل، ومحمود بن الربيع، وأبو أمامة أسعد بن

(١) الخطيب، الكفاية، ص٣٩٨، طبقات الحفاظ، ص٤٧.

(٢) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٣١٠، البستي، مشاهير، ص٨٠، النووي، تهذيب الأسماء، ١٢٤/٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، جـ٢، ق٢، ص١٣٥. البستي، مشاهير، ص٦٦. الذهبي، طبقات الحفاظ، ١٥٨/١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٢٦/٥.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٤٥/٩.

(٦) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٢٣/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦٣٩/٩. وينظر: الضاري، الإمام الزهري، ص٢١:
Godziher, Ignas: Muhammedanische Studien, Hildeshim, ١٩٦١, Vol.٢, P.٣٨-٤٠،٢١٠.

سهل بن حنيف وغيرهم[١]. وأخذ عن خلائق من كبار التابعين منهم: سعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، والحسن وعبد الله ابنا محمد ابن الحنفية، وعبد الله وعبيد الله وسالم بنو عبد الله بن عمر، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، والمحرر بن أبي هريرة، ومحمد ونافع ابنا جبير بن مطعم، وعمرة بنت عبد الرحمن، وروى عن غيرهم[٢].

وأكثر من روى عنه ابن شهاب الزهري ثلاثة من الأئمة الأعلام كلهم مدنيّ فأمَّا أولهم، فهو إمام التابعين سعيد بن المسيب، وفي هذا يقول الزهري: «مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثماني سنين»[٣]، وأمَّا الثاني فهو عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة والثالث عروة بن الزبير[٤].

روى عن الزهري جماعات كثيرة من التابعين وأتباع التابعين منهم: عطاء بن أبي رباح، والأوزاعي، وعمر بن عبد العزيز، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الملك بن جريج، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم[٥].

عرف عن الزهري حرصه على كتابة الحديث وروايته، وكان من أنشط طلاب العلم في طلب الحديث يتردد كثيراً على حلقات العلماء، ولا يترك أحداً يعرف عنده، شيئاً من العلم إلاَّ قصده[٦]، وفضلاً عن أنَّهُ كتب الحديث فقد كتب أقوال الصحابة، يقول صالح بن كيسان: «اجتمعت أنا والزهري نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النَّبي ﷺ، وقال ثمَّ قال: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنَّه

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٣٧٥/١. أبو نعيم، حلية، ٣٧٢/٣. النووي، تهذيب الأسماء، ٩٠/١ وعد ابن حجر (سبعاً وسبعين شخصية روى عنهم الزهري)، تهذيب التهذيب، ٤٤٥/٩-٤٤٦.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٣٧٥/١. أبو نعيم، حلية، ٣٧٢/٣. النووي، تهذيب الأسماء، ٩٠/١ وعد ابن حجر (سبعاً وسبعين شخصية روى عنهم الزهري)، تهذيب التهذيب، ٤٤٥/٩-٤٤٦.

(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٣١/١.

(٤) ن.م، ٦٥٠/١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٩/١.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٤٧/٩ وذكر (٥١) شخصاً ممن روى عن الزهري.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٤٩/٩. وينظر: الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٤٩١.

ســنة، فقلت أنا ليس بسنة فلا أكتبه، قال: فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت»[(١)]، ونحـو ذلـك مـا رواه أبو الزناد وهو من أقران الزهري قال: «كنت أطوف أنا والزهري، ومعه كتب وألواح... وكان يكتب كل ما سمع»[(٢)].

أصبح الزهري من أشهر أهل عصره علماً، وطار صيته في الآفاق، فكان موضع اهـتمام أهـل المدينة علمياً، يقول الإمام مالك: «كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحـدث بها أحد من العلماء حتى يخرج منها، وأدركت بالمدينة مشايخ أبناء سبعين أو ثمانين لا يؤخذ عنهم، ويقدم ابن شهاب وهو دونهم في السن فيزدحم عليه»[(٣)].

لقـد أثنى العلماء على ما بلغه الزهري من منزلة علمية وما تفرد به من زعامة مدرسـة الحديث في المدينة في عهده: من ذلك ما قاله الإمام الشافعي (رحمه الله): «لـولا الزهري ذهبت السنن من المدينة»[(٤)]، وقال مكحول: «ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية من الزهري»[(٥)]. ورُويَ أن عمر بن عبد العزيز قال مرة لجلسائه: «هل تأتـون ابن شهاب؟ قالوا: إنا لنفعل، قال: فأتوه فإنَّه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه»[(٦)].

قدّم ابن شهاب الزهري خدمات جليلة للسنة النبوية (الحديث) من ذلك:

١. عمـل مـا طلبه منه الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) من تدوين الحديث النبوي في سجلات وزعت على بعض الأمصار، يقول ابن شهاب في ذلك: «أمـرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[(٧)].

٢. كـان الزهـري يؤكد الإسناد في الحديث ويحرص عليه، وكان من أوائل

(١) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٨٨-٣٨٩. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٣٦٠-٣٦١.
(٢) الذهبي، تراجم الرجال، ص٦٧.
(٣) ابن عبد البر، التمهيد، (ط الرباط)، ١/٦٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٣٤٢.
(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٩١.
(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٣٩.
(٦) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٣٦٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٠٩-١١٠.
(٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ١/٧٦.

الذين أسهموا في ترسيخ علم الإسناد في الحديث (وغيره)، يقول الإمام مالك: «أول من أسند الحديث ابن شهاب»[١]، وسبق ذكر قوله لإسحاق بن أبي فروة: «أسند حديثك، تحدثوننا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة»[٢]، ويروى أنَّهُ خاطب أهل الشام بذلك قائلاً: «يا أهل الشام ما لي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم، قال الوليد: فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ»[٣].

٣. كان للزهري دور كبير في المحافظة على الأحاديث سواء كان ذلك عن طريق حفظها وروايتها، أو تدوينها أو تعليمها لغيره، وبذلك تميز على غيره من معاصريه، يقول الليث بن سعد: «لولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن»[٤].

قال البخاري عن علي بن المديني: «للزهري نحو ألفي حديث»، ونقل عن الآجري عن أبي داود: «جميع حديث الزهري ألفا حديث ومائتا حديث، النصف منها مسند، وقدر مائتين عن غير الثقات»[٥]، أمَّا أصح أسانيد الحديث التي تروى عن النَّبي ﷺ فأكثرها شهرة تعود للزهري نذكر منها: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب. والزهري عن سالم عن أبيه. والزهري عن عبد الله بن عبَّاس وغيرها[٦]. توفي الزهري سنة ١٢٤ هجرية على الراجح بعد حياة حافلة بالنشاط العلمي[٧].

مشاهير المحدثين من أتباع التابعين:

عبد الرحمن بن القاسم بن محمد (ت ١٢٦هـ):

أبو محمد، عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، من سادات

(١) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١/٢٠.
(٢) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص٦. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٣٦٥.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٣٤.
(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٣٥.
(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٩١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٢٨.
(٦) الخطيب، الكفاية، ص٣٩٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٤٨.
(٧) البستي، مشاهير، ص١٢٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٥٠.

أهل المدينة ومتقنيهم(١)، ولد في حياة عائشة أم المؤمنين، وعداده في الطبقة السادسة من أتباع التابعين بالمدينة(٢).

روى عن جماعة من أعلام التابعين المدنيين منهم: والده القاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله بن عمر، ونافع مولى ابن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، ومحمد بن جعفر بن الزبير وغيرهم(٣). وروى عنه جماعة (كان بعضهم من التابعين).. فممن روى عنه: الزهري، وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن حفص، ومحمد بن عجلان، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وسفيان الثوري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، والإمام مالك والأوزاعي، والليث، وشعبة، وسفيان بن عيينة وغيرهم(٤).

كان عبد الرحمن بن القاسم ممن تقدّمت وفاتهم ولذلك فقد أدرك بعض كبار التابعين – كما أشرنا أعلاه – فروى عنهم، وكان على قدر كبير من العلم والرواية. ورث مجلس الحديث والعلم عن والده القاسم بن محمد في المسجد النبوي، يقول الإمام مالك في ذلك: «لم يخلف أحد أباه في مجلسه إلاّ عبد الرحمن»(٥)، ويبدو أنَّهُ كان من المكثرين من رواية الحديث، يقول الواقدي: «كان كثير الحديث ورعاً»(٦) وقد أشاد بفضله ومكانته ابن عيينة إذ يقول: «كان أفضل أهل زمانه»(٧). وثقه كل من العجلي والنسائي والإمام أحمد بن حنبل(٨)، وتوفي عبد الرحمن بالمدينة ما بين

---

(١) خليفة، الطبقات، ص٢٦٨، البستي، مشاهير، ص١٢٨.
(٢) العجلي، معرفة الثقات، ٨٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٤/٦.
(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٣٠٣/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٤/٦. السيوطي، إسعاف المبطأ برجال الموطأ (مع كتاب تنوير الحوالك)، ط دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ص٢٧.
(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ٣٠٣/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٤/٦. السيوطي، إسعاف المبطأ برجال الموطأ (مع كتاب تنوير الحوالك)، ط دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ص٢٧.
(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٤/٦.
(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٤/٦.
(٧) ن.م، ٢٥٤/٦.
(٨) النووي، تهذيب الأسماء، ٣٠٣/١. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٥٧.

سنتي ١٢٦-١٣١ هجرية والأول أرجح[١].

عبيد الله بن عمر بن حفص (ت ١٤٥هـ):

أبو عثمان، عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ، القرشي العدوي المدني[٢]. كان عبيد الله من سادات أهل المدينة وأشراف قريش فضلاً وعبادة وشرفاً وحفظاً وإتقاناً[٣]، وذكر ضمن الطبقة الخامسة من علماء المدينة المحدثين، ومنهم من ذكره في الطبقة السادسة القريبة من الخامسة[٤].

روى عبيد الله عن كثير من التابعين منهم: والده، وخاله حبيب بن عبد الرحمن وسالم بن عبد الله بن عمر، ومحمد بن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، وابنه عمر بن نافع، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وابنه عبد الرحمن بن القاسم، وثابت البناني، وابن شهاب الزهري، وغيرهم[٥]. روى عنه جماعات من التابعين وأتباع التابعين منهم: أخوه عبد الله، وحميد الطويل (وهو من شيوخه)، وأيوب السختياني، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو أكبر منه، وأبو حنيفة النعمان، والسفيانان، وشعبة، ومعمر بن رشاد،... وعبد الله بن المبارك، ويحيى القطان، والليث بن سعد، وأبو إسحاق الفزاري، وعبد الرزاق بن همام وغيرهم[٦].

أجمع العلماء على توثيقه وجلالته، وكثرة روايته للحديث، فقد سئل الإمام أحمد ابن حنبل عن عبيد الله بن عمر ومالك وأيوب، وأيهم أثبت في نافع؟ فقال: «عبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية»[٧]. وقال يحيى بن معين: «عبيد الله عن القاسم عن عائشة الذهب المشبك بالدّر، قيل: هو أحب إليك، أو الزهري عن

(١) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٨٥. البستي، مشاهير، ص١٢٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/ ٢٥٤. السيوطي، إسعاف المبطأ، ص٢٧.

(٢) خليفة، الطبقات، ص٢٦٨. البستي، مشاهير، ص١٣٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٨/٧.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ٤٠.

(٤) العجلي، معرفة الثقات، ١١٣/٢. خليفة، الطبقات، ص٢٦٨.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٨/٧-٣٩.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٨/٧-٣٩.

(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٤/١.

عروة؟ قال: هو أحب إليّ»[1]، كان من المكثرين في رواية الحديث النبوي حتى قيل فيه بأنه «كان ثقة كثير الحديث حجة»[2]. أمَّا العجلي فعدّه من الثقات في الرواية عن نافع عن أبيه، قال: «ثقة ثبت مأمون ليس أحد أثبت من حديث نافع منه»[3].

اعتزل عبيد الله الأحداث السياسية بالمدينة «فعندما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن على المنصور لزم عبيد الله ضيعته... فلما قتل محمد رجع عبيد الله إلى المدينة»[4]. توفي بالمدينة ما بين سنتي ١٤٥-١٤٧ هجرية والأول أرجح[5].

مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ):

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار الهجرة[6]، وإليه ينسب المذهب المالكي[7]، أحد المذاهب الإسلامية المشهورة في العالم الإسلامي. وأشهر مشاهير أتباع التابعين في المدينة المنورة، وفي سائر البلاد الإسلامية، ولد الإمام مالك بن أنس في المدينة عام ٩٣ أو ٩٤ هجرية[8]، وبها نشأ وتلقى علومه من مشاهير العلماء فيها من التابعين[9]، واشتهر بطلبه للحديث وحرصه عليه، وتصدر للتحديث والإفتاء بسن مبكرة. وقد عدّ في زمانه بأنه عالم المدينة الأوحد، فقصده النَّاس لأخذ العلم عنه من كل مصر من الأمصار، وشهرته في الحديث فاقت غيرها، لا سيما وهو القائل: «كتبت بيدي

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٤/١.
(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٤/١.
(٣) العجلي، معرفة الثقات، ١١٣/٢.
(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠/٧.
(٥) خليفة، الطبقات، ص٢٦٩. البستي، مشاهير، ص١٣٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٠/٧.
(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٤٥/٥ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٤٣٥/١. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٧.
(٧) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١١.
(٨) البستي، مشاهير، ص١٤٠. السيوطي، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت، ٣/١.
(٩) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١١/١-١٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٠٧/١.

مائة ألف حديث»[١].

أخذ العلم عن مشاهير التابعين منهم: نافع مولى ابن عمر، ومحمد بن المنكدر، وابن شهاب الزهري، وعبد الله بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو حازم، وعبد الرحمن بن هرمز، وربيعة الرأي، وجعفر بن محمد (الصادق)، وحميد الطويل، وغيرهم كثير[٢].

روى عنه عدد كبير من العلماء الأعلام منهم: ابن شهاب الزهري، ويحيى الأنصاري (وهما من شيوخه، والأوزاعي، والثوري، وابن عيينة، وشعبة، والليث بن سعد، وابن المبارك، والشافعي، وعبد الله بن وهب، والقعنبي، وعبد الله بن نافع، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ومعن بن عيسى، وعبد الرحمن بن القاسم العتقي، وأبو عاصم النبيل، وروح بن عبادة، والوليد بن مسلم، ويحيى بن يحيى الليثي، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وعبد العزيز الأوسي، وسعيد بن أبي مريم، وسعيد بن كثير، ومطرّف بن عبد الله، وورقاء بن عمرو، وخلائق آخرون غيرهم[٣].

أجمع طوائف العلماء على إمامته وجلالته وعظم سيادته وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبت وتعظيم حديث رسول الله ﷺ. ولمنزلته العلمية ودقته وأمانته فقد بلغ مرتبة أئمة المحدثين، فأخذ النَّاس الحديث عنه بثقة واطمئنان، ولذا عدّ علماء الحديث سلسلة الإسناد التي يرويها الإمام مالك من السلاسل الذهبية في الحديث، قال البخاري: أصح الأسانيد (في الحديث): مالك عن نافع عن ابن عمر (أي عبد الله بن عمر)[٤]. وقال أبو منصور التميمي: أصحها الشافعي عن مالك عن

---

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢١. السيوطي، تنوير الحوالك، ٦/١.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٩/٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٠٧/١. النووي، تهذيب الأسماء، ٧٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/١٠.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٧٥/٢. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٩-٣٠ وقد ذكر أن عدد من روى عنه أكثر من ألف راو. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/١٠. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٩٦.

(٤) الخطيب، الكفاية، ص٣٩٨. أيضاً: السيوطي، تدريب الراوي، ٣٢/١.

نافع عن ابن عمر عن النَّبي ﷺ[١]، كان مالك شديد التدقيق والتثبت في الحديث فمن ذلك، أنَّهُ كان لا يروي إلاَّ عن الثقات المشهود لهم، وهو القائل في ذلك: «أدركت هــذا المســجد وفيه سبعون شيخاً ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وروى عن الــتابعين ولم نحمل الحديث إلاَّ عن أهله»[٢]، وأنه كان يكثر من تنقية الرجال حتى قــال ســفيان بن عيينة في ذلك: «ما كان انتقاد مالك للرجال»[٣]، وقال مالك في ذلك: «لا يؤخذ العلم إلاَّ عمَّن يعرف ما يقول»[٤].

ومن دقته وتثبته في الحديث أنَّهُ كان إذا شك في شيء من الحديث طرحه كله، كمــا روي ذلــك عن الشافعي[٥]، فهذه النصوص وغيرها دلائل على شدة حرصه وأمانته على حديث رسول الله ﷺ، ولذلك أثنى العلماء على هذه الأمانة. فمما قاله وهب بن خالد: «ما بين المشرق والمغرب رجل آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالــك»[٦]. ورُويَ عــن الشافعي قوله: «إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك عليه»، وقال ابن مهدي: «ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحدا»[٧].

وقد شهد له العلماء الأعلام بالفضل في العلم والحديث، فهذا سفيان بن عيينة، يقــول: «مالــك إمام، ومالك عالم الحجاز، ومالك حجة في زمانه... وما نحن ومالــك، إنَّما كنا نتبع آثار مالك»[٨]. وقال يحيى بن سعيد القطان: «ما أقدم على مالك في زمانه أحدا»[٩]. وهذا الشافعي يقول: «إذا جاء الأثر فمالك النجم»[١٠]. ولو استعرضنا أقوال العلماء في منزلته العلمية لطال بنا المقام.

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٧٦/١. أيضاً: السيوطي، تدريب الراوي، ٣٢/١.
(٢) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١٤/١. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٢٣/٦.
(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٧٦/٢. السيوطي، تنوير الحوالك: ٣/١.
(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ٧٦/٢.
(٥) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٤.
(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ٧٦/٢. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٢.
(٧) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣٢٢/٦. ابن عبد البر، التمهيد (ط الرباط)، ٦٥/١.
(٨) عياض، ترتيب المدارك، ٧٥/١.
(٩) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣١٨/٦. ابن عبد البر، التمهيد، ٦٤/١.
(١٠) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣١٨/٦. ابن عبد البر، التمهيد، ٦٤/١.

وكان للإمام مالك آداب قيمة — ذكرها العلماء — تدل على توقيره لحديث الرسول ﷺ منها أنَّهُ كان «إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة ولبس أحسن ثيابه ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله ﷺ»(١).

تكمن أهمية مالك في كتاب الموطأ الذي تركه، والذي قال عنه: «كتاب ألفته في أربعين سنة»(٢) وقد توخى الإمام مالك الأحاديث الصحاح الجيدة في هذا الكتاب حتى قال أبو زرعة: «لو حلف رجلٌ بالطلاق على أحاديث مالك التي بالموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث»(٣).

أمَّا عن عدد أحاديث الموطأ: فروي عن عتيق بن يعقوب الزبيري قوله: «وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا...»(٤) وقال سليمان بن بلال: «لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو قال (أكثر) فمات وهي ألف حديث ونيف، يخلصها عاماً عاماً بقدر ما يرى أنَّهُ أصلح للمسلمين وأمثل في الدين...»(٥).

والموطأ من كتب الصحاح في السنّة، وهو أول مصنف رتب على الأبواب من المصنفات الصحيحة، قال أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي: «الموطأ هو الأصل الأول واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي»(٦)، وقد أشاد الإمام الشافعي بالموطأ فقال: «ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك...»(٧).

أمَّا عن منهج مالك في الموطأ، فإنَّه لم يقتصر فيه على الأحاديث النبوية

---

(١) عياض، ترتيب المدارك، ٢/١٤-١٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٧٦.
(٢) عياض، ترتيب المدارك، (ط المغرب) ٢/٧٥. السيوطي، تنوير الحوالك، ١/٦.
(٣) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٧٦.
(٤) ن.م، ٢/٧٣. السيوطي، تنوير الحوالك، ١/٦.
(٥) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٧٣.
(٦) السيوطي، تنوير الحوالك، ١/٦.
(٧) ابن عبد البر، التمهيد، ١/٧٦-٧٧. السيوطي، تنوير الحوالك، ١/٧.

الشـــريفة بل ضمنه أقوال الصحابة والتابعين وهو القـــائل عنه: «فيه حديث رسول الله ﷺ، وقـــول الصـــحابة والتابعين، ورأيي، وقد تكلمت برأيي، وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلى غيره...»[١]:

مؤلفات علماء المدينة في الحديث النبوي:

١. عهد النَّبي ﷺ والصحابة:

سبقت الإشارة إلى بعض الصحف التي دونت في العهد النبوي عند الكلام عن تـــدوين الحـــديث في عهد النَّبي ﷺ والصحابة ﷺ وأن هذه المدونات كانت قليلة ومعظمهـــا يقتصـــر علـــى بضعة أحاديث، ونذكر هنا أهم هذه المؤلفات، ومآل وجودها:

أ. صحيفة تنسب إلى سعد بن عبادة الأنصاري (ت ١٥هـ):

وأنـــه جمع فيها طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه، وذكرها الترمذي في سننه فقال: «قال ربيعة: وأخبرني ابن لسعد بن عبادة قال: وجدنا في كتاب سعد أن النَّبي ﷺ قضى باليمين مع الشاهد...»[٢] ويبدو أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أوفى (ت ٨٦هـ) الذي كان يكتب الأحاديث[٣].

ب. صحيفة تنسب إلى سمرة بن جندب (ت ٦٠هـ):

جمـــع فـــيها أحاديـــث كـــثيرة وصفت بأنها «نسخة كبيرة رواها عنه ابنه ســـليمان»[٤]، ويقول أحد الباحثين أنها كانت «فيما يبدو ما تزال موجودة في القرن

---

(١) عياض، ترتيب المدارك، ٧٣/٢. السيوطي، تنوير الحوالك، ٧/١.

(٢) التـــرمذي، أبـــو عيســـى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ). السنن، (كتاب الأحكام/باب اليمين مع الشاهد)، ٦١٨/٢.

(٣) ذكر البخاري في كتاب الجهاد/باب الصبر عند القتال: من رواية موسى بن عقبة عن سالم بن أبي النضـــر «أن عـــبد الله بن أبي أوفى كتب فقرأته أن رسول الله ﷺ قال: إذا لقيتموهم فاصبروا...» الصحيح، ٣٠/٤.

أيضـــاً: يؤكد كتابة عبد الله بن أبي أوفى للحديث، ما أورده البخاري، في كتاب الجهاد (باب لا تمنوا لقاء العدو)، الصحيح، ٧٧/٤. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٦٠/٨.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٩٨/٤.

الثالث الهجري»[١]، ويبدو أيضاً أن هذه الصحيفة قد أخذت بكاملها أو اقتبس منها في مسند أحمد بن حنبل[٢].

ج. الصحيفة الصادقة:

التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ)، سبقت الإشارة إليها - وهي من أشهر الصحف المكتوبة في العهد النبوي، المتضمنة لأحاديث نبوية شريفة، وإنها وإن لم تصل كما كتبها صاحبها بخطه فإنها وصلت في معظمها - إن لم يكن كلها — في مسند الإمام أحمد بن حنبل[٣]، ويقال إن عمرو بن شعيب (ت ١٢٠هـ) — وهو حفيد عبد الله بن عمرو — كان يروي من أحاديث هذه الصحيفة قال يحيى بن معين: «إذا حدّث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فهو كتاب»، وفي موضع آخر يقول ابن معين: «إن أحاديثه صحاح غير أنَّهُ لم يسمعها، وصح سماعة لبعضها فغاية الباقي أن يكون وجادة صحيحة وهو أحد وجوه التحمّل...»[٤].

د. صحيفة جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ):

ذكرها مسلم في مناسك الحج وسماها: منسك جابر في الحج برواية جعفر بن محمد عن أبيه...[٥]. ورويت هذه الصحيفة بطرق متعددة، منها رواية سليمان بن قيس اليشكري أحد تلاميذ جابر[٦]، وإن المصدر الآخر الذي حواها هو مسند الإمام أحمد بن حنبل[٧].

هـ. صحيفة أبي هريرة (ت ٥٨هـ):

لهمام بن منبه (ت ١٠١هـ)، وأنها نسبت لهمام بن منبه، وهي في الحقيقة

---

(١) سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٥٤.
(٢) ابن حنبل، المسند، (ط صادر)، ٥/٧-٢٣. وينظر: سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٥٤.
(٣) ينظر: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص كاملاً عند: ابن حنبل، المسند، ٢/١٥٨-٢٢٦.
(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨/٤٩ و٥٤.
(٥) مسلم، الصحيح، ٤/٣٨-٤٣، وتقع هذه الصحيفة أو المنسك في صحيح مسلم في أكثر بقليل من أربع صفحات.
(٦) سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٥٥.
(٧) ابن حنبل، المسند (ط صادر)، ٣/٣٩٢-٤٠٠.

صحيفة أبي هريرة لهمام. ولا بد من أن هماماً دوّن هذه الصحيفة قبل سنة ٥٨ هجرية أي قبل وفاة شيخه مما دل على تدوين الحديث في زمن مبكر (أي منتصف القرن الأول الهجري)[١]. وأنها من الصحف الكاملة، وردت برمتها في مسند أحمد بن حنبل، وإن أحاديثها بحدود (١٤٠) حديث[٢].

و. وقد نسب لعبد الله بن عبَّاس (ت ٦٨هـ):

مدونات في الحديث والسيرة في ألواح، وذكر أنَّهُ ترك كتباً كثيرة فيروى عن موسى بن عقبة قال: «وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس، فكان علي بن عبد الله بن عباس، إذا أراد الكتاب، كتب إليه: ابعث إليّ بصحيفة كذا وكذا فينسخها ويبعث بها»[٣]. وهذا يدل على أن صحف ابن عبَّاس ظلت معروفة ومتداولة، مدة طويلة من الزمن. وقد أخذت كتب التفسير والحديث عن مسموعات ابن عبَّاس ومروياته، ولكننا مع ذلك لا نستطيع تحديد الزمن الذي تلفت فيه تلك الصحف ولا الصورة التي تلفت عليها[٤].

ز. وثمة صحف أخرى نسبت إلى صحابة آخرين أمثال علي بن أبي طالب ﷺ[٥]، وأنس بن مالك (ت ٩٣هـ) ﷺ[٦]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)[٧]، وغيرهم[٨].

---

(١) ينظر: الصالح، علوم الحديث، ص٢٢.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص١٤٥، أيضاً: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦٧/١١ (ترجمة رقم ١٠٦) ووردت عند ابن حنبل، المسند، ٣١٢/٢-٣١٩ بالروايات التالية: «حدثنا عبد الله... ثنا عبد الرزاق بن همام ثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ..» ا.هـ، ص٣١٢.

(٣) الخطيب، تقييد العلم، ١٣٦. قارن. ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢١٦/٥.

(٤) ينظر: الصالح، علوم الحديث، ص٢٠-٢١.

(٥) البخاري، الصحيح، (باب كتابة العلم)، ٣٨/١. (باب الديات)، ١٣/٩-١٤.

(٦) الخطيب، تقييد العلم، ص٩٥-٩٧.

(٧) ن.م، ص٤٤.

(٨) ينظر للمزيد ما أورده الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي، (كتابة الصحابة والكتابات عنهم)، ٩٢/١-١٤٢.

٣. عهد التابعين وأتباع التابعين:

أخذ تأليف الحديث وتدوينه يزداد شيئاً فشيئاً في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، من ذلك – كما سبقت الإشارة إليه – قيام أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الذي كان والي المدينة في خلافتي سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (٩٦-١٠١) هجرية بأوسع تدوين للحديث النبوي. وذلك بأمر رسمي من الخليفة عمر ﷺ، وأن أبا بكر قام بالفعل بكتابة ما طلب منه في كتب ضمنها الأحاديث النبوية[١].

كذلك قام ابن شهاب الزهري بكتابة الأحاديث النبوية في دفاتر، ويبدو أن هذا العمل تم أيضاً بطلب من الخليفة عمر بن عبد العزيز (أي في نهاية القرن الأول الهجري)، كما يبدو أن عمل الزهري في التأليف في حقل الحديث قد أنجز قبل عمل ابن حزم، فقد بعث الخليفة عمر بكتب الزهري إلى الآفاق[٢]. ومن المعلوم أن الزهري كتب الحديث ودونه وهو لما يزال يطلب العلم في المدينة وجعل ذلك في ألواح وكراريس خاصة[٣].

العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب (ت ١٣٢هـ):

كانت له صحيفة مشهورة في الحديث، يقول الواقدي: «أخبرني مالك بن أنس قال: كانت عند العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب صحيفة يحدث بما فيها، قال: فكان إذا أتاه الرَّجل يكتب بعضاً ويدع بعضا»، وفي موضع آخر يقول الواقدي: «وصحيفة العلاء بالمدينة مشهورة وكان ثقة كثير الحديث ثبتاً...»[٤].

يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ):

من فقهاء أهل المدينة ومحدثيهم[٥]. ويبدو أن كتبه في الحديث والفقه كانت

(١) ينظر ابن عبد البر، التمهيد، (ط الرباط)، ٨١/١. وما سبقت الإشارة إليه في هذا الفصل.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٧٦/١.

(٣) ينظر: ترجمة الزهري، ص١٥٠ وما بعدها.

(٤) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة)، ص٣٣٠.

(٥) له ترجمة مفصلة في فصل الفقه، ص١٩٨-١٩٩.

متداولة، فمن رواية تنسب إلى الليث بن سعد قال: «إن أول ما أتي يحيى بن سعيد بكتب علمه استكثر كثرته. حتى قيل له: نعرضه عليك فما عرفت أجزته، وما لم تعرف رددته، قال: فعرفه كله...»[١]، وقال علي بن المديني عن كتبه «ليس في الدنيا كتاب عن يحيى أصح من كتاب عبد الوهاب، وكل كتاب عن يحيى هو عليه كل...»[٢].

هشام بن عروة بن الزبير (ت ١٤٦هـ):

المولود بالمدينة سنة (٦١هـ)، وقد شاهد من الصحابة عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وأخذ عنهم وعن والده عروة، وعمه عبد الله بن الزبير، وعن الزهري وغيرهم.

وممن روى عنه: الإمام مالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وابن المبارك، وشعبة، وغيرهم[٣]. كان محدثاً وفقيهاً عاش في المدينة[٤]، وجاء بعد ذلك إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، فأدركته الوفاة ببغداد سنة (١٤٦هـ)[٥]، وأمَّا جهوده في التأليف في الحديث: فقد أشار الخطيب البغدادي إلى وجود نسخة كتبها ضمنها أحاديث نبوية رواها عن والده عروة بن الزبير وأن «يحيى بن الزبير بن عباد قال: طلبت من هشام بن عروة أحاديث أبيه قال: فأخرج إليّ دفتراً فقال: في هذا أحاديث أبي صححته وعرفت ما فيه...»[٦]، وأشار سزكين إلى وجود كتاب عنوانه العوالي من حديث هشام بن عروة، وأنه يوجد منه نسخة في الظاهرية تحت الرقم/مجمع (٦١/١٧٩٥-١٩٤). كتبت في القرن السابع الهجري[٧].

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٤٩-٦٥٠.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٤٩-٦٥٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٧/٣٢١. الخطيب، تاريخ بغداد، ١٤/٣٧-٣٨. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/٤٨-٤٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/٥٠.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ١٤/٤١-٤٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/٥٠-٥١.

(٦) الخطيب البغدادي، الكافية، ص٣٢١.

(٧) سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٦٠.

عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم[١]:

له صحيفة في الحديث كانت تستخدم في عصر الذهبي بروايات كثيرة[٢]. ومن آثاره أيضاً «جزء من حديث عبيد الله برواية ابن أبي زرعة، عن سليمان بن عبد الرحمن (ت ٢٣٣هـ) عن شعيب بن إسحاق (ت ١٨٩هـ)»[٣].

محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب (ت ١٥٩هـ):

كنيته أبو الحارث، ولد بالمدينة سنة ثمانين للهجرة، واشتهر بالقراءة والفقه والحديث[٤].

أمَّا جهوده في التأليف في الحديث: فيبدو أنَّهُ أخذ أحاديث عن الزهري ودونها وكان يحدث بها، أورد ابن حجر قائلاً: «... ثمَّ إن ابن أبي ذئب سأل الزهري أن يكتب له أحاديث من حديثه فكتب له، فكان يحدث بها...[٥]، وذكر ابن النديم أن له كتاب السنن، مرتباً على أبواب الفقه، فبالتأكيد أنَّهُ ضمنه الأحاديث النبوية على أبواب الفقه[٦].

عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٦٤هـ):

أشار العجلي إلى أنَّهُ فقيه مصنف[٧] وأنه سبق الإمام مالكاً في تأليف موطأ له ورغم قول مالك أنَّهُ «عمله كلاماً من غير حديث»[٨]، فقد يكون ضمنه بعض الأحاديث والآثار، وأشار الذهبي إلى رواية لأحمد بن كامل: أن لعبد العزيز الماجشون «كتباً مصنفة رواها عنه ابن وهب...»[٩].

---

(١) سبقت له ترجمة قبل قليل.

(٢) سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٦١.

(٣) سزكين، تاريخ التراث، ١/٢٦١.

(٤) له ترجمة مفصلة في فصل الفقه.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٠٧. الذهبي/سير الأعلام، ٧/١٤٧.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨١.

(٧) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٩٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/٣٤٤.

(٨) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٧٥.

(٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٢٢٣.

الإمام مالك بن أنس ومؤلفه المهم (الموطأ)

سبقت الإشارة إليه، ونشير هنا إلى ما قيل في سبب تأليفه للموطأ[١]، وكيف وصل إلينا، فيذكر أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب منه ذلك وقال له: «إن النَّاس قد اختلفوا بالعراق فضع للناس كتاباً تجمعهم عليه، فوضع الموطأ»، ولكن مالكاً لم يرض أن يحمل النَّاس عليه رغم إشارة الخليفة إلى ذلك[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى عدّة أحاديثه، ومنزلته، وأقوال العلماء فيه ومنهج مالك في تصنيفه له، بقي أن نذكر أن النسخ التي وصلت إلينا من الموطأ، فأشهرها هي: نسخة يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي (ت ٢٣٤هـ)، ارتحل يحيى إلى المدينة وسمع الموطأ من مالك بلا واسطة، وكانت رحلته وسماعه في العام الذي توفي فيه مالك. وقد رواه يحيى عن ابن وهب وغيره، وانتهت إليه الرئاسة بالأندلس فانتشر به الموطأ من روايته، كما انتشر به فقه مالك. قالوا: وإذا قيل الموطأ على الإطلاق فإنَّما يراد بها نسخة يحيى بن يحيى الليثي، وعدد أحاديث هذه النسخة (١٨٤٤)[٣]. وقد طبعت عدة طبعات.

أمَّا النسخة الثانية: فهي نسخة محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)، وفيه من الأحاديث والآثار (١٠٠٨)[٤]. وقد كتب الموطأ ورواه تلامذة مالك وأشهرهم: عبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ) والقعنبي (ت ٢٢١هـ) وغيرهم[٥].

---

(١) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٨١.

(٢) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ١/١٢ و٢٩. ويورد القصة التي رفض فيها الإمام مالك فرض علمه على الأمصار.

(٣) ينظر: المقدمة التي كتبها أحمد راتب عرموش في تحقيقه لـ«الموطأ» برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، بيروت، ١٩٧١، ص٥-١٢.

(٤) ينظر: المقدمة التي كتبها عبد الوهاب عبد اللطيف في تحقيقه لنسخة «الموطأ» برواية محمد بن الحسن الشيباني، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٦٧، ص١٩-٢٨.

(٥) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٥١-٢٥٢. السيوطي، تنوير الحوالك، ١/١١.

قائمة بمشاهير علماء الصحابة المدنيين من الفقهاء والمحدثين(١)

م/١ لتجـــنب التكـــرار في أسماء علماء الصحابة في الفقه والحديث رتبتهم في قائمة واحدة.

م/٢ روعي في ترتيب التسلسل كثرة رواية الحديث.

اسم الصحابي	عدد الأحاديث	سنة وفاته الهجرية	اسم الصحابي	عدد الأحاديث	سنة وفاته الهجرية
أبو هريرة الدوسي	٥٣٧٤	٥٨	عمران بن حصين	١٨٠	٥٢٢
عبد الله بن عمر	٢٦٣٠	٧٤	أبو الدرداء	١٧٩	٣٢
أنس بن مالك	٢٢٨٦	٩٣	بريدة بن الحصيب	١٦٧	٦٢
عائشة (أم المؤمنين)	٢٢١٠	٥٨	أبيّ بن كعب	١٦٤	٣٢
عبد الله بن عبّاس	١٦٦٠	٦٨	معاذ بن جبل	١٦٣	١٨
جابر بن عبد الله	١٥٤٠	٧٨	أبو أيوب الأنصاري	١٥٥	٥٢
أبو سعيد الخدري	١١٧٠	٧٤	عثمان بن عفان	١٤٦	٣٥
عبد الله بن مسعود	٨٤٨	٣٢	جابر بن سمرة	١٤٦	٧٦
عبد الله بن عمرو	٧٠٠	٦٥	أبو بكر الصديق	١٤٢	١٣
عمر بن الخطاب	٥٣٧	٢٣	أسامة بن زيد	١٢٨	٥٤
علي بن أبي طالب	٥٣٦	٤٠	ثوبان (مولى رسول الله ﷺ)	١٢٨	٥٤
أم سلمة (أم المؤمنين)	٣٧٨	٥٧	النعمان بن بشير الأنصاري	١١٤	٦٢
أبو موسى الأشعري	٣٦٠	٥٠	أبو مسعود الأنصاري	١٠٢	٤٠
البراء بن عازب	٣٠٥	٧٢	عبد الله بن أبي أوفى	٩٥	٨٦

(١) يــراجع للمزيد: ابن سعد، الطبقات، ليدن جـ٣ ق١ ص٢ وما بعدها، جـ٣ ق٢ ص١ وما بعدها، جـ٤ ق١ ص١، جـ٤ ق٢ ص٥ وما بعدها، خليفة – الطبقات، ص٤ وما بعدها، البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص٣ وما بعدها. ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٧٥ وما بعدها.

أبو ذر الغفاري	٢٨١	٣٢	كعب بن مالك	٨٠	٤٠
سعد بن أبي وقاص	٢٧١	٥٨	رافع بن خديج	٧٨	٧٣
أبو أمامة الباهلي	٢٧٠	٨٦	سلمة بن الأكوع	٧٧	٧٤
حذيفة بن اليمان	٢٢٥	٣٦	ميمونة (أم المؤمنين)	٧٦	٥١
سهل بن سعد	١٨٨	٩١	زيد بن أرقم الأنصاري	٧٠	٦٨
عبادة بن الصامت	١٨١	٣٤	عبد الرحمن بن عوف	٦٥	٣٣

قائمة بمشاهير علماء المدينة من الفقهاء والمحدثين من التابعين مرتبين على حروف المعجم[1]

م/١ لتجنب التكرار ولشهرة كثير من المحدثين بالفقه والعكس عملنا قائمة بأسماء المشهورين بالفقه والحديث معاً.

اسم التابعي	سنة وفاته الهجرية	اسم التابعي	سنة وفاته الهجرية
أبان بن عثمان بن عفان	ما بين ٩٩-١٠٥	عبد الرحمن بن يزيد بن جارية	٩٣
إسحاق بن عبد الله الأنصاري	١٣٢	عبد الله بن أبي بكر بن حزم	١٣٥
إياس بن سلمة بن الأكوع	١١٩	عبد الله بن دينار	١٢٧
أبو بكر بن عبد الرحمن	٩٤	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	٩٨
أبو بكر بن محمد ابن حزم	١٢٠	عروة بن الزبير بن العوام	٩٤
بسر بن سعيد	١٠٠	عطاء بن يزيد الليثي	١٠٧
أبو حازم سلمة بن دينار	١٣٥	عطاء بن يسار	١٠٣
خارجة بن زيد بن ثابت	١٠٠	علي بن الحسين بن علي	٩٤
ربيعة بن أبي عبد الرحمن	١٣٦	عيسى بن طلحة القريشي	١٠٠

(١) يراجع للمزيد: ابن سعد، الطبقات (ليدن) جـ٥، ص١ وما بعدها، خليفة الطبقات، ٢٣٠-٢٧٦ وما بعدها، البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٢ وما بعدها.

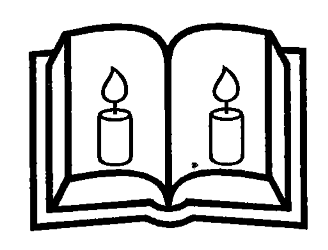
سالم بن عبد الله بن عمر	١٠٦	القاسم بن محمد	١٠٨
سعيد بن المسيب	٩٤	محمد بن علي بن أبي طالب	٨١
أبو سعيد (كيسان) المقبري	١٠٠	محمد بن مسلم الزهري	١٢٤
أبو سلمة بن عبد الرحمن	١٠٧	محمد بن المنكدر	١٢٠
أبو صالح (ذكوان) السمان	١٠١	نافع مولى ابن عمر	ما بين ١١٧ -١١٩
طلحة بن عبيد الله بن عوف	٩٧	هشام بن عروة	١٤٦
عبد الرحمن بن الحارث	١٤٣	وهب بن كيسان	١٢٧
عبد الرحمن بن هرمز	ما بين ١١٧- ١١٩		

قائمة بمشاهير علماء المدينة من الفقهاء والمحدثين من أتباع التابعين مرتبين على حروف المعجم[1]

اسم التابعي	سنة وفاته الهجرية	اسم التابعي	سنة وفاته الهجرية
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري	١٨٣	عبد العزيز بن محمد بن أبي عبيد	١٨٢
إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومي	١٦٩	عبد الله بن يزيد بن هرمز	١٤٨
ثور بن زيد الدؤلي	١٥٣	عاصم العمري	١٤٥
جعفر (الصادق) بن محمد بن علي	١٤٨	عمرو بن يحيى بن عمارة الأنصاري	١٤٠

(١) يراجع للمزيد: خليفة، الطبقات، ص٢٠٨ وما بعدها. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص١٢٧ وما بعدها.

الحارث بن عبد الرحمن بن المغيرة	١٤٦	فليح بن سليمان الأسلمي	١٤٨
خبيب بن عبد الرحمن الأنصاري	١٣٢	مالك بن أنس (الإمام)	١٧٦
الربيع بن مالك بن أبي عامر	١٦٠	محمد بن إسحاق بن يسار	١٥١
الزبير بن عثمان بن عبد الله القرشي	١٣٢	محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة (ابن أبي ذئب)	١٥٩
سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الزهري	١٢٦	محمد بن عجلان	١٤٨
سعيد بن عمرو بن سليم الأنصاري	١٣٤	محمد بن عمر بن واقد	٢٠٧
صفوان بن سليم الزهري	١٣٢	مصعب بن ثابت الزبيري	١٥٧
صالح بن كيسان	—	يحيى بن سعيد الأنصاري	١٤٣
عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن	١٣٧	يزيد بن عبد الله بن أسامة	١٣٩
عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر	١٢٦	يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة	١٨٣



الفصل الخامس

الفقه وأصوله

الفقه في اللغة: العلم بالشيء والفهم له، كما يعني إدراك غرض المتكلم من كلامه، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله[1]، وقد وردت لفظة الفقه في القرآن الكريم في أكثر من موضع تدل على هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النِّساء/٧٨)[2]. أمَّا المعنى الاصطلاحي للفقه فهو «العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب (المستنبط) من أدلتها التفصيلية»[3]. والمقصود بالأحكام الشرعية العملية «ما يتعلق بأفعال المكلفين خاصة، كالوجوب والحظر (الحرمة)، والإباحة، والندب، والكراهة، وكون القصد صحيحاً أو فاسداً، وكون العبادة قضاء أو أداء وأمثاله»[4].

ويرادف الفقه التشريع الذي هو: سنّ الشريعة وبيان الأحكام، وإنشاء القوانين، وتشريع الأحكام في الإسلام أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية[5].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فقه)، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ١/١١.

(٢) من الأماكن الأخرى التي وردت فيها آيات مماثلة: (التوبة/٨٧)، (الإسراء/٤٦) (هود/٩١) وورد قول النَّبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». البخاري، الصحيح، ١/٢٧.

(٣) الغزالي، المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق/١٣٢٢هـ، ١/٤-٥. التهانوي، كشاف اصطلاحات، مادة (فقه) ١/٢١ وما بعدها.

وينظر: شعبان محمد إسماعيل، أصول الفقه تاريخه ورجاله، الرياض، ١٩٨١، ص١٠-١١. شلبي، محمد مصطفى، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥، ص٣١-٣٢.

(٤) الغزالي، المستصفى، ١/٥. البخاري، علاء الدين عبد العزيز أحمد، (ت ٧٣٠هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي، بيروت، ١٩٧٤، ١/١٢. وينظر: زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، بغداد، ١٩٦٤، ص٣٩.

(٥) ينظر: السايس، محمد علي، تاريخ الفقه الإسلامي، مصر، ١٩٥٧، ص٥.

ووجه العلاقة بينهما أن كليهما يعنى بأمر الأحكام الشرعية، مع كون التشريع أو (الشريعة) أعم في بعض وجوهها. يقول الشاطبي(١): «إن معنى الشريعة أنها تحدّ للمكلفين حدوداً في أفعالهم وأقوالهم واعتقاداتهم...» لذا سندرس الفقه بمفهومه الأشمل من الناحية التاريخية.

فالفقه مثله كمثل العلوم الأخرى لم ينشأ مرة واحدة، بل تدرج في مراحل مختلفة حتى بلغ ما قُدّر له من نضج وكمال، على الرغم أنَّهُ استكمل أصوله الأساسية في عهد الرسول ﷺ وهي الكتاب والسنة. وسوف نتتبع نشأة الفقه الإسلامي وتطوره عبر هذه المراحل التي مرّ بها، ضمن مدة هذه الدراسة، وتتركز على ما يأتي:

١. الفقه في عهد الرسول ﷺ.
٢. الفقه في عصر الصحابة وكبار التابعين (القرن الأول الهجري إلى بداية الثاني).
٣. الفقه في عصر صغار التابعين وأتباع التابعين ويشمل ظهور أئمة الفقه في الأمصار الإسلامية المختلفة في القرن الثاني كله وما بعده إلى منتصف الثالث(٢).

---

(١) الموافقات، ٨٨/١.

(٢) عن هذا التقسيم يراجع: الذهبي، محمد حسين، الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة...، ط٢، دار التأليف، مصر، ١٩٦٨، ص٨-١٢. ويُقارن مع ما ذهب إليه الخضري والسايس وزيدان، من التقسيم السداسي لأدوار الفقه الإسلامي. وهي: ١. عهد الرسول ﷺ، ٢. عهد الخلفاء الراشدين، ٣. ما بعد الخلفاء إلى أوائل القرن الثاني للهجرة. ٤. أوائل القرن الثاني في منتصف الرابع. ٥. منتصف الرابع إلى سقوط بغداد، ٦. احتلال بغداد إلى الوقت الحاضر. الخضري، تاريخ التشريع، ص٤. السايس، تاريخ الفقه، ص١١. زيدان، المداخل، ص١٠٦-١٠٧.

أمَّا تقسيم محمد موسى، ومصطفى شلبي وغيرهما، فهو يعتمد التقسيم الرباعي لأدوار الفقه وهي: ١. دور النشأة (عهد الرسول ﷺ)، ٢. دور الشباب (الصحابة وكبار التابعين)، ٣. النضج والكمال (إلى منتصف ق٤هـ)، ٤. دور الشيخوخة (التقليد) حتى اليوم. موسى محمد يوسف، الفقه الإسلامي، مدخل لدراسته...، ط٣، مصر، ١٩٥٨، ص١٨-١٩. شلبي، المدخل في التعريف بالفقه، ص٤٩-٥٠.

الفقه في زمن الرسول ﷺ:

يعـــدّ عصـــر النبوة أساس التشريع في الإسلام، ففيه نزل القرآن الكريم، الذي تضمن الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية، فضلاً عن الأحاديث التي تصدر عن النَّبي ﷺ (الســنة)، رديفــاً للقرآن الكريم في التشريع، فالفقه إذن في هذا العصر هو فقه الوحـــي، وحـــتى المسائل التي اجتهد فيها رسول الله ﷺ أو اجتهد فيها أصحابه في حضرته أو غيبته ثمّ علمها فأقرها أو أنكرها تعتمد – كذلك – على الوحي؛ لأنَّ الله ﷻ إن أقـــرّ هذا الاجتهاد فهو تشريع بطريق الوحي، وإن ردّه فالمعتمد على ما أقره الوحي من تشريع[1].

ويمكن أن نقسم هذا الدور إلى قسمين: الفقه (التشريع) في مكة، والتشريع في المديـــنة، فأمَّا التشريع في مكة: «فمعلوم أن النَّبي ﷺ مكث في مكة نحواً من ثلاث عشرة سنة، وقد اتجه الوحي في هذه الحقبة إلى ناحية العقيدة والأخلاق، ولم يتعرض إلى الأحكام العملية إلاً قليلاً وبشكل كلي غالباً...»[2].

ولـــذلك نـــرى معظم ما نزل من القرآن في هذه المدة كان يقتصر على بيان أصول الدين والدعوة إليها، (أي مسألتي العقيدة والأخلاق)، كالإيمان بالله ورسوله والـــيوم الآخر. والأمر بمكارم الأخلاق كالعدل والإحسان، والوفاء بالوعد، وأخذ العفـــو، وتجنب مساوئ الأخلاق كالزنا، والقتل ووأد البنات، والتطفيف في الكيل والميـــزان.. الخ، وأمثلة ذلك من الآيات ما تضمن الدعوة إلى النظر والتدبر والتفكر في آيات الكون لكي تكون أدلة على الإيمان بالله[3].

---

(١) تفاصيل ذلك ينظر عند: الشاطبي، الموافقات، ٣/٣٤٥ وما بعدها. أيضاً: السايس، تاريخ الفقه، ص٥. موســى، الفقه الإسلامي، ص٢١. زيدان، المدخل، ص١٠٨، الموسوعة الفقهية/الكويت، (المقدمة)، ١/٢٣.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ٣/٤٦-٤٧.

(٣) من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ ﴾ ق/٦-٧ وما ورد في سورة الغاشية ١٦-٢٠، الذاريات/٢١، الحديد/٢٠، =

وأمَّا التشريع في المدينة وهي مرحلة ما بعد الهجرة النبوية، فإن ما نزل من القرآن فيها قد تضمن معظم آيات الأحكام. ذلك أن المدينة أصبحت نواة الدولة الإسلامية، وصار لها كيان دولي، فحينئذ مست الحاجة إلى التشريع العملي في أتم صورة(١) فشرعت العبادات(٢)، والجهاد، ووضعت الحدود، والعقوبات للجنايات المختلفة. وشرع نظام للقضاء وآخر للأسرة، وما يتعلق بها من زواج وطلاق ومواريث وما إلى ذلك، كما أنزلت الأحكام المتعلقة بالمعاملات، وحقوق الحاكم والمحكوم، وعلاقة الدول الإسلامية بغيرها. وعموماً فإن التشريع لهذا العهد لم يترك ناحية من نواحي الحياة إلاّ نظمها تنظيماً دقيقاً محكماً، ولم ينتقل الرسول ﷺ، إلى الرفيق الأعلى حتى تم التشريع، وطبقه عملياً في أكثر الأمور(٣)، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ (المائدة/٣). ومع ذلك فإن عدد آيات الأحكام الشرعية قليلة إذا ما قورنت بعدد آيات القرآن الكريم ففي القرآن أكثر من ستة آلاف آية، ما يتعلق منها بالأحكام نحو مائتين(٤).

إن بعض الأحكام الفقهية التي شرعت في المدينة واكبت تطور الجماعة

=

الزمر/٢٧ وغيرها كثير.

(١) خير ما يمثل التشريع العملي لهذا الدور هو سورتا البقرة والنساء المدنيتان، وما تضمنتا من أحكام.

(٢) من العبادات الركنية التي في المدينة: الزكاة، الصيام، الحج، الجهاد، ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ٢١٤/١، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٤٦/٢، ٣٤٧. أيضاً: الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق محيي الدين الجراح، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٣، الصفحات ١١٢، ١٢١، ١٢٢، ١٩٧.

(٣) ينظر لذلك من المراجع الحديثة: الخضري، تاريخ التشريع، ص٥ وص٣٧. مدكور، محمد سلام، مدخل الفقه الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٤، ص٦٨-٦٩. أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٢٧-٢٢٨. موسى، الفقه الإسلامي، ص١٩. شلبي، المدخل في التعريف بالفقه، ص٥٥-٥٩. زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، ص١٠٩.

(٤) ينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٢٢٨.

المسلمة وحاجات المجتمع الجديد، فكان نزول الآيات للأغراض الأساسية الآتية:

١. إما أثر حادثة من الحوادث.

٢. أو جواباً لسؤال يطرح على رسول الله ﷺ.

٣. أو أثر عمل يقوم به النَّبي ﷺ فينزل القرآن مؤيداً ومقراً، أو معدلاً.

٤. ورودها للضرورة.

فمثال الأول: ما ذكره زيد بن أسلم العدوي من أن «أهل يثرب إذا مات الرَّجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله، وكان يعضلها حتى يرثها، أو يزوجها من أراد...»(١). فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ (النِّساء/١٩).

ومثال الأمر الثاني: وهو ما نزل من القرآن إجابة عن أسئلة كان بعض المسلمين يتقدم بها إلى الرسول ﷺ حسب الحاجة إليها. وغالباً ما يكون هذا التنزيل مسبوقاً بكلمة «يسألونك» أو كلمة «يستفتونك» من هذه الآيات:

١. ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (البقرة/٢١٥).

٢. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ...﴾ (المائدة/٥).

٣. ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ...﴾ (الأنفال/١).

وغيرها بلغ عددها خمسة عشر موضعاً.

وكلمة يستفتونك جاءت في موضعين:

١. ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ (النِّساء/١٢٧).

٢. ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ ﴾ (النِّساء/١٧٦).

وأمَّا الأمر الثالث: أي ما كان يجتهد به الرسول ﷺ من عمل فينزل القرآن مؤيداً أو معدلاً، فعلينا أن نضع في بالنا أن الرسول ﷺ كان – في هذا الاجتهاد –

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن، ١/٤٦.

يستلهم ما نزل من القرآن، مع تقدير المصلحة، واستشارة أصحابه، ومن أجل ذلك يجب أن نجزم بأن التشريعات التي ظفر بها الإسلام في عهد الرسول ﷺ كانت إلهية: إمـــا عن طريق مباشر بنزول القرآن بها، وإمّا عن الرسول ﷺ في بادئ الأمر ثمّ يقره الله عليها[1].

ومن أمثلة ما حصل فيه التعديل، قصة أسرى بدر من المشركين، فقد استشار الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً ﷺ فيما يصنع بالأسرى، فكان رأي الصديق ﷺ أن يؤخذ الفداء من الأسرى، وكان رأي عمر أن يقتلوا لأنّهم صناديد الكفر وقادته[2]. فأنزل الله تعالى في صدد هذه المسألة هاتين الآيتين: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٧-٦٨).

إذن الرسول ﷺ اجتهد في هذه المسألة، واستشار أصحابه الأكرمين ثمّ أخذ بما أداه إلـــيه اجتهاده وهو موافق لرأي أبي بكر – ولم ينتظر حكم القرآن في ذلك – فكـــان نـــزول القـــرآن معدلاً لما رآه النَّبي ﷺ من الاجتهاد. ومثله: إذن النَّبي ﷺ للمتخلفين عن غزوة تبوك، بالبقاء في المدينة، بناء على ما ادعوه من أعذار[3]، وقوله ﷺ، للمـــرأة التي ظاهرها زوجها: «حرمت عليه»، فنزلت آيات الظهار التي نصت على الكفّارة لا الحرمة[4].

---

(١) ينظر: موسى، الفقه الإسلامي، ص٢١ بتصرف.

(٢) ينظـــر: تفاصـــيل ذلـــك: ابـــن هاشـــم، السـيرة النـبوية، ١/٦٧٦-٦٧٧. ابـــن حنـــبل، المسند، ١/٣٠-٣١.

(٣) نزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (التوبة/٤٣).

(٤) ينظـــر: تفســـير أوائل سورة المجادلة/١-٣ عند: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢٦٩ وما بعـــدها الزمخشـــري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل...، دار المعرفة، بيروت، بلا.ت، ٤/٦٩. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٨/٢٣٠ وما بعدها.

ومن الأمثلة الأخرى التي نزل فيها القرآن مؤيداً لما ذهب إليه رسول الله ﷺ ما نزل من القرآن في تأييد قضاء قضاه رسول الله ﷺ بين الزبير ورجل من الأنصار في شراح الحرّة[١]. وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النِّساء/٦٥).

والأمر الرابع: وهو ورودها للضرورة: فقد ترى الأحكام غير مسبوقة بسؤال ولا حادثة معينة ولكن الشارع يرى أن الأوان قد آن لتشريع هذه الأحكام لضرورتها للمجتمع الذي يريد تكوينه وإيجاده[٢]، ومن أمثلة ذلك بيان مقادير الزكاة، وبيان بعض العقوبات، وتفاصيل كثيرة في أحكام الأسرة، ومسألة الشورى في الحكم وغير ذلك.

مميزات الفقه في هذه الحقبة:

من المعلوم أن التشريع في الإسلام قام على أساس مراعاة مصالح النَّاس ودرء الأضرار والمفاسد عنهم، وهذا هو الأصل الكبير الجامع لجميع أحكام الشريعة الإسلامية[٣]، لذا فمن المميزات أو الملاحظات التي يمكن استنتاجها في هذا الدور ما يأتي[٤]:

١. رفع الحرج.
٢. تقليل التكاليف.
٣. التدرج في الأحكام.

فالأول: وهو رفع الحرج، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(١) وخلاصة القضاء أن الرسول ﷺ، قضى للزبير وقال له: «... اسق ثمَّ احبس الماء حتى يرجع الى الجدر، قال: فقال الزبير: إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك» ينظر تفاصيل الخبر عند: مسلم، الصحيح، (باب الفضائل)، ٦/٩١. ابن ماجة، السنن (المقدمة)، ١/٧. ابن كثير، تفسير القرآن، ١/٥٢٠-٥٢١.

(٢) زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، ص١١٠.

(٣) زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، ص١١١.

(٤) ينظر تفاصيل ذلك عند: الشاطبي، الموافقات، ٢/١٣٦ وما بعدها.

(الحج/٧٨) وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة/١٨٥) وقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة/٢٨٦)، فهذه النصوص صريحة تدل على أن الشارع ما يريد بعباده إلاّ التيسير والتخفيف ولا يريد بأحكامه التضييق والتشديد. وقد جاء في الأحاديث ما يدلل على ذلك منها قول النّبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[1].

وما روته عائشة (رضي الله عنها) قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن فيه إثماً...»[2] ولأجل ذلك شرعت أمور تعبدية تقوم على رفع الحرج، كالتيمم للصلاة عند عدم وجود الماء، وإباحة الفطر للمسافر، وإباحة ما حرم عند الضرورة[3].

والثاني: تقليل التكاليف، وهو نتيجة لازمة لعدم الحرج لأنّ في كثرة التكاليف إحراجاً وهناك بعض الأمور المباحة، سكت عنها القرآن، ونهى عن السؤال عنها لتقليل التكاليف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (المائدة/١٠١). ومما ورد في السنة عن تقليل التكاليف ما أمكن التقليل، ما روي عن أبي هريرة أنَّهُ سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنَّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلتهم واختلافهم على أنبيائهم»[4].

ولما سئل ﷺ عن الحج: «أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: لو قلت نعم

---

(١) البخاري، الصحيح (كتاب الإيمان)، ١٦/١. الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٣٩٦هـ، ٨٩/١.

(٢) البخاري، الصحيح (كتاب الأدب)، ٣٦/٨-٣٧ (كتاب الحدود)، ١٩٨/٨-١٩٩. مسلم، الصحيح (باب الفضائل)، ٨٠/٦. أبو داود، السنن، ٢٥٠/٤ رقم الحديث (٤٧٨٥).

(٣) ينظر تفاصيل ذلك عند: الشاطبي، الموافقات، ٣٠/٤-٣١. المرغيناني، الهداية، ٢٥/١ و١٢٦، ٦٧/٤ وما بعدها. أيضاً: الخضري، تاريخ التشريع، ص١٧-١٨ مذكور، مدخل الفقه، ص٧٣.

(٤) مسلم، صحيح، (باب الفضائل)، ٩١/٦، ويلفظ مقارب عند: ابن ماجة، سنن (المقدمة)، ٣/١.

لوجبت ولما استطعتم...»[١]، ولذلك ورد في الحديث عدم الإكثار من المسألة عن الحلال والحرام في العهد النبوي حتى لا يحرم شيء لم يحرم، قال ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته»[٢].

والثالث: التدريج في الأحكام (التشريع): اقتضت حكمة الشارع في الإسلام أن تكون أحكامه تدريجية، ذلك أن الوسط الاجتماعي الذي نزل فيه القرآن قد استحكمت فيه بعض العادات الضارة التي تتطلب الحكمة إبعادهم عنها بالتدريج، والتدرج صار على نوعين الأول زمني أي طيلة عصر النبوة، والثاني: تدرج قليل ثمّ أصبح له صفة الكمال[٣].

ومثال ذلك ما يتعلق بتحريم الخمر الذي تم على مراحل ثلاث:

١. بيان ما فيها من الضرر دون تشديد ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ (البقرة/٢١٩).

٢. النهي عن إتيان الصَّلاة في حالة السكر دون نهي قاطع: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النِّساء/٤٣).

٣. التصريح بحكم قاطع في النهي قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ...﴾ (المائدة/٩٠)[٤].

ومن الأمثلة الأخرى التي شهدت التدرج في الأحكام، الجهاد وقتال الأعداء،

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين، ٧١/١.

(٢) البخاري، الصحيح، (باب الاعتصام)، ١١٧/٩. مسلم، الصحيح، (باب الفضائل)، ٩٢/٦. ابن عبد البر، جامع البيان، ١٤١/٢. ابن القيم، أعلام الموقعين، ٧٠/١-٧١. ونسنك، المعجم المفهرس، (مادة جرم)، ٣٣٨/١.

(٣) ينظر لذلك: الخضري، تاريخ التشريع، ١٩-٢٠. زيدان، المدخل لدراسة الشريعة، ص١١١-١١٢. شلبي، المدخل في التعريف بالفقه، ص٧٦-٧٨، وغيرها.

(٤) الشاطبي، الموافقات، ٣٤٩/٣. ابن كثير، تفسير القرآن، ٩٢/٢-٩٥.

ففي بداية الإسلام عندما كان المسلمون قلة أمروا بالصبر والعفو والإعراض عن الأعداء كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (الأنعام/١٠٦)، ثمَّ لما قوي المسلمون أذن لهم بالقتال دفاعاً عن النفس، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج/٣٩). ثمَّ جعل القتال فرضاً لازماً قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ...﴾ (البقرة/١٩٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ (الأنفال/٣٩)[(١)].

الفقه في عهد الصحابة وكبار التابعين في المدينة:

بعد وفاة الرسول ﷺ بدأ عصر الصحابة ومنهم الخلفاء الراشدون. اتسم هذا العصر بسمات عامة أثرت فيه وتأثر بها، منها:

١. إن رقعة الإسلام امتدت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، إذ فتح الله على المسلمين بلدان كثيرة كالعراق ومصر والشام وأفريقيا وفارس، وما وراء النهر... وغيرها[(٢)].

٢. إن الدولة الإسلامية شملت بيئات مختلفة وحضارات متعددة. فكانت هناك أمور مستجدة نتجت عن امتزاج المسلمين بغيرهم، فواجه الفقهاء الأوائل أحداث جديدة تتعلق بالمعاملات، وتنظيم الصلات بين الأفراد والجماعات داخل الدولة الإسلامية، وبين المسلمين وغيرهم من أهل البلدان الأخرى.

٣. ونتيجة لهذا التمازج فقد هاجر بعض الصحابة من المدينة وغيرها من مدن الجزيرة العربية إلى الأمصار الجديدة. وأيضاً جاء إلى المدينة – وغيرها – أناس من أهل البلاد المفتوحة ممن كانوا يأخذون العلم من أهل المدينة

---

(١) ينظر لذلك: ابن كثير، تفسير، ١/٢٢٦-٢٢٧، ٢/١٦٣ و٣٠٨-٣٠٩، ٣/٢٢٤-٢٢٥.

(٢) ينظر لذلك: على سبيل المثال: البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٥ وما بعدها، ص٢١٤ وما بعدها، ص٢٤٢ وما بعدها، ص٣٠٠ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٣/٣٩٤، ٤١٥، ٤٨٠، ٥٩٨، ٦٠٥، ٤/٥، ٥٣، ٧٩، ٨٣، ١٠٤، ١١٤، ١٤٦، ١٧٣، ١٨٠ وغيرها.

(خاصة).

هــذا الظرف الجديد احتاج إلى أن يتحمل الصحابة ﷺ المدنيون منهم، تبعة إبلاغ النَّاس أمانة العلم والفقه، مما وقفوا عليه من فهمهم للقرآن وما عرفوه من سنة رسول الله ﷺ وما اجتهدوا فيه مما هو ليس موضع نص، ذلك أن الحوادث والنوازل الكـــثيرة أصبحت تتطلب أحكاماً لها، وظهرت مشاكل تتطلب حلولها، وأن المأثور من تشريعات من عصر الرسول ﷺ وأحكامه وأقضيته أصبح غير واف بهذه الحوادث والمعاملات التي تزيد وتتجدد كل يوم، قال الشاطبي، في ذلك: «إن الشريعة لم تنص علـــى حكم كل جزئية على حدتها، وإنما أتت بأمور كلية، وعبارات مطلقة تتناول أعداداً لا حصر لها...»[1]، فكان أن برزت مصادر جديدة للفقه (التشريع) في أول عصر الصحابة أهمها الاجتهاد والإجماع، فضلاً عما ورث من عصر الرسول ﷺ، من مصـــدري الفقه الأساسيين وهما الكتاب والسنة، اللذين بقيا كذلك لجميع العصور اللاحقة.

مصادر الفقه:

كان المصدر الأول للأحكام الفقهية في هذا العصر هو كتاب الله وسنة الرسول الكـــريم ﷺ، فكـــان منهج الصحابة ﷺ للتعرف على أحكام الوقائع التي تحدث أن يبحثوا عن حكمها في كتاب الله. ثمَّ في سنة رسول الله ﷺ، فإذا لم يجدوا في القرآن والســـنة لجـــؤوا إلى مصادر جديدة، تسعفهم، فظهر الاجتهاد بأهم ركنيه: القول بالرأي، والقياس، والاجتهاد لغة مأخوذ من الجهد، وهو المشقة أو الوسع أو الطاقة، وهو في الاصطلاح «بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي»[2]، والواقع فإن الاجـــتهاد بالـــرأي فـــيما ليس فيه نص من القرآن والسنة النبوية قد ورد من عهد الرســـول ﷺ: فعـــندما بعـــث النَّبي ﷺ معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن سأله: «بماذا تقضـــي؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رســـول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو...

(١) الشاطبي، الموافقات، ٤/٩٢.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جهد). الموسوعة الفقهية، ١/١٨-١٩.

قـال النَّبي ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله...»[١].
وكـان الاجـتهاد في عهد الصحابة في المدينة المنورة قليلاً نظراً للحاجات القليلة المسـتجدة في المديـنة، قياسـاً عما هو عليه الحال في الأمصار الأخرى كالكوفة والبصرة وغيرها.

وممـن اجـتهد من أهل المدينة في عهد الصحابة: الخلفاء الراشدون وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عبَّاس وابن عمر وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة الدوسي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، ورافع بن خديج، وأبو واقـد الليثـي، وفضالة بن عبيد الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي، وأبو طلحة الأنصاري والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب ﷺ وغيرهم[٢].

الإجماع مصدر فقهي في عصر الصحابة:

الإجماع لغة هو: الاتفاق والعزم على الشيء يقال: أجمع الجماعة إذا اتفقوا... أمَّـا اصطلاحاً فالإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحلّ والعقد من أمة محمد ﷺ في عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع[٣]. وقد ورد عن النَّبي ﷺ قوله: «لا تجـتمع أمتي على الضلالة أو على الخطأ»[٤] وقوله: «يد الله مع الجماعة»[٥] ومن معاني ذلك أن الأمة (ممثلة بولاة أمورها) لا تجتمع على الخطأ في الأحكام فاتفاقها على الحكم يكون إجماعاً تقوم به الحجة.

والإجماع ظهر في عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ وذلك لأنَّ الصحابة «لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل ترك السنة، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحد أخذ

---

(١) ابـن حـزم...، ملخـص إبطال القياس والرأي والاستحسان...، تح. سعيد الأفغاني، دمشق، ١٩٦٠، ص١٢. الآمدي، سيف الدين علي بن محمد، (ت ٦١٣هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة المعارف، مصر، ١٩١٤، ٤٩٣/٢.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٦ وما بعدها، وينظر أيضاً في هذا الفصل تراجم فقهاء الصحابة.

(٣) الغزالي، المستصفى، ١٧٣/١. الآمدي، الإحكام، ٢٨١/١-٢٨٢.

(٤) الغزالي، المستصفى، ١٧٥/١. الآمدي، الإحكام، ٣١٣/١.

(٥) الغزالي، المستصفى، ١٧٥/١. الآمدي، الإحكام، ٣١٣/١.

بالسنة»[١].

ومن أمثلة الإجماع زمن الخلفاء الراشدين نجد أن الخليفة أبا بكر الصديق ﷺ إذا عرض عليه أمر يتطلب حكماً شرعياً «فإن لم يجد في الكتاب نصاً ولا عند النَّاس سنة فإنَّه كان يجمع النَّاس ويستشيرهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضي به»[٢] وممن كان يستشيرهم الخليفة أبو بكر ﷺ من الصحابة ممن هم أهل للاجتهاد - وبالتالي يكون اتفاقهم على أمر ما هو إجماع ملزم - ما روي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه «أن أبا بكر ﷺ كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي والفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ﷺ فمضى أبو بكر على ذلك»[٣].

وكذلك فعل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من بعد أبي بكر «فكان يدعو هؤلاء النفر الستة»[٤]. لذا يمكن أن نعدّ هؤلاء أشهر مجتهدي الأمة في النصف الأول من عهد الخلفاء الراشدين، وبقولهم واجتهادهم يتحقق الإجماع، ثمّ صار الإجماع بعد ذلك حجة في كل عصر من العصور. يقول الإمام الغزالي عن حجية الإجماع: «وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا لم يدفعها أحد من أهل النقل من سلف الأمة وخلفها، بل هي مقبولة من موافقي الأمة ومخالفيها ولم تزل الأمة تحتج بها في أصول الدين وفروعه»[٥].

يظهر مما تقدم أن الصحابة اعتمدوا في فتاواهم على أربعة أشياء هي مصادر التشريع في ذلك العصر:

١. الكتاب.

٢. السنة.

---

(١) الدارمي، السنن، ١/١٥١. وينظر: حمد الكبيسي وصبحي محمد جميل، أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، ص١٠٥. الذهبي، الشريعة الإسلامية، ص١٠.

(٢) الخضري، تاريخ التشريع، ص١٠٥. الذهبي، الشريعة الإسلامية، ص١٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٥٠. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤٠-٤١.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤١.

(٥) الغزالي، المستصفى، ١/١٧٥-١٧٦.

٣. الإجماع.

٤. الرأي والاجتهاد[1].

وإذا نظرنا في المصادر الأخرى للتشريع عدا ما هو في الكتاب والسنة نلاحظ ما يأتي:

١. إن الإجماع كان يتم بعد مناقشة تكون بين كبار مجتهدي المدينة وعلى رأسهم الخليفة، وبعد أن تطرح الأفكار التي تعبّر عن اجتهادهم وآرائهم، فإن الرأي الذي يستقرون عليه بعد المناقشة يكون إجماعاً. ومما هو جدير بالملاحظة أن الإجماع عند الإمام مالك ينعقد بأهل المدينة فقط[2]. إن الإجماع كان أكثر ما يكون في المسائل العامة، مثل مسألة قسمة أراضي السواد في عهد الخليفة عمر ﷺ على الفاتحين من عدمها، والذي استشار فيه الخليفة عمر ﷺ كبار فقهاء الصحابة، فاستقر الأمر على إبقائها بيد أصحابها وفرض الخراج عليها[3].

٢. إن الاجتهاد بالرأي والذي ظهر في هذا العصر كمصدر مستقل للفقه، كان يتبعه اختلاف في نتائج الفتوى كل حسب اجتهاده، فكان من نتائج ذلك تنوع الحلول للمسائل، وبالتالي ازدهار الفقه وخصوبته.

٣. إن الاجتهاد والإجماع لم يكونا مقدمين على نص من الكتاب أو السنة، وهذا واضح مما رواه ميمون بن مهران عن فعل الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر (رضي الله عنهما): إذ يقول: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي قضى به، وإن لم يجد نظر في سنة رسول الله ﷺ فإن وجد فيها ما يقضي به قضى به.. فإن لم يجد سنة

---

(١) البهاري الهندي، محب الدين بن عبد الشكور (ت ١١١٩هـ)، مسلم الثبوت، نشره فرج الله زكي، مطبعة كردستان العلمية، ١٣٢٦هـ، ص٢. وينظر:
Sharif, M. Muslim Thought Its Origin and Achievements, Lahor, Pakistan, P.٩-١٠.

(٢) البهاري الهندي، مسلم الثبوت، ص١٨٢. أيضاً: الغزالي، المستصفى، ١/١٨٧.

(٣) ينظر تفاصيل ذلك: أبو يوسف، الخراج، ص٢٤-٢٧ وص٣٥. وينظر: ترجمة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد قليل.

سنها النَّبي ﷺ جمع رؤساء النَّاس فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به وكان عمر يفعل ذلك...»[١].

سمات الفقه في عهد الصحابة ﷺ بالمدينة:

اتسم الفقه في زمن الصحابة بالخصوبة والثراء ولا سيما في المدينة المنورة حيث جلة الصحابة الذين مكثوا فيها مدة من الزمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، فإذا ما عرفنا أن رسول الله ﷺ مات وترك بالمدينة المنورة اثني عشر ألف صحابي، مات منهم فيها عشرة آلاف، وتفرق في سائر الأقطار نحوٌ من ألفين[٢]. أدركنا خضم الحركة العلمية – الفقهية في المدينة في عهدهم (أي الصحابة). ومما قيل بشأن منزلة الصحابة العلمية – الفقهية: «إن أكثر أصحاب رسول الله ﷺ الذي صحبوه ولازموه كانوا فقهاء وذلك أن طرق الفقه في حق الصحابة خطاب الله تعالى وخطاب رسول الله ﷺ، وما عقل منهما، وأفعال رسول الله ﷺ، وما عقل منها، فخطاب الله ﷻ هو القرآن وقد أُنزل ذلك بلغتهم... فعرفوا مسطوره ومفهومه ومنصوصه ومعقوله.. وخطاب رسول الله ﷺ بلغتهم يعرفون معناه ويفهمون منطوقه وفحواه...»[٣].

والواقع أن الصحابة ليسوا سواء في العلم أو الفتيا فهم على كثرتهم ذكر العلماء منهم جماعة زادوا على المائة، قال ابن القيّم: «والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم في الفتوى سبعة: عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعائشة وزيد بن ثابت وعبد الله بن عبَّاس وعبد الله بن عمر.. والمتوسطون منهم أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص،

---

(١) ابن القيّم، أعلام الموقعين، ١/٦٢.

(٢) ينظر عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ١/٤٦، ونص روايته التي نسبها لمالك. قال: «انصرف رسول الله ﷺ من غزوة كذا في نحو كذا وكذا ألفاً من الصحابة، مات بالمدينة منهم نحو عشرة آلاف، وباقيهم تفرق بالبلدان».

(٣) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٥.

وجابر بن عبد الله وغيرهم...، والباقون منهم مقلون في الفتيا...»[١] وبسبب هذا التباين في كثرة الفتوى وقلتها يعود إلى اختلاف الصحابة في كثرة الملازمة وقلتها، وتقدم وفاة بعضهم، بحيث لم يحتج إلى فتواهم لقلة ما عرض عليهم من مسائل تحتاج إلى فتوى[٢].

ولكن على العموم كان اهتمام الصحابة بالفقه كبيراً خصوصاً في مجالسهم العلمية، وقد عبّر عن ذلك الصحابي أبو سعيد الخدري ﷺ بقوله: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا يتحدثون، كان حديثهم الفقه...»[٣]، لذا اشتهر عدد كبير منهم بالفقه، وسنذكر بعض أعلامهم، فمنهم:

الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ (ت ١٣هـ):

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم... إمام الأئمة وخليفة رسول الله ﷺ[٤].

وفي الجانب العلمي الفقهي: كان أبو بكر ﷺ من أعلم الصحابة، قدّمه رسول الله ﷺ للصلاة بالناس في مرضه، وقد قال عليه الصّلاة والسلام: «ليؤمكم أقرأكم لكتاب الله ﷻ، فإن كنتم في القراءة سواء فأعلمكم بالسنة... الخ الحديث»[٥]. إذن كان أبو بكر ﷺ على جانب من العلم بكتاب الله وسنة النَّبي ﷺ وهما المصدران الأساسيان في التشريع الإسلامي. وكان النَّبي ﷺ يستشيره في بعض الأمور الدنيوية التي لم ينزل فيها حكم الله.

وكان لأبي بكر ﷺ اجتهادات فقهية مهمة جداً على مستوى الأمة نذكر منها:

١. قتال مانعي الزَّكاة: فيه دليل على قوته في الاجتهاد ومعرفته بوجوه

---

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين، ١٢/١.

(٢) عن سبب اختلاف علوم الصحابة، يراجع: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٣٧٦/٢. المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٨٦/١٠-٢٨٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٣٧٤/٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١١٩/٣. ابن قتيبة، المعارف، ص٧٣، البستي، مشاهير، ص٤.

(٥) عن إمامة أبي بكر للمسلمين بالصلاة وشروط إمامة الصَّلاة عند: البخاري، الصحيح، ٧٢/١، وما بعدها، ونص الحديث أعلاه عند: مسلم، الصحيح، ١٣٣/٢.

الاستدلال ما لم يصل إليه غيره، فإنَّه روي أن عمر ﷺ ناظره فقال له: «يا أبا بكر كيف تقاتل النَّاس وقد قال رسول الله: أمرت أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلاَّ بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكـــر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصَّلاة والزكاة فإن الزَّكاة حق المال،... ولو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر ﷺ: والله ما هو إلاَّ أني رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنَّهُ حق»[1].

٢. جمع القرآن الكريم: وكان ذلك بعد المعارك التي خاضها المسلمون ضد المرتدين. فقد استشهد في تلك المعارك كثير من حفظة القرآن ولا سيما في معـــركة الـــيمامة، وبالرغم من أن الفكرة طرحت من قبل سيدنا عمر بن الخطـــاب ﷺ فقـــد تردد الخليفة أبو بكر ﷺ أول الأمر وقال: «إنَّما أنا متبع ولســـت بمبـــتدع...» لكـــنه اجتهد ورأى ضرورة جمع القرآن في مثل تلك الظروف، فكان هذا العمل أساساً لجمعه وتدوينه ثانية في عهد الخليفة عثمان — كما أشرنا من قبل —[2] وله اجتهادات فقهية أخرى لا يسع المجال لذكرها.

الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ:

ابـــن نفـــيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله العدوي... (ت ٢٣هـ) ولي الخلافـــة بعد أبي بكر ﷺ وكانت ولايته عشر سنين وأشهراً، وكان من أجلاء فقهاء الصـــحابة، ومـــن مكانته العلمية في الفقه أنَّهُ كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ[3]، ومن اجتهاداته في الفقه في خلافته نذكر:

١. أنَّـــهُ لم يقسم أرض السواد على الذين أسهموا في عمليات التحرير بل أبقاهـــا بأيـــدي أصحابها وفرض عليها الخراج. (كما سبقت الإشارة). قال أبو يوسف عن صواب رأي عمر وصحة اجتهاده: «والذي رأى عمر ﷺ من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عندما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك

---

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٧.

(٢) يراجع فصل علوم القرآن.

(٣) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٩.

توفيقاً من الله فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين...»[1].

٢. إنَّهُ أوقف العمل بسهم المؤلفة قلوبهم وهم الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠ ﴾ (التوبة/٦٠). ومعلوم أن هؤلاء أعطاهم الرسول ﷺ ليتألف قلوبهم ويستميلهم إلى الإسلام ويقوي إيمانهم[2]، وبقي الأمر كذلك في عهد الرسول ﷺ وأبي بكر ﷺ، فلما جاء عمر ﷺ لم يعط شيئاً من الزَّكاة للمؤلفة قلوبهم وذلك لاجتهاده بأن علة الحكم في إعطائهم من الزَّكاة قد زالت، إذ أن المسلمين في زمانه كثر عددهم وقويت شوكتهم وصارت لهم دولة قوية مرهوبة الجانب... وهو في واقعه عدم التطبيق لا إلغاء أو نسخ كما رآه البعض[3].

٣. ومثل ذلك إيقافه العمل بحدّ السرقة في عام الرمادة؛ لأنَّ النَّاس كانوا في ضـيق شـديد جداً مما جعل تلك الظروف من قبيل الضرورات التي تبيح المحظورات[4].

ومـن أدلة علمه وفقهه، الرسالة القيمة التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري، والـتي حملت الكثير من المبادئ القضائية والفقهية، مثل الاجتهاد واستنباط القياس، فضلاً عن التزام منهج الكتاب والسنة، ومما جاء فيها: «أمَّا بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة، فافهم فيما أدلي إليك... البينة على من ادعى واليمين على من أنكـر، والصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، والفهم الفهـم فيها تلجلج في صدرك مما ليس في نص كتاب ولا سنة، ثمَّ اعرف الأشكال

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص٢٧ مع تفاصيل ص٢٣-٢٧. أيضاً: ابن الجوزي، مناقب عمر، ص٩٢-٩٣.

(٢) عـن أسماء المؤلفة قلوبهم في عهد الرسول ﷺ وكم أعطاهم ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢/٤٩٢-٤٩٣. الطبري، تاريخ، ٣/٨٦-٩٤.

(٣) ينظر لذلك: أبو عبيد، الأموال، ص٥٥٨-٥٥٩.

(٤) تفاصيل ذلك عند: ابن القيم. أعلام الموقعين، ٣/٧-٨.

والأمثال فقس الأمور عند ذلك بأشبهها بالحق...»[1].

زيد بن ثابت ﷺ:

كان زيد بن ثابت من المكثرين في الفتوى من الصحابة[2]، وعدّه ابن قيم الجوزية كذلك عندما قال: «كان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر»[3]. ورُويَ عن الإمام أحمد عن طريق الشعبي عن مسروق قال: «كان ستة من أصحاب النَّبي ﷺ يفتون النَّاس فيأخذون بفتياهم، وإذا قالوا قولاً انتهوا إلى قولهم...» وذكر منهم زيد بن ثابت، وقال: «وكان زيد يدع قوله لقول أبيّ»[4].

كان زيد بن ثابت ممن يستفتى ويؤخذ برأيه ومشورته في عهد أبي بكر الصديق من بين بضعة رجال من المهاجرين والأنصار، وكذلك كان في عهد الخليفتين، عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)[5]، يقول سليمان بن يسار: «كان عمر وعثمان لا يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة»[6].

ويعدّ زيد بن ثابت إلى جانب عبد الله بن عمر من أساطين مدرسة المدينة الفقهية من الصحابة، يقول ابن القيم: «فأمَّا أهل المدينة فعلمهم عن زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر»[7]، وإن علم زيد بن ثابت كان أساساً لعلم مشاهير التابعين من أهل المدينة، فقد «أخذ عن زيد عشرة من فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب وأبو

---

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٣٩-٤٠. وقد شرحها ابن القيم شرحاً وافياً في كتابه، أعلام الموقعين، ١/٨٥ وما بعدها.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣١٩.

(٣) ابن القيم، أعلام الموقعين، ١/١٢.

(٤) أحمد بن حنبل، العلل في معرفة الرجال، القاهرة، ١٩٦٣، ١/٢٧٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات (بيروت)، ٢/٣٥٠.

(٦) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤٦.

(٧) ابن القيم، أعلام الموقعين، ١/١٢.

سلمة بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وأبان بن عثمان، وقبيصة بن ذؤيب ﷺ»[1].

كان زيد بن ثابت يركز على الفتوى في القضايا التي وقعت فعلاً، ويستند في فتاواه إلى القرآن والسنة إن وجد فيهما ما يحل الإشكال، وكان يستند إلى رأيه في المسائل التي لم يرد فيها نص قرآني أو حديث نبوي[2].

وعائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها):

لها نشاطها الفكري المعهود في الفقه: فقد كانت من أشهر أهل المدينة علماً وفقهاً، وقد ساعد على ذلك عوامل عدة منها: كونها زوجة الرسول ﷺ، وطول عمرها، وحدة ذكائها، فضلاً عمَّن روى عنها من مشاهير العلماء من أهل بيتها أمثال: عروة بن الزبير وهو ابن أختها والقاسم بن محمد بن أبي بكر وهو ابن أخيها وغيرهم. وكان على روايتها المعول في معرفة ما كان رسول الله ﷺ، يفعل في بيته، وكان الصحابة يلتجئون إلى فتاواهم في المسائل الخاصة، فقد أفتت في وجوب الغسل عند الإكسال، وأفتت بعدم نقض المرأة لضفائرها عند الغسل من الجنابة، وأن النَّبي ﷺ كان يصبح جنباً من غير طهر ثمَّ يصوم[3]، وقد اختلف بعض الصحابة في هذه المسألة، وأفتت في أمور كثيرة أخرى استدراكاً منها على بعض الصحابة، كاستدراكها تحريم زواج المتعة، وصلاة النَّبي بالليل في رمضان وغيره[4]، وأمور أخرى، وكان عروة يشيد بمنزلتها فيقول لها: «يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر...»[5].

(١) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٤٧.

(٢) ينظر: الدارمي، السنن، ١/ ٥٠ و٧٥. الدوري، زيد بن ثابت، ص٢١٧.

(٣) الزركشي...، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تح. سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩، ص٨٥-٨٧، ص١٢٣، ص١٢٤، ١٧٣، ص١٨٢ وما بعدها.

(٤) الزركشي...، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تح. سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩، ص٨٥-٨٧، ص١٢٣، ص١٢٤، ١٧٣، ص١٨٢ وما بعدها

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢/ ٥٠.

عبد الله بن عمر بن الخطاب:

كان من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الفتوى، وكان شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، وكان شديد التمسك بنصوص الكتاب والسنة، ومن حرصه على لزوم السنة في فتواه يقول أبو جعفر محمد بن علي (رحمه الله): «لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أحذر إذا سمع من رسول الله ﷺ شيئاً ألاَّ يزيد فيه ولا ينقص منه من عبد الله بن عمر»[1].

وعرف أيضاً تريثه في الفتوى، روي أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه... فقال له: يرحمك الله أمَّا سمعت مسألتي قال: «بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألوننا عنه اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم مسألتك...»[2].

مشاهير الفقهاء من التابعين بالمدينة:

في عهد التابعين (النصف الثاني من القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة)، سار الفقه على ما كان عليه الحال في عهد الصحابة، وذلك لأنَّ التابعين تلقوا الفقه عنهم، وساروا على منهاجهم في استنباط الأحكام ومن أعلامهم:

محمد بن علي بن أبي طالب المدني الهاشمي (ت ٨١هـ):

المعروف بابن الحنفية، وهي أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة. أخذ العلم عن أبيه وعن عثمان وعمار وأبي هريرة وابن عباس، وغيرهم من الصحابة ﷺ، وروى عنه أولاده، إبراهيم والحسن وعبد الله (أبو هاشم)، وعمر وعون، وابن أخيه محمد بن عمر بن علي وحفيد أخيه محمد بن علي بن الحسين (الباقر)،... وعطاء بن أبي رباح... ومحمد بن قيس بن مخرمة... وغيرهم[3].

كان من أفاضل أهل البيت، وكان رجلاً صالحاً تابعياً ثقة، وقد أشاد بمكانته

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٤ ق١ ص١٠٦ وص١٢٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٤ ق١ ص١٠٦ وص١٢٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٨٥/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٨٨/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٥٤/٩.

العلميـة الفقهيـة الكثير من العلماء، فذكر العجلي قوله: «حدثنا أبو مسلم قال: حـدثني أبي قال: سأل رجل ابن عمر عن مسألة فقال له: سل محمد ابن الحنفية ما يقول؟ ثمَّ أخبرني: فسأله عنها ثمَّ أخبره، فقال ابن عمر: أهل بيت مفهمون»[١].

أسند الحديث عن رسول الله عن طريق أبيه، قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: «لا نعلـم أحـداً أسـند عن علي عن النَّبي ﷺ أكثر ولا أصح مما أسند محمد ابن الحنفـية»[٢]. ورُويَ عنه أنَّهُ قال: «الحسن والحسين خير مني وأنا أعلم بحديث أبي مـنهما»[٣]، أقام بالطائف حيناً، ثمَّ عاد إلى المدينة، وبنى داره بالبقيع وفي سنة ٧٨ هجرية شخص إلى الشام على عبد الملك، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة (٨١هـ) على الأرجح[٤].

سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ):

كـان سـعيد من مشاهير المفتين في المدينة المنورة، حتى قيل إنَّهُ «كان يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء[٥]، وكان رأس من بالمدينة في دهره المتقدم عليهم في الفـتوى[٦]». أخـذ سعيد بن المسيب الكثير من فقهه وعلمه عن عبد الله بن عمر وزيـد بـن ثابت اللذين كانا بمثابة إمامي مدرسة المدينة المنورة من الصحابة وقد تـبلورت معـالم هذه المدرسة في عهد التابعين، وكان إمامها سعيد بن المسيب، «وتهـتم هـذه المدرسة بالبحث عن النصوص أكثر من البحث عما بها من ضوابط وعلل...»[٧].

وتشـهد لسعيد مواقف كثيرة تظهر مدى التزامه النصوص الواردة في الكتاب

---

(١) العجلي، معرفة الثقات، ٢٤٩/٢. البستي، مشاهير، ص٦٢.

(٢) النووي، تهذيب، ٨٨/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٥٤/٩.

(٣) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٢.

(٤) العجلـي، معرفة الثقات، ٢٤٩/٢. النووي، تهذيب الأسماء، ٨٨/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٥٤/٩.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٨٩/٥-٩٠. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٢٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٨٩/٥-٩٠. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٢٥.

(٧) هاشم جميل، فقه الإمام سعيد بن المسيب، ١٣٥/١. وفيه تفاصيل عن فقه الإمام سعيد.

والسنة في الفتوى، منها: ما رواه مالك (الإمام) عن ربيعة بن عبد الرحمن قال: «سألت سعيد بن المسيب: كم في إصبع المرأة؟ فقال: عشر من الإبل، قلت كم في إصبعين؟ قال: عشرون... فقلت كم في ثلاث؟ قال: ثلاثون. فقلت: كم في أربع؟ قال: عشرون من الإبل، فقلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها؟.. فقال سعيد،... إنها السنة...»[1].

ومع تشديد سعيد بن المسيب على عدم الأخذ بالرأي فإنَّما ذلك عند وجود النص، فقد «كان عند الضرورة، يعلل الأحكام ويقيس عليها، ويأخذ بالمصالح المرسلة»[2]، ورُويَ عن علي بن الحسين قوله: «سعيد بن المسيب أعلم النَّاس بما تقدمه من الآثار وأفضلهم في رأيه»[3]، وفي هذا دليل أن لسعيد أفضلية في الاجتهاد بالرأي عند عدم وجود نص.

لقد أثنى العلماء الأعلام على مكانة سعيد الفقهية، فقد روي عن ابن عمر (ربَّما سالم) وقد سئل عنه فقال: «هو والله أحد المفتين»[4]، وسُئل عراك بن مالك: «من أفقه أهل المدينة؟ قال: أمَّا أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وأفقههم فقهاً وأعلمهم بما مضى من أمر النَّاس، فسعيد بن المسيب»[5]. قال علي بن المديني: «لا أعلم أحداً في التابعين أوسع علماً من سعيد»[6] وثمة أقوال أخرى كثيرة وهي شهادات من علماء أعلام لا يتسع المجال لذكرها، لكنها تدل على سابقية سعيد بن المسيب في العلم والفقه.

عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤هـ):

كان عروة أحد الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة وهم: «سعيد بن المسيب،

(١) الباجي الأندلسي...، المنتقى شرح موطأ مالك، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣٢هـ، ٧/٧٨، قارن الشوكاني، نيل الأوطار، (أبواب الديات)، ٧/٢٢٤-٢٢٥.

(٢) هاشم جميل، فقه الإمام سعيد، ١/١٣٨.

(٣) ابن سعد، طبقات (ليدن)، ٥/٩٠. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٥٨.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٥٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/٨٤.

(٥) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٤٧١.

(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٢٠.

وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، واختلف في السابع فقيل سالم بن عبد الله بن عمر، وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وقيل أبو سلمة بن عبد الرحمن...»[١].

كرس عروة بن الزبير حياته لطلب العلم حتى بلغ فيه مبلغاً عُدّ فيه أنَّهُ فقيه المدينة في زمانه[٢]، وكانت أمنيته أن يبلغ منزلة علمية رفيعة فيروى عنه العلم، يعكس ذلك ما ذكرته المصادر من أن أولاد الزبير عبد الله ومصعب وعروة إلى جانب عبد الملك بن مروان اجتمعوا مرة في الكعبة فتمنى كل واحد منهم أمنية خاصة به،... أمَّا عروة فقد قال: «لست في شيء مما أنتم فيه... أتمنى أن يؤخذ عني العلم»[٣]، وكان عروة في عداد أئمة مدرسة المدينة الفقهية التي تعرف بمدرسة الحديث، التي تقف عند النص، يذكر هشام بن عروة في والده قوله: «ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه»[٤].

كما تذكر المصادر أن لعروة كتباً في الفقه (ربَّما هي في الحديث على أبواب الفقه) وأنه أحرقها (أو بعضها) يوم الحرّة، يذكر ذلك ابنه هشام فيقول: «أحرق أبي يوم الحرّة كتب فقه كانت له، وأنه أي عروة ندم على ذلك فيما بعد فكان يقول: لأن تكون عندي أحب إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[٥] لكن ذلك لا يعني ذهاب علمه ولا سيما إذا عرفنا أنَّهُ مات بعد الحرّة بنحو ثلاثين سنة وقد أشاد ابن سعد بفقهه وعلمه فقال: «كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً» وأثنى عليه كذلك قبيصة بن ذؤيب والعجلي وغيرهم[٦].

---

(١) ينظر لذلك: ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٧٤. وانظر ترجمته السابقة في فصل الحديث.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٣٣١/١.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٧٦/١.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٥٠/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٣/٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٣/٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٣/٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٣٣/٥، العجلي، معرفة الثقات، ١٢٣/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ١٨٣.

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٤هـ):

والده صحابي مشهور من الستة أصحاب الشورى، نشأ أبو سلمة في المدينة، وتلقى العلم عن والده، وعن زيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وأبي قتادة، وغيرهم. كما أخذ عنه من العلماء الأعلام: الزهري، والشعبي وعراك بن مالك، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم كثير[١].

وكونه من الفقهاء السبعة محل خلاف بين العلماء، ففي حين لم يذكره معهم كل من عبد الله بن المبارك وعبد الله بن ذكوان (أبو الزناد)، ذكره آخرون غيرهم[٢].

وهو بلا خلاف يعدّ من فقهاء المدينة العشرة إذا ما جمع أسماء المختلف فيهم من السبعة. وفضلاً عن كونه فقيهاً فقد كان قاضياً، إذ تولى القضاء في ولاية سعيد بن العاص الأولى على المدينة المنورة (٤٩-٥٤هـ)[٣].

اتفق العلماء الأعلام على إمامته في الفقه، فمما قاله الزهري: «أربعة وجدتهم بحوراً: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة»[٤]. وقال ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث»[٥]، وأشاد البستي بفضله وفقهه فقال: «من أفاضل قريش وعبادهم، وفقهاء أهل المدينة وزهادهم»[٦]. مات أبو سلمة سنة ٩٤هـ، قال ابن سعد: وهذا أثبت من قول من قال إنَّهُ توفي سنة أربع مائة[٧].

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١١٦/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢٤١/٢. الذهبي، تذكرة، ٦٣/١.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٥٩/١. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦١.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢٣٢/٥، ٢٩٣.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦١. الذهبي، العبر، ١١٢/١.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١١٦/٥.

(٦) البستي، مشاهير، ص٦٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ١١٦/٥. قارن: ابن قتيبة، المعارف، ص١٠٥، العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٤٠٦.

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة (ت ٩٤هـ):

«من بني مخزوم، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان من سادات قريش فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً، وكان يعرف براهب قريش لعبادته وفضله»(١).

روى عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وأبو مسعود الأنصاري، وأمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة، وغيرهم، وأخذ عنه العلم مجاهد، وعمر بن عبد العزيز، والشعبي، وعمرو بن دينار، والزهري، وغيرهم كثير(٢)، وكان أبو بكر من الفقهاء السبعة فقهاء المدينة المنورة(٣)، ووصف بأنه «كان ثقة فقيهاً عالماً عاقلاً سخياً كثير الحديث...»(٤).

أشاد العلماء بمنزلته الفقهية والعلمية وعبادته، فقال العجلي: «ثقة فقيه عابد»(٥)، وقال ابن خراش: «أبو بكر هذا أحد أئمة المسلمين قال: هو وإخوته... بنو عبد الرحمن بن الحارث كلهم ثقات أجلّة يضرب بهم المثل روى الزهري عنهم...»(٦)، مات أبو بكر بن عبد الرحمن سنة ٩٤ هجرية(٧).

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٨هـ):

من أئمة التابعين ومن الفقهاء السبعة أعلام مدرسة المدينة في الفقه والحديث(٨). أخذ علمه عن كثير من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وعائشة أم المؤمنين، وسهل بن

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٥٣/٥. البستي، مشاهير، ص٦٥، الشيرازي، طبقات، ص٥٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١٥٣/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١٩٤/٢.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٦٣/١. وذكر الشيرازي آراء العلماء في كونه من الفقهاء السبعة أم لا، طبقات الفقهاء، ص٦١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١٥٣/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١٩٥/٢.

(٥) العجلي، معرفة الثقات، ٣٨٩/٢.

(٦) النووي، تهذيب، ١٩٥/٢. الذهبي، العبر، ١١١/١.

(٧) العجلي، معرفة الثقات، ٣٨٩/٢. البستي، مشاهير، ص٦٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١٩٥/٢.

(٨) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٨٥/٥-١٨٦. العجلي، معرفة الثقات، ١١٢/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٤/٧.

حنيف وغيرهم ﷺ[(١)].

وممن أخذ عنه العلم: الزهري، وأبو الزناد، وسعد بن إبراهيم، وصالح بن كيسان، وعراك بن مالك وطلحة بن أبي طلحة... وغيرهم[(٢)].

كان عبيد الله موسوعياً بعلمه حتى وصف بأنه «من بحور العلم»[(٣)]. شهد الإمام مالك بكثرة علمه فقال: «كان عبيد الله من علماء النّاس كثير العلماء»[(٤)].

أشاد العلماء بمنزلته في الفقه، ومعرفته بالأحكام فقيل في ذلك: «كان مقدماً في العلم والمعرفة بالأحكام، والحلال والحرام»[(٥)]، وعندما سئل عراك بن مالك أحد أعلام فقهاء المدينة، «من أفقه من رأيت؟ قال: أعلمهم سعيد بن المسيب، وأغزرهم في الحديث عروة، ولا تشاء أن تفجّر من عبيد الله بحراً إلاّ فجرته...»[(٦)].

وكان عبيد الله ممن أكثر من رواية الحديث فضلاً عن منزلته في الفقه، يقول الواقدي عنه «كان عالماً ثقة فقيهاً كثير الحديث والعلم»[(٧)]. كرّس عبيد الله معظم حياته للعلم، إلى أن توفي بالمدينة سنة ٩٨ هجرية على الأرجح[(٨)].

خارجة بن زيد (ت ١٠٠هـ):

هو خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد من بني النجار، كنيته أبو زيد، من مشاهير علماء المدينة الأعلام[(٩)]. أخذ خارجة معظم علمه عن والده زيد، وعن عمه يزيد بن ثابت، وأم العلاء الأنصارية ﷺ وغيرهم. وروى عنه: سالم بن

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٢/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٣/٧.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٣١٢/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٣/٧.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٩/١.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٦٠/١.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٤/٧.

(٦) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٠.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ١٨٥/٥-١٨٦. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٣/٧.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ١٨٦/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص١١٠. البستي، مشاهير، ص٦٤. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٧٩/١.

(٩) ينظر لذلك: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٩٣/٥.

عبد الله، والزهري، وأبو الزناد، ويزيد بن عبد الله بن قسيط وغيرهم[(١)].

وهــو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان يستفتى في زمانه ويرجع النَّاس إلى قوله: «وكان خارجة من علماء أهل المدينة بالفرائض» «فكان يقسم المواريث بين أهلها من الدور والنخل والأموال»[(٢)]. أثنى عليه العلماء وأجمعوا على فقهه وعلمه، وأنــه «كــان فقــيهاً أكثر من كونه محدثاً»[(٣)]، قال عنه العجلي: «مدني تابعي ثقة فقيه»[(٤)]، وقال البستي: «من فقهاء المدينة وعقلائهم، وعباد التابعين وعلمائهم»[(٥)] توفي بالمدينة سنة ١٠٠ هجرية في خلافة عمر بن عبد العزيز[(٦)].

سالم بن عبد الله بن عمر:

مــن مشاهير الفقهاء في المدينة، كان يعدّ من نظراء القاسم بن محمد في الفقه والعلم يقول ربيعة الرأي: «كان الأمر إلى سعيد بن المسيَّب فلما مات سعيد أفضي الأمــر إلى القاســم وسالم»[(٧)]، و«كان من خيار النَّاس وفقهائهم»[(٨)]، وعداده في الفقهــاء السبعة من أهل المدينة. قال العجلي: كان أحد الفقهاء السبعة، ثبتاً عابداً فاضلاً، من كبار (الطبقة) الثالثة[(٩)].

ويقــوم مــنهجه في الفقه على ما قامت عليه مدرسة المدينة من اعتماد الأثر والتمسك بالنص، «فلم يكن يقل شيئاً برأيه»[(١٠)]. سبقت الإشارة إلى وفاته.

---

(١) ن.م، ١٩٤/٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١٧٢/١.

(٢) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٠.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩١/١-٩٢.

(٤) العجلي، معرفة الثقات، ٣٣٠/١.

(٥) البستي، مشاهير، ص٦٤.

(٦) العجلــي، معــرفة الــثقات، ٣٣٠/١. الشــيرازي، طــبقات الفقهاء، ص٦٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٢/١.

(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٢.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص٨٠.

(٩) العجلي، معرفة الثقات، ٣٨٣/١.

(١٠) ينظر: هاشم جميل، فقه سعيد بن المسيب، ١٣٧/١.

سليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ):

مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النَّبي ﷺ ويقال إنَّهُ كان كاتباً لها[١]، أخذ العلم عن مشاهير الصحابة وكبار التابعين منهم زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأبو واقد الليثي، وابن عمر، وابن عباس، وأمهات المؤمنين عائشة، وأم سلمة، وعن عروة بن الزبير...، وغيرهم، وأخذ عنه جماعة من التابعين وأتباع التابعين منهم: عمرو بن دينار، والزهري، وسالم أبو النضر، ويحيى بن سعيد، وصالح بن كيسان، وخلق سواهم[٢]. وكان مقدماً في العلم والفقه فكان يستفتى مع سعيد بن المسيب يقول الذهبي: كان المستفتي يأتي سعيد بن المسيب فيقول له: «عليك بسليمان بن يسار»[٣]، وكان سعيد يقول: «عطاء قاض، وسليمان مفت، وهم إخوة»[٤].

وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، أجمع العلماء على منزلته في الفقه والعلم. فمما قاله محمد بن علي (ابن الحنفية): «سليمان بن يسار عندنا أفقه من سعيد بن المسيب»[٥] وقال ابن سعد: «كان ثقة عالياً رفيعاً فقيهاً كثير الحديث»[٦].

وقال فيه ابن حبان البستي: «كان من فقهاء أهل المدينة وعباد التابعين»[٧]. ومنهجه في الفقه منهج أهل الأثر والنص، اختلف في تاريخ وفاته ما بين ١٠٠-١٠٩هـ والراجح ١٠٧هـ كما ذكر الواقدي[٨].

القاسم بن محمد بن أبي بكر:

كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، ومن مشاهير علماء التابعين، وسبقت الإشارة إلى أنَّهُ تفقه بخالته عائشة أم المؤمنين لأنَّهُ ربِّي في حجرها... كما

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/١٣٠.

(٢) ن.م، ٥/١٣٠. النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٣٥.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٩١.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٤٩.

(٥) العجلي، معرفة الثقات، ١/٤٣٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/١٦٠.

(٧) البستي، مشاهير، ٢٦٤.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ٥/١٣٠. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٠. النووي، تهذيب الأسماء، ١/ ٢٣٥.

أخذ عن غيرها من العلماء الأعلام.

كان القاسم في عداد مدرسة الحديث الفقهية في المدينة (مدرسة الأثر)، فلم يكن يقول برأيه في الفتيا، يذكر عنه ابن عون أَنَّهُ من بين ثلاثة كانوا «... لم يجاوزوا ما علموا، ولم يتكلفوا أن يقولوا برأيهم»[١]. وأنه ما كان يجيب إلاّ في الشيء الظاهر، أي أَنَّهُ يقف عند ظاهر النصوص، كذلك لم يكن يقل شيئاً لا يعلمه، ومما قاله: «لئن يعيش المرء جاهلاً خير له من أن يقول على الله ﷻ ما لا يعلم»[٢]، وعن أيوب قال: «سئل القاسم عن مسألة فقال: لا أدري، ثمّ قال: ما كل ما تسألونا عنه نعلم، ولو علمنا، ما كتمناكم، ولا حل لنا أن نكتمكم»[٣].

أجمع العلماء على منزلته العالية في الفقه، فقال الإمام مالك: «كان القاسم من فقهاء هذه الأمة»[٤]، وقال أبو الزناد: «ما رأيت فقيهاً أعلم منه». وقال يحيى بن سعيد: «ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم»، وقال ابن عيينة: «كان القاسم أعلم أهل زمانه»[٥]، وقد أجمل ابن سعد القول فيه فوصفه بأنه «كان ثقة رفيعاً عالياً فقيهاً إماماً كثير الحديث ورعاً...»[٦]، وثمة أقوال أخرى لا يتسع المجال لذكرها — سبقت الإشارة إلى تاريخ وفاته.

محمد الباقر:

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي: أبو جعفر، المدني (ت ١١٤هـ): ويلقب محمد الباقر، سمي بذلك لأَنَّهُ بقر العلم أي شقّه وتوسع فيه، إذ نقل عن الزبير بن بكار أَنَّهُ قال: «كان يقال لمحمد باقر العلم»[٧]، وهو «تابعي جليل،

---

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٤٨/١.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٤٦/١-٥٤٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٣٩/٥. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥٤٦/١-٥٤٧.

(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٥٩. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٣٤/٨.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٩٧/١. اليافعي، مرآة الجنان، ٢٢٨/١.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١٤٣/٥.

(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٧/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٥٢/٩. اليافعي، مرآة الجنان، ٢٤٧/١.

وإمام بارع، مجمع على جلالته»[١]، وكان محمد الباقر صاحب منزلة رفيعة في العلم «فكان مفسراً للقرآن – فقيهاً – مدركاً حكمة الشريعة، فاهماً أجل الفهم لمراميها، وكان راوية للأحاديث، روى أحاديث آل البيت وروى أحاديث الصحابة من غير تفرقة»[٢].

كان يجل الصحابة ويختص بفضل الإجلال الشيخين أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما)، يروي محمد بن فضل عن سالم بن أبي حفصة قوله: «سألت أبا جعفر وابنه جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا لي: يا سالم تولهما، وابرأ من عدوّهما فإنهما إماما هدى»[٣]، روى عن جماعة من الصحابة والتابعين منهم: والده، وجدّاه الحسن والحسين، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وأم سلمة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن أبي رافع وغيرهم[٤]، وروى عنه العلم: ابنه جعفر الصادق، والزهري، والأوزاعي، وشيبة بن نصاح، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم، ومعمر بن يحيى وابن جريج في آخرين[٥].

أثنى العلماء على منزلته الفقهية والعلمية، فممن أشاد بكثرة حديثه وفقهه، محمد بن سعد إذ يقول: «كان ثقة كثير العلم والحديث»[٦]. وقيل فيه أيضاً: «يكنى أبا جعفر وكان له فقه»[٧]. عداده في الطبقة الرابعة من التابعين «من فقهاء المدينة

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٨٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٥٢. اليافعي، مرآة الجنان، ١/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: الزين، إبراهيم، معاجم الرجال، دار العلم للجميع، بيروت، بلا.ت، ص٤.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٥٠-٣٥١. قارن: أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٨٥.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٨٨. النووي، تهذيب الأسماء، ١/٨٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٥٠.

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/١٨٨. النووي، تهذيب الأسماء، ١/٨٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٥٠

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/٢٣٨.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص٩٤.

وأئمـــتهم روى لـــه البخاري ومسلم»[١]. وأثنى عليه محمد بن المنكدر إذ قال: ما رأيت أحداً يفضل على علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً[٢]. توفي بالمدينة سنة أربع عشر ومائة. وقيل سنة ١١٧هـ أو ١١٨هـ، والتاريخ الأول أرجح [٣].

أبو الزناد عبد الله بن ذكوان: (ت ١٣٠هـ وقيل ١٣١هـ):

كنيـــته أبـــو عبد الرحمن، وغلب عليه أبو الزناد، المدني، التابعي، أحد صغار التابعين[٤]، سمع من بعض صغار الصحابة منهم: أنس بن مالك، وأسعد بن سهل بن حنـــيف (أبـــو أمامة)، وعبد الله بن جعفر، وأخذ عن بعض التابعين مثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعلي بن الحســـين، وعبد الرحمن الأعرج، وأكثر روايته عنه: فكان يقال له راوية عبد الرحمن الأعـــرج[٥]. روى عنه هشام بن عروة وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم، وموسى بن عقبة، والإمام مالك بن أنس، والليث بن سعد، والسفيانان، وخلق[٦].

كـــان يقال له فقيه المدينة، عاصر ربيعة الرأي وروي عن أبي حنيفة أَنَّهُ قال: «رأيتُ ربيعة وأبا الزناد، وأبو الزناد أفقه الرجلين»[٧].

كان أبو الزناد من العلماء الأعلام، وكان يتلقى عنه عدد كبير من طلبة العلم، يروى عن الليث بن سعد قوله: «رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاثمائة تابع من طالب علم وفقـــه وشعر وصنوف العلم»[٨] ورُوِيَ قريب من هذا عن عبد ربه بن سعيد قال: «رأيـــت أبا الزناد دخل مسجد رسول الله ﷺ ومعه من الأتباع مثلما مع السلطان، فبين سائل عن فريضة، وسائل عن الحساب، وسائل عن الشعر، وسائل عن الحديث،

(١) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٢٤٩.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٥٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/٢٣٨. البستي، مشاهير، ص٦٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٥١.
(٤) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٣٤.
(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٣٤-٢٣٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٣٥.
(٦) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٣٤-٢٣٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٣٥.
(٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٣٥.
(٨) ن.م، ١/١٣٥. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٢.

وســـائل عن معضلة...»[١]، من هذا يتبين أنَّهُ كان موسوعياً في علمه، بارعاً في كل صــنف... وممن أثنى عليه من العلماء ووثقه الإمام أحمد بن حنبل إذ يقول: «أبو الــزناد أعلــم من ربيعة»[٢]، قال ابن سعد: «كان أبو الزناد كثير الحديث فصيحاً بصــيراً بالعربية، عالماً عاقلاً...»[٣]، قال الذهبي: «كان صاحب كتابة وحساب، وفَــدَ علــى هشام (بن عبد الملك) بحساب ديوان المدينة»[٤]. توفي بالمدينة سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣١ هجرية[٥].

ربيعة بن أبي عبد الرحمن (ربيعة الرأي) (ت ١٣٦هـ):

واســم أبي عبد الرحمن «فروخ» مولى آل المنكدر التيميين، كنيته أبو عثمان. كان يقال له ربيعة الرأي: لأنَّهُ كان يعرف بالرأي والقياس[٦].

من أجلاء التابعين، أدرك من الصحابة أنس بن مالك والسائب بن يزيد، وأخذ عن كبار التابعين منهم: القاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله بن عمــر، وسليمان وعطاء ابني يسار... وغيرهم[٧]. وعنه أخذ الإمام مالك، ويحيى الأنصاري، وشعبة، والثوري، والليث، والأوزاعي، وابن عيينة، وسليمان بن بلال، والدراوردي...، وخلائق من الأئمة وغيرهم[٨].

كــان صــاحب الفتوى بالمدينة، حتى وصف بأنه «صاحب معضلات أهل المدينة، ورئيسهم في الفتوى»[٩] ونقل مثل هذا عن الليث قال: قال لي عبيد الله بن عمر العمري في ربيعة «هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا»[١٠]، ونقل عن مالك

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٣٣. الذهبي، تذكرة، ١/١٣٥.
(٢) ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٣٣-٢٣٤. الذهبي، تذكرة، ١/١٣٥.
(٣) ينظر: النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٣٣-٢٣٤. الذهبي، تذكرة، ١/١٣٥.
(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٣٥.
(٥) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٥. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/٢٣٤.
(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٧. ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٦. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩.
(٧) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٥٧.
(٨) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٥٧.
(٩) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٧١. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩.
(١٠) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٦٨. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٥.

قوله: «لما مات القاسم وسالم أفضى الأمر إلى ربيعة»[١]، ولا يعني أن ربيعة الرأي قد غلب عليه الرأي في فتواه «رغم أنَّهُ كان أجرأ أهل المدينة في القول بالرأي». فقد روي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أنه قال: «لما جئت العراق جاءني أهل العراق فقالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي، قال: فقلت: يا أهل العراق تقولون ربيعة الرأي، لا والله ما رأيت أحوط لسنّة منه»[٢].

أمَّا مسألة قوله بالرأي فإنه كان يبرر ذلك بقوله: «أنا أخبرهم (أي النَّاس) برأيي فإن شاءوا أخذوه وإن شاءوا تركوه»، اشتهر ربيعة بكثرة مجالسه العلمية وتدريسه للحديث والفقه وكان «يجلس إليه وجوه النَّاس»[٣].

أثنى عليه العلماء وأجمعوا على توثيقه وجلالته، وعظم مرتبته في العلم والفهم[٤]، وقد تقدم أعلاه بعضها، توفي ربيعة بالمدينة سنة ١٣٦ هجرية[٥].

يحيى بن سعيد الأنصاري (ت ١٤٣هـ):

أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو... المدني[٦]، روى عن جماعة من الصحابة منهم: أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن عامر بن أبي ربيعة، وأبي أمامة بن سهل، وأخذ عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وسليمان بن يسار، وغيرهم[٧]. وأخذ عنه جماعة من علماء التابعين وأتباع التابعين منهم: هشام بن عروة، وحميد الطويل، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك والسفيانان، والحمادان، والليث، وابن المبارك، وشعبة، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم كثير[٨].

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٥٨.
(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٧٠-٦٧١. ويقصد بالعراق هنا الكوفة على الأرجح.
(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٥٨.
(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩-١٩٠.
(٥) العجلي، معرفة الثقات، ١/٣٥٨. البستي، مشاهير، ص٨١. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٨٩.
(٦) الخطيب، تاريخ بغداد، ١٤/١٠١. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/١٥٣.
(٧) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٦. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/١٥٣. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٣٧.
(٨) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص٦٦. النووي، تهذيب الأسماء، ٢/١٥٣. الذهبي، تذكرة الحفاظ، =

كان من أهل الفتوى بالمدينة خاصة، وبالحجاز عامة، قال أيوب السختياني: «ما تـركت بالمدينة أحداً أفقه من يحيى بن سعيد»[(١)]. وقال يعقوب بن كاسب حدثني بعـض أهـل العلم قال سمعت صائحاً يصيح بمكة في أيام مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ): «لا يفتي الحاج إلاّ يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر ومالك بن أنس»[(٢)]. ذكر أنَّهُ في علمه وفقهه يوازي ما كان عليه الزهري، يقول أبو حاتم عنه: «كان ثقة يوازي الزهري»[(٣)]، بل إن يحيى القطان قال: «هو مقدّم على الزهري، اختلف على الزهري ولم يختلف عليه»[(٤)].

وكان ممن تقلد القضاء بالمدينة المنورة، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) وكان يوسف بن محمد الثقفي على المدينة[(٥)].

ومـن كلامـه في الفقه والفتوى ما يدل على سعة أفقه وورعه... فقد روى الليـث عنه أنَّهُ قال: «أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحـرم هـذا، فـلا يعيب هذا على هذا ولا هذا على هذا، وإن المسألة ترد على أحـدهم كالجبل فإذا فتح له باباً قال: ما أهون هذه»[(٦)]، ويذكر أن الخليفة أبا جعفر المنصـور قـد اسـتقدم يحيى الأنصاري للقضاء بالمدينة الهاشمية فمكث بها بضعة سنوات ثمَّ توفي بها سنة ١٤٣ هجرية[(٧)].

الفقه في عهد أتباع التابعين بالمدينة (العصر العباسي الأول):

بعد انقضاء عصر التابعين جاء عصر أتباع التابعين الذي يمتد عشرات السنين

=

١٣٧/١.

(١) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٥٠/١. الشيرازي، طبقات الحفاظ، ص٦٦.

(٢) البسوي، تذكرة الحفاظ، ١٣٩/١.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ١٥٤/٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٧/١.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٧/١. أيضاً بلفظ مقارب: الخطيب، تاريخ بغداد، ١٠٥/١٤.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ١٠٢/١٤. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٤.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٩/١.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد، ١٠٥/١٤. النووي، تهذيب الأسماء، ١٥٤/٢.

من القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، غير أن مدة النشاط القوي هو النصف الثاني من القرن الثاني، فقد شهدت هذه المدة ظهور كبار الأئمة الذين اتصل تاريخهم بتكوين المذاهب الفقهية[1]، ومنهم في المدينة المنورة الإمام جعفر بن محمد الصادق والإمام مالك بن أنس.

ولقد تبلورت في هذه المرحلة (أي العصر العباسي الأول)، مدرستان فقهيتان هما مدرسة الحديث في المدينة، ومدرسة الرأي في الكوفة، وصار لكل واحدة منهما مذهباً متميزاً، وشهدت المدينة في القرن الثاني (عهد أتباع التابعين) نهضة علمية فقهية، فكانت تموج بالعلماء الأعلام من الفقهاء، نذكر من مشاهيرهم:

جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ):

أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، من عباد أتباع التابعين، وعلماء أهل المدينة[2]، ولد بالمدينة سنة ثمانين وهي التي تسمى سنة سيل الجحاف[3]، وبها نشأ نشأة علمية.

أخذ علمه عن أبيه محمد الباقر وعن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعن نافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم[4]، وممن روى عنه، ابن إسحاق، ويحيى الأنصاري، والإمام مالك، والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيى القطان، وأبو حنيفة وغيرهم[5]. وكان جعفر بن محمد يغشى مجالس المحدثين من التابعين، يأخذ العلم من مظانه بلا فرق بين مكان ومكان، ثمّ صار له فيما بعد مجالس علمية في المدينة كانت مثابة أهل العلم وطلاب الفقه، وكان على جانب كبير

(١) ينظر: أبو زهرة...، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، بلا.ت، ص٣٨.

(٢) البستي، مشاهير، ص١٢٧. النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٥٠.

(٣) البستي، مشاهير، ص١٢٧. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٦٦.

(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٥٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٦٦. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٧٩.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٥٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٦٦. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٧٩.

من الصفات الحميدة كالإخلاص، والحلم، والسخاء، والصبر، والشجاعة، والفراسة، وما إلى ذلك[1].

اتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته، صرح بذلك الأئمة الأعلام. من كبار الفقهاء والعلماء فمن قول أبي حنيفة في منزلته الفقهية: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد...»[2]، كان جعفر الصادق إماماً لمدرسة فقهية تبلورت في آرائه وفتاواه وتدريسه، في المدينة المنورة... ثمّ انتقلت معه هذه المدرسة إلى العراق في عهد المنصور، ويمكن القول بأن مصادر هذه المدرسة الفقهية تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي حالة عدم وجود نص من الكتاب والسنة، كانت مصادر فقه الصادق (رحمه الله) ما قاله أبو زهرة: «وإذا لم يسعفه نص من كتاب أو سنة... كان يأخذ بالمصلحة أو العقل حيث لا نص...»[3].

محمد ابن أبي ذئب (ت ١٥٩هـ):

أبو الحارث، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب... من بني عامر بن لؤي العامري القرشي المدني، الفقيه، شهرته ابن أبي ذئب، من فقهاء أتباع التابعين بالمدينة[4].

سمع من مشاهير التابعين منهم: أخوه المغيرة، وخاله الحارث، وعبد الله بن السائب بن يزيد، ونافع مولى ابن عمر، وعكرمة مولى ابن عباس، والزهري، وسعيد المقبري، وسعيد بن سمعان، ومحمد بن المنكدر، وابن عطاء، ومحمد بن قيس المدني، وغيرهم[5]. وعنه أخذ عدد من العلماء الأعلام منهم: سفيان الثوري ومعمر، وسعد بن إبراهيم، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان،

---

(١) ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص٥٣٩. ص٥٥٠، ص٥٥٧. الزين، معاجم الرجال، ص١٦-١٧.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ١/١٥٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/١٦٦.

(٣) أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص٥٦٣.

(٤) الشيرازي، طبقات، ص٦٧. النووي، تهذيب الأسماء، ١/٨٦.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٨٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/١٤٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٠٣-٣٠٤.

والواقدي، وابن وهب، وإسحاق الفروي، وأبو نعيم...، وغيرهم كبير[١].

كان ابن أبي ذئب إلى جانب علمه وفقهه صاحب عبادة، قال الواقدي: «كان يصلّي اللّيل أجمع ويجتهد في العبادة... وأخبرني أخوه أنَّهُ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»[٢] وله موقف من أحداث المدينة المنورة السياسية في العصر العباسي، إذ لما خرج محمد بن عبد الله الحسني «لزم بيته»[٣].

وكان يقال عنه أنَّهُ فقيه المدينة، يقول مصعب الزبيري: «كان ابن أبي ذئب فقيه المدينة»[٤]، وشبهه الإمام أحمد بن حنبل بابن المسيب في مكانته الفقهية فقال: «كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب فقيل لأحمد: هل خلف ببلاده، مثله؟ قال: لا، ولا بغيرها، وكان ثقة صدوقاً»[٥]، وفضلاً عن ذلك فإن ابن أبي ذئب من العلماء المعدودين «المفتين في المدينة»[٦]، وكان جريئاً في قول الحق يقول ابن حبان البستي في ذلك: «كان من أقول أهل زمانه للحق»[٧]، ومن جرأته أنَّهُ كان يغلظ في الوعظ للخليفة أبي جعفر المنصور وولده الخليفة المهدي. حتى إن المهدي قال له: «أمَّا إنك أصدق القوم»[٨]، لما يرى من صدقه في علمه وفتواه، توفي محمد ابن عبد الرحمن سنة ١٥٩هـ، وهو في طريق عودته من بغداد إلى المدينة، فدفن في الكوفة[٩].

عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٦٤هـ):

أبو عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة واسمه (ميمون)، التيمي

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٦/١. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤٠/٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٣/٩-٣٠٤.

(٢) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٦/١.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٦/١.

(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٦/١.

(٥) النووي، تهذيب الأسماء، ٨٦/١.

(٦) ن.م، ٨٦/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٦/٩.

(٧) البستي، مشاهير، ص١٤٠، والثقات، ٣٩٠/٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤١/٧.

(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٦/٩-٣٠٧.

(٩) خليفة، الطبقات، ص٢٧٣. البستي، مشاهير، ص١٤٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٦/٩.

مولاهم، المدني الفقيه[١].

كان فقيهاً ومفتياً أكثر من كونه محدثاً أورد ذلك البسوي فقال: «كان فقيهاً، وكان إذا سئل الحديث قال: إنَّما نحن نفتي...»[٢].

روى عن جماعة من كبار التابعين منهم والده عبد الله بن أبي سلمة، ومحمد ابن المنكدر، والزهري، وزيد بن أسلم، وحميد الطويل، وعبد الله بن دينار، وصالح بن كيسان، وعمر بن يحيى المازني، وهشام بن عروة، وعبد الرحمن بن القاسم، وخلق غيرهم[٣]. وأخذ عنه ابنه عبد الملك، والليث بن سعد، وزهير بن معاوية، وهم من أقرانه، وأيضاً روى عنه ابن وهب، وابن مهدي، ووكيع، وأحمد بن خالد الوهبي، وعبد الله بن صالح العجلي... وابن أبي أويس، وأبو نعيم وأبو غسان النهدي... وآخرون غيرهم[٤].

كان من أهل الفتوى بالمدينة ومكة، قال ابن وهب: «حججت سنة ثمان وأربعين ومائة، وصائح يصيح: لا يفتي النَّاس إلاَّ مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة»[٥]، وكان في فقهه من مدرسة الحديث بالحجاز (مدرسة الأثر) فكان ممن «يحفظ مذاهب الفقهاء بالحرمين، ويذب عن أقاويلهم، ويفرّع على أصولهم»[٦].

أثنى عليه العلماء وأشادوا بمنزلته الفقهية والعلمية، يصفه ابن سعد بقوله: «ثقة، كثير الحديث»، وقال أبو داود والنسائي: «ثقة»[٧]، وقال العجلي: «مدني ثقة، مأمون رجل صالح مفوّه»[٨]. كان ممن ألف كتباً في الفقه سنأتي على ذكرها (ضمن مؤلفات هذا الفصل)، وفي أواخر حياته قدم بغداد وحدّث بها وأفتى، إلى أن

---

(١) خليفة، الطبقات، ص٢٧٥. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٢٢/١.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٢٩/١.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٣٦/١٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٤٣/٦.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٣٦/١٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٤٣/٦.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٣٧/١٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٢٢/١.

(٦) البستي، مشاهير، ص١٤١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٤٤/٦.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٣٦/١٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٤٤/٦.

(٨) العجلي، معرفة الثقات، ٩٧/٢.

توفي بها سنة ١٦٤ هجرية[١].

مدرسة المدينة الفقهية في القرنين الأولى والثاني للهجرة:

تميز هذا العهد في المدينة المنورة بتبلور نزعة الاتجاه نحو الأثر والحديث، وإيثار «ظواهر النصوص من غير تعمق في البحث عن العلل»[٢]، وهو ما عرف بـ«مدرسة الحديث»، ويحق لنا أن نتساءل، لماذا نشأت هذه النزعة الفقهية في المدينة دون غيرها؟

والواقع فإن لذلك أسباباً عدّة منها:

١. إن المدينة المنورة كانت منبع الدولة الإسلامية، وفيها أقام الرسول ﷺ يتلقى التشريع ويبلغ النَّاس حكم الله إلى وفاته، وظلت المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ عاصمة للدولة الإسلامية بعد اتساع رقعتها في صدر الإسلام حيث أقام الخلفاء الراشدون فيها معظم مدة حكمهم، وبها كان أكثر الصحابة، وتبعاً لذلك فإن أهل المدينة كانوا أعرف النَّاس بحديث رسول الله ﷺ، وأخبر بقوله وعمله من غيرهم[٣].

٢. إن حديث رسول الله ﷺ بدأ وختم في الحجاز (المدينة)، فالمستمعون لرسول الله كثيرون ومن العسير الكذب في حادثة شاهدها الكثير، أو في قول سمعه الجمّ الغفير[٤]، وهذا بدوره جعل أهل المدينة أكثر اطمئناناً للحديث النبوي من غيرهم، ومما جعلهم يستندون إليه في فتاواهم، على العكس من أهل العراق — مثلاً — الذين تشددوا في الأخذ بالحديث، فنشطت عندهم نزعة الاتجاه نحو الرأي، هذا فضلاً عن كثرة الحديث النبوي وفتاوى الصحابة في المدينة مما لا يجد الفقيه حاجة إلى الرأي إلاّ نادراً[٥].

---

(١) ن.م، ٩٧/٢. البستي، مشاهير، ص١٤١. الخطيب، تاريخ بغداد، ١٠م٤٣٨.

(٢) ينظر: مدكور، مدخل الفقه الإسلامي، ص٣٦-٣٧.

(٣) الدهلوي، حجة الله البالغة، ٣٠٦/١. وينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١٥١/٢. مدكور، مدخل الفقه، ص٣٧.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٠. وينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ١٥٢/٢.

(٥) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٨.

٣. بساطة الحياة في المدينة وعدم تجدد الوقائع إلاً بقدر قليل، فمع هذه البســاطة في الحياة، وتشابه معظم وقائعها بما وقع في صدر الإسلام، لا تظهر الحاجة إلى الرأي إلاً بقدر قليل[١].

وإذا تتبعنا بعض مشاهير رجال مدرسة المدينة الفقهية القائمة على اعتماد الأثر أو الحديث، وجدنا خير من يمثلها في عهد الصحابة ثلاثة هم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، فمن رواية عن الإمام مالك بن أنس قال: «كان إمام النَّاس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وكان إمام النَّاس عندنا بعد زيد عبد الله بن عمر»[٢]، ويورد ابن القيم ما مفاده أن علم أهل المدينة يرتكز على علم الصحابيين زيــد، وعبد الله بن عمر، إذ يقول: «فأمَّا أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر...»[٣]، وعند حديثه عن أصل مذهب أهل المدينة الفقهي في عصر الصحابة، يضيف الدهلوي إلى من سبق ذكره، كل من عائشة وابن عباس، فيقول: «... وأصل مذهبهم فتاوى عبد الله بن عمر، وعائشة، وابن عباس، وقضايا قضـــاة المدينة...»[٤]. ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء ثلاثة من الصحابة ممن صارت لهم الفتوى في المدينة في عصرهم وهم: أبو هريرة وجابر وأبو سعيد الخدري، يقول ابـــن ســـعد: «... والذين صارت إليهم الفتوى منهم، ابن عبَّاس وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله...»[٥]، وهكذا تكتمل لدينا صورة تقريبية لكبار فقهاء الصحابة المدنيين ممن تصدروا زعامة الفقه في المدينة.

وفي عهـــد الـــتابعين تزعم مدرسة الفقه في المدينة المنورة كبار رجالهم وعلى

---

(١) ينظر: ن.م، ص٤٤٩. أيضاً: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/١٦٠-١٦١.

(٢) البســـوي، المعـــرفة والتاريخ، ١/٤٨٦. الذهبي سير أعلام النبلاء، ٢/٤٣٦. ولو تأملنا تواريخ وفياتهم لوجدناها على التوالي (٢٣، ٤٥، ٧٤هـ) ولرأينا نوع من التسلسل الزمني في زعامة مدرسة المدينة.

(٣) ابن القيّم، أعلام الموقعين، ١/٢١.

(٤) الدهلـــوي، حجة الله البالغة، ص٣٠٣-٣٠٤. ينظر أيضاً عن فقه عائشة وابن عبَّاس: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٦٥ و٣٧٢ و٢/٣٧٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٧٢.

رأسهم سعيد بن المسيب، الذي «كان أعلم بما تقدمه من الآثار، والغالب على علم المدينة والمستفتى»[1]، وكان إلى جانبه رجال من التابعين حرصوا على الوقوف عند النصوص والآثار، ولا يميلون إلى الأخذ بالرأي إلاّ اضطراراً، ومنهم من توقف على الإفتاء بالرأي فيما لا نص فيه، فقد روى ابن وهب عن ابن لهيعة أن رجلاً سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شيء، فقال: «لم أسمع في هذا شيئاً، فقال له الرَّجل: فأخبرني – أصلحك الله – برأيك، فقال: لا، ثمَّ أعاد عليه فقال: إني أرضى برأيك، فقال سالم: إني لعليّ إن أخبرتك برأيي ثمَّ تذهب فأرى بعد ذلك رأياً غيره فلا أجدك»[2].

بعد سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله يأتي دور الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري، ونافع مولى ابن عمر، وعروة بن الزبير، وابن هرمز، وغيرهم من التابعين ممن اعتمد النص في فقهه وتحرج من الأخذ بالرأي. فهذا الزهري يقول: «دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي»[3]، ويروي الليث بن سعد قوله: «جئت ابن شهاب يوماً بشيء من الرأي فقبض وجهه وقال: الرأي – كالكاره له – ثمَّ جئته بعد ذلك يوماً بأحاديث من السنن، فتهلل وجهه وقال: إذا جئتني فأتني بمثل هذا»[4]، يروي هشام بن عروة عن أبيه قوله: ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه[5].

وجاء في رسالة مالك إلى الليث ما يؤكد اتباع نهج من قبله من الصحابة والتابعين[6].

وخلاصة القول فإن مسلك علماء مدرسة المدينة الفقهية من التابعين في الجملة، أنهم كانوا إذا استفتوا في مسألة عرضوها على كتاب الله، ثمَّ سنة رسول الله

---

(1) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٧٩-٣٨٢. وسبق ترجمته في هذا الفصل.

(2) ابن القيم، أعلام الموقعين، ١/٧٤.

(3) ن.م، ١/٧٤.

(4) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٦٢٥.

(5) الذهبي، تراجم رجال روى محمد بن إسحاق... عنهم، ليدن، ١٨٩٠، ص٤٨.

(6) ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ١/٤٢.

ﷺ، فـإن وجدوها أحاديث مختلفة فاضلوا بينها بالراوي أو توقفوا عن الإفتاء على حسب درجاتهم في البعد عن الرأي والقرب منه»(١)، وإن كان ثمة رأي عند بعضهم (كما هو عند ربيعة الرأي)، فإنَّه لم يكن الرأي عند أهل العراق، الذي هو القياس،... إنَّما الرأي الذي يعرضه ربيعة وغيره أساسه التوفيق بين النصوص والمصالح المختلفة(٢)، وهكذا يكون مذهب أهل المدينة ممن ذكرناهم من الصحابة والتابعين «أحق بالأخذ من غيره عند أهل المدينة، ولذلك نرى مالكاً يلازم محجتهم...»(٣)، ثمَّ يأتي دور أتباع التابعين فتتعزز فيه النظرة إلى اتباع الأثر في الفقه وتقديمه على الرأي والاجتهاد، فهذا الإمام مالك يقول: «إنَّما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا قولي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه...»(٤)، ولأنَّ هذه المدرسة الفقهية استقرت في مالك وتلامذته وأفرزت مذهباً فقهياً نسب إلى الإمام مالك، وهو خير من يمثلها في القرن الثاني (العصر العباسي الأول)، فلنقف على جانب من هذا المذهب الفقهي.

مذهب الإمام مالك بن أنس في الفقه:

يعتمد مذهب مالك في الفقه على مصادر الفقه الأساسية لجميع الفقه الإسلامي وعلى رأسها كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ. إذ إن «مأخذ الجميع في فقههم نظرهم على الجملة في علمهم... تقديم كتاب الله ﷻ على ترتيب أدلة في الوضوح... ثمَّ كذلك السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها... ثم الإجماع عند عدم (وجود نص) الكتاب ومتواتر السنة، وعند عدم هذه الأصول كلها القياس عليها والاستنباط منها»(٥)، وهذه عامة أصول الفقه الإسلامي والجميع متفقون على ترتيب الأصلين الأولين الكتاب ثمَّ السنة... أمَّا الأصول الأخرى

---

(١) ينظر: مدكور، تاريخ الفقه، ص٣٨. أيضاً: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢/١٦٠.

(٢) ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص١٨٣.

(٣) الدهلوي، حجة الله البالغة، ١/٣٠٦.

(٤) ابن القيم، أعلام الموقعين، ١/٧٥.

(٥) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٦. وينظر: مدكور، مدخل الفقه، ص٤٠.

فيتفاوت البعض في تقديم بعضها على البعض الآخر في الأولوية. ولا يكاد يخرج الإمام مالك في نهجه عن هذه الأصول، اللَّهُمَّ إلاَّ فيما يتعلق بتقديمه لإجماع أهل المدينة وعملهم على الأثر غير الموثوق. يقول ابن فرحون: «وأنت إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء الأئمة ومآخذهم في الفقه واجتهادهم في الشرع، وجدت مالكاً ناهجاً في هذه الأصول مناهجها، مرتباً لها مراتبها ومداركها، مقدماً كتاب الله ﷻ على الآثار، ثمَّ مقدماً لها على القياس والاعتبار، تاركاً منها ما لم يتحمله الثقات العارفون بما يحملونه أو ما يحملونه، أو ما وجد الجمهور والجمّ الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه... وكان يرجح الاتباع ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين»(١).

وفضلاً عن المعلومات القيّمة التي أوردها ابن فرحون والتي بيّن فيها أصول مذهب مالك – وغيره – نورد الملاحظات الآتية: التي ميزت مذهب مالك من غيره، (أي أصول مذهبه الأخرى عدا الكتاب والسنة).

١. تقديمه لعمل أهل المدينة: كان مالك (رحمه الله) يعدّ عمل أهل المدينة حجة، إذا كان ذلك العمل لا يمكن إلاَّ أن يكون نقلاً عن النَّبي ﷺ، ويقدّمه على خبر الآحاد، ويقول مقالة شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن «ألف عن ألف خير من واحد عن واحد»(٢)، وفي رسالته إلى الليث بن سعد يقول الإمام مالك: «... فإنَّما النَّاس تبع لأهل المدينة التي بها نزل القرآن»(٣). ونقل عن طريق القاسم وابن وهب أن الإمام مالك قال: «وقد كان رجال من أهل العلم من التابعين يحدثون بالأحاديث وتبلغهم عن غيرهم فيقولون: «ما نجهل

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٦. وينظر: مذهب مالك:
Macdonald, Duncan Black, Development of Muslim Theology, Lahore, Pakistan, ١٩٠٣, P.٩٩-١٠٣.

(٢) عياض، ترتيب المدارك، ١/٤٦.

(٣) ن.م، ١/٤٢.

هـــذا، ولكن مضى العمل غيره...»[١]، وضرب الإمام مالك مسألة الأذان في المسجد النبوي، دليلاً على عمر متواتر عن النَّبي ﷺ، وأنه أقوى من النقل، وقد قال لمن ناظره: «... ما أدري ما أذان يوم ولا ليلة، هذا مسجد رسول الله ﷺ يؤذن فيه من عهده، ولم يحفظ عن أحد إنكار على مؤذن فيه»[٢].

٢. فــتوى الصــحابي وكونها بمثابة الحديث: كان مالك يأخذ بفتوى الصــحابي على أنها حديث واجب العمل به. ولذلك أثر عنه أنَّهُ عمل بفتوى بعض الصحابة في مناسك الحج[٣].

٣. الاستحسان: والاستحسان عند مالك هو حكم المصلحة حيث لا نــص، سواء أكان في الموضوع قياس أم لم يكن، والمصلحة المرسلة داخلة في الاستحسان بشرط أن يكون الأخذ بها دفع حرج وأن تكون من جنس المصالح المعتبرة في الشريعة الإسلامية. فالأخذ بالمصالح يسميه مالك استحساناً ولذلك كان يقول: «الاستحسان تسعة أعشار العلم»[٤].

٤. سدّ الذرائع: والذرائع من الأصول التي أخذ بها مالك، ومؤداها: أن مـــا يؤدي إلى حرام يكون حراماً، وما يؤدي إلى حلال يكون حلالاً، بمقدار طلب هذا الحلال. وكذلك ما يؤدي إلى مصلحة يكون مطلوباً. وما يؤدي إلى مفسدة يكون حراماً[٥].

وهكـــذا يكون الإمام مالك قد فتح باب المصادر في فقهه وأكثر منها فكان مذهبه خصباً، وكان فقهاً مصلحياً يربط الأصول الشرعية بمصالح النَّاس.

---

(١) ن.م، ١/٤٥.

(٢) ن.م، ٥٠. وينظر: الزين، معاجم الرجال، ص٤٢.

(٣) ينظـــر: عـــياض، ترتيب المدارك، ١/٥٧. وينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص٢١٦-٢١٧. الكبيسي، أصول الأحكام، ص١٠٦.

(٤) تفاصـــيل ذلـــك: ينظر: الشاطبي، الموافقات، ٤/٢٠٩. الآمدي، الإحكام، ٤/٢١٠. البخاري، كشف الأسرار، ٤/١٣. وينظر أيضاً: الزين، معاجم الرجال، ص٤٤.

(٥) تفاصـــيل ذلك: ينظر: ابن القيّم، أعلام الموقعين، ٣/١٤٨. الشاطبي، الموافقات، ٢/٣٤٨ و٤/ ١٩٨. أيضاً: الكبيسي، أصول الأحكام، ص١٤٦.

انتشر مذهب مالك في بقاع كثيرة، يقول القاضي عياض: «غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر، وما والاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كبيراً، وضعف بها بعد سنة أربعمائة، وضعف بالبصرة بعد سنة خمسمائة، وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأبهر، وظهر بنيسابور أولاً، وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون وكان ببلاد فارس، وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام...»[1]، وهذا الكلام ينطبق على ما قبل عصر القاضي عياض المتوفى سنة (٥٤٤هـ) أي إن الكلام ينطبق على نحو أربعة قرون تلت عصر الإمام مالك.

غير أن المذهب المالكي تركز في مصر والمغرب وبلاد الأندلس، وأسهم في ذلك تلامذة مالك الذين نقلوا علمه إلى هناك، ودونوا الكتب التي ضمت فتاوى مالك وفقهه وعلمه، ونقلوا الموطأ إلى البلدان المشار إليها أعلاه، وسيأتي الحديث عن كتب الفقه المالكي وأشهر تلامذة مالك الذين نقلوا مذهبه إلى هناك في فصل الصلات الفكرية بين (- المدينة المنورة — ومصر وبلاد المغرب والأندلس).

ويمكن أن نصوّر مدرسة المدينة الفقهية عبر الأجيال الثلاثة (الصحابة — التابعين — أتباع التابعين)، والتي استقرت في الإمام مالك وتلامذته كالآتي[2]:

عمر بن الخطاب — عثمان بن عفان — عبد الله بن عمر — عائشة — ابن عبَّاس — زيد بن ثابت.

---

(١) عياض، ترتيب المدارك، ٦٥/١.

(٢) عياض، ترتيب المدارك، ٧٧/١. وينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢٠٨/٢، وقد عمل جدولاً مماثلاً إلاَّ أنَّهُ لم يذكر بعض شيوخ مالك، ولا مالك نفسه.

↓

فقهاء المدينة السبعة وهم

سعيد بن المسيب	عروة بن الزبير	القاسم ابن محمد	خارجة ابن زيد	عبد الله بن عبد الله	سليمان ابن يسار	سالم بن عبد الله أو أبو بكر بن عبد الرحمن

↓

ابن شهاب الزهري	نافع مولى ابن عمر	أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان)	ربيعة الرأي	يحيى بن سعيد الأنصاري

مالك بن أنس

تلامذة مالك وأشهرهم

↓

عبد الله بن وهب ت ١٩٧هـ	عبد الرحمن بن القاسم ت ١٩١هـ	أشهب بن عبد العزيز ت ٢٠٤هـ	عبد الله بن عبد الحكم ت ٢١٤هـ	يحيى بن يحيى الليثي ت ٢٣٤هـ

ورغم ما يمكن إيراده من ملاحظات على الجدول. كالاقتصاد على عدد معين، إلاَّ أنَّهُ يعطي صورة تقريبية لهذه المدرسة بالتركيز على أعلامها البارزين.

مؤلفات علماء المدينة في الفقه في القرنين الأول والثاني للهجرة:

١. في عهد الصحابة:

قد يتبادر إلى ذهن الكثيرين أنَّهُ لا يوجد تأليف في هذا الباب في عهد الصحابة، وأن التأليف كان متأخراً ومقتصراً على القرن الثاني الهجري وما بعده،

ولكـــن الواقـــع غير ذلك، إذ إن التأليف في الفقه في المدينة بدأ من عهد الصحابة. فممن أثر عنه ذلك:

أ. زيـــد بـــن ثابـــت ﷺ: ذكـــر أن له كتاباً في الفرائض، قال ابن خير الأشبيلي: «كتاب الفرائض لزيد بن ثابت رحمه الله، حدثني به أبو بكر بن أحمد بن طاهـــر... عـــن عـــبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد عن أبيه زيـــد بـــن ثابت»[1]، ثمَّ بعده عنوان: «الفرائض لأبي جعفر الطبري مختصرة على مـــذهب زيد بن ثابت»[2] ونقل عن الزهري ما يدل على تدوين زيد للفرائض، إذ يقـــول: «لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من النَّاس»[3]، ويشـــير البيهقي إلى أن أبا الزناد شرح هذه الفرائض فيقول: «... أخبرنا أبو بكر محمـــد بـــن إبـــراهيم مـــن أصل كتابه. ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد، أن معاني هذه الفرائض وأصولها عن زيد بن ثابت، وأمَّا التفسير (الشرح) فتفسير أبي الزناد...»[4]، وثمة إشارة أخرى إلى هذا الكـــتاب، وهـــي أن زيد بن ثابت «كتب رسالة في الفرائض وجهها إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وضمنها معلومات فقهية تخص المواريث»[5].

ب. قبيصـــة بن ذؤيب الخزاعي، عدّه بعض العلماء من الصحابة لرؤيته الـــنَّبي ﷺ[6]، روى كـــتاباً في الفرائض عن زيد بن ثابت ﷺ[7]، ويرجح أن له مـــؤلفات أخـــرى في الفقـــه[8]. أمَّا آراؤه الفقهية فقد بقيت في كتب الفقه

(١) ابن خير الأشبيلي، الفهرسة، ص٢٦٣.

(٢) ابن خير الأشبيلي، الفهرسة، ص٢٦٣.

(٣) البســـوي، المعرفة والتاريخ، ٨٤٦/١، السنن الكبرى، ٢١٠/٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٣٦.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ٢١٣/٦.

(٥) البيهقي، السنن الكبرى، ٢١٣/٦.

(٦) العجلي، معرفة الثقات، ٢١٥/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٤٧/٨.

(٧) أحمد بن حنبل، العلل، ٢٣٦/١. وينظر: سزكين، تاريخ التراث، ١٩/٢.

(٨) سزكين، تاريخ التراث، ١٩/٢.

المتأخرة[١]. توفي قبيصة بدمشق سنة ٨٦ هجرية[٢]، وكان قصدها قبل وفاته، فاستعمله الخليفة عبد الملك على ديوان الخاتم[٣].

٢. في عهد التابعين:

في عهد التابعين زادت حركة التأليف والتدوين في الفقه – كما في سائر العلوم الأخرى – ولأنَّ مدرسة المدينة الفقهية كان عمادها الحديث النبوي والآثار، فقد ظهر في المدينة تبويب للحديث حسب الفقه.

فمن التابعين الذين أثر عنهم التأليف في الفقه: أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، ذكر ابن حجر أنَّهُ ألف كتاباً في الفقه فقال: «كان فقيهاً صاحب كتاب»[٤] يعني في الفقه، ولكنه لم يذكر اسم هذا الكتاب، ويذكر أحد الباحثين قوله: «والأحاديث التي ذكرها مالك في الموطأ والتي تبلغ ٥٤ حديثاً يحتمل أن تكون من ذلك الكتاب الفقهي الذي ذكره ابن حجر»[٥].

وقد سبقت الإشارة عند الكلام على تأليف زيد في الفرائض أن لأبي الزناد «كتاب تفسير على فرائض زيد بن ثابت» وصلت منها بقايا كثيرة في كتاب السنن الكبرى للبيهقي[٦].

وربيعة بن أبي عبد الرحمن (ربيعة الرأي):

له كتاب – على الأقل – في الفقه، ظل يستخدم عند الفقهاء في القرن الثالث الهجري، وأغلب الظن أن هذا الكتاب كان مصدراً هاماً لعبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ) – وهو من تلامذة الإمام مالك المشهورين - في كتابه الموطأ، وكذلك

---

(١) سزكين، تاريخ التراث، ٢/١٩-٢٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/١٣١. العجلي، معرفة الثقات، ٢/٢١٥، البستي، مشاهير، ص ٦٤. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٦٠. السيوطي، إسعاف المبطأ، ص٣٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٥/١٣١. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٦٠.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٢٠٥.

(٥) سزكين، تاريخ التراث، ٢/٢٤.

(٦) البيهقي، السنن الكبرى، ٦/٢١٣ و٢٤٧.

يـــرجح أن مالكاً في «الموطأ»[١] قد استخدم هذا الكتاب الذي يحتوي على عدد كبير من آراء ربيعة بجانب الروايات التي نقلها عنه فيذكر ابن عبد البر أن لمالك عن ربـــيعة بـــن أبي عـــبد الرحمن «من مرفوعات الموطأ اثني عشر حديثاً منها خمسة متصـــلة»[٢]، وقد أفاد مؤلف المدونة من كتاب ربيعة مباشرة، وكان يذكر الاقتباس مقدماً له بصيغة «قال» مثل: «قال ربيعة في أول الكتاب في تبعيض الغسل»[٣].

وزيد بن أسلم العدوي:

ليس له كتاب محدد في الفقه ولكن هذا لا يمنع من وجود كتاب أو أكثر له في ذلـــك، ودليلنا على هذا أن الإمام مالك نقل عنه في الموطأ ٥١ رواية قال في ذلك: «لمالك عن زيد بن أسلم من مرفوعات الموطأ واحد وخمسون حديثاً: منها مسندة ثلاثـــة وعشرون حديثاً، ومنها حديث منقطع: تتمة أربعة وعشرون، ومنها مرسلة سبعة وعشرون حديثاً»[٤]. فأمَّا المراسيل – وهي غالباً ما تمثل آراؤه الخاصة – فقد جمعهـــا ابن عبد البر نقلاً عن الموطأ بعنوان: «مراسيل زيد بن أسلم عن نفسه»[٥]، وله آراء فقهية في تفسيره، والذي نقله عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويبدو أنَّهُ بقي كله أو بعضه في تفسير الطبري[٦].

يحيى بن سعيد الأنصاري:

ذكر أنَّهُ كان صاحب كتب في هذا الباب، فروي عن الليث بن سعد قوله: «إن أول ما أتي يحيى بن سعيد بكتب علمه فعرضت عليه استنكر كله...»[٧]، وله آراء فقهـــية نجـــد الكـــثير مـــنها في المـــوطأ لمالك، وفي كتاب الأم للشافعي، وفي

---

(١) المـــوطأ هـــذا هـــو «المـــوطأ الصـــغير» لأبي محمد عبد الله بن وهب المالكي المقري المتوفى سنة ١٩٧هـ حاجي خليفة – كشف الظنون – ١٩٠٧/٢.

(٢) ابن عبد البر، التمهيد، ٣/٥-٦.

(٣) سزكين، تاريخ التراث، ٢٥/٢.

(٤) ابن عبد البر، التمهيد، ٢٥/٢.

(٥) سزكين، تاريخ التراث، ٢٤/٢. وينظر: عن الأحاديث المرسلة عن زيد بن أسلم مع شرحها: ابن عبد البر، التمهيد، الأجزاء ٣ و٤ و٥.

(٦) ينظر: فصل علوم القرآن/مبحث التفسير. أيضاً: سزكين، تاريخ التراث، ٢٤/٢.

(٧) البسوي، المعرفة والتاريخ، ٦٤٨/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٢٢/١.

«المدونـــة»[١]، وثمة إشارة لدى البسوي أن أحد أتباع التابعين كتب عنه هذا العلم فيقول: «سمعت أصحابنا يقولون: إن عبد الوهاب بن عبد المجيد كتب عن يحيى بن ســعيد فذهبت كتبه، فخرج إليه قاصداً فكتب عنه، ونقل أيضاً عن علي بن المديني قـــال: ليس في الدنيا كتاب عن يحيى أصح من كتاب عبد الوهاب، وكل كتاب عن يحيى هو كلّ عليه»[٢].

٣. في عهد أتباع التابعين:

وممن ألف في الفقه في هذا العهد نذكر:

أ. محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن أبي ذئب القرشي، أبو الحارث ومن مؤلفاته في الفقه: «كتاب السنن، ويحتوي على كتب الفقه، مثل، الصلاة، والطهارة، والزكاة، والمناسك... وغير ذلك»[٣].

ب. عـــبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله) بن ذكوان (ت ١٧٤هـ): كان من فقهاء المحدثين، ومن المكثرين في التأليف من أهل المدينة في عصره.

أمَّـــا جهوده في التأليف، فله من الكتب: «كتاب الفرائض، وكتاب رأي الفقهاء السبعة من أهل المدينة وما اختلفوا فيه»[٤].

ج. عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٦٤هـ): ألف موطأ له في الفقـــه، ذكـــر عنه القاضي عياض ما نصه: «أول من عمل الموطأ عبد العزيز الماجشون، عمله كلاماً بغير حديث...»[٥]. وقال الخطيب: «له كتب مصنفة في الأحكـــام يـــروي ذلـــك عـــنه عـــبد الله بن وهب، وعبد الله بن صالح، وغيرهما...»[٦] وأشاد العجلي بتأليفه فقال: «ثمة فقيه مصنف»[٧].

(١) سزكين، تاريخ التراث، ٢/٢٦.
(٢) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨١. البغدادي، هدية العارفين، ٢/٧.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨١. البغدادي، هدية العارفين، ٢/٧.
(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٢.
(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك (ط المغرب)، ٢/٧٥.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/٤٣٩.
(٧) العجلي، معرفة الثقات، ٢/٩٧.

د. الإمـــام مالـــك بن أنس: له من الكتب في الفقه: كتاب الموطأ[١]. وهذا الكتاب وإن ذكر في كتب الحديث إلاَّ أَنَّهُ أيضاً كتاب فقه مرتب بأحاديثه علـــى أبواب الفقه بدأً بالطهارة والصلاة والصَّوم... مروراً بالفرائض والبيوع والـــديات وغير ذلك[٢]. يقول مالك عما في الموطأ: «فيه حديث رسول الله ﷺ، وقـــول الصـــحابة والـــتابعين، ورأيي...، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا»[٣].

هـ. وممـــن ألف من أهل المدينة في الفقه في هذا العهد، عبد الملك بن عـــبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (ت ١٨٩هـ): من جهوده في التألـــيف ما ذكره ابن النديم أن «له كتباً في الفقه مصنفة»[٤] ويظهر أن تأليفه كان في فقه الإمام مالك فقد عدّه ضمن تلاميذه جماعة، منهم ابن النديم إذ قال: «من جلة أصحاب مالك»[٥] غير أَنَّهُ لم يذكر لنا ما اسم الكتاب الفقهي الذي ألفه، وقد انقطع النص عند ابن النديم عندما ذكر اسم الكتاب فجاء النص على النحو التالي «... منها كتاب كبير يحتوي...»[٦].

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٥١، وينظر ما كتبناه عن الموطأ في فصل علوم الحديث.

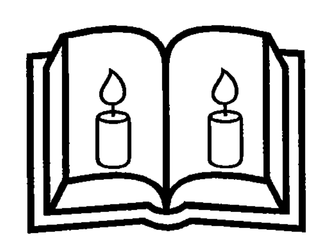
(٢) ينظـــر عن موطأ مالك وأهميته وعدد نسخه وشرّاحه، المقدمة الجيدة التي كتبها: عبد الوهاب عبد اللطيف في تحقيق: موطأ الإمام مالك برواية الشيباني، ص١٢-٢٨. وفهرس أبوابه: ص٤٠٧، وما بعدها.

(٣) عياض، ترتيب المدارك، ٢/٧٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٢.

(٥) ن.م، ص٢٥٢.

(٦) ن.م، ص٢٥٢.



الفصل السادس

السيرة النبوية والتاريخ

السيرة في اللغة:

السنة والطريقة والهيئة، «سار بهم سيرة حسنة، وسير سيرة أي حدّث أحاديث الأوائل»[1]، وفي الاصطلاح، تعني ترجمة حياة شخص ما أو تاريخ حياته، غير أنَّهُ إذا أطلق لفظ السيرة إنَّما يراد بها ترجمة حياة النَّبي ﷺ حتى أنها أصبحت علماً على عِلْم قائم بذاته هو علم السيرة[2].

ويبدو أن دراسة السيرة كانت داخلة أول الأمر في دراسة الحديث النبوي، وكانت تعرف بـ(المغازي) «ومع أن المحدثين استمروا على اهتمامهم بالمغازي، إلاَّ أن البعض منهم أخذ يعنى بدراسة حياة الرسول ﷺ بشكل يتعدى الاقتصار على نواحي التشريع»[3].

ولهذا الرأي ما يبرره، ذلك أن رواد دراسة المغازي كانوا من المحدثين، ثمَّ إن رواية المغازي كانت تعتمد على الإسناد الذي كان يزيد «في تقدير قيمة المغازي»[4]. والأمر الثالث، أن المغازي احتلت باباً من أبواب علم الحديث النبوي إذ لما رتبت الأحاديث في الأبواب، جمعت السيرة في أبواب مستقلة، كان أشهرها

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سير).

(٢) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٠١٢/٢. أيضاً: ديلافيدا، (مادة سيرة)، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية). الكردي، راجح عبد الحميد، شعاع من السيرة النبوية...، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص١٣.

(٣) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٠.

(٤) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٠.

باب يسمى المغازي والسير أو الجهاد والسير[١].

غير أنَّهُ بمرور الزمن أخذت السيرة تستقل عن الحديث، وصارت كتب السير والمغازي تؤلف بمفردها، وتبلور هذا أكثر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري فـيما بعد، ويؤيد كون السيرة أخذت مكانها في التأليف والاهتمام في القرن الثاني الهجـري، مـا ذكـره المدائني عن ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري[*]: «اكتب النسب فبدأت بنسب مضر وما أتممته، فقال: أقطعه... واكتب لي السيرة»[٢]، وفي هذا دلالة واضحة على أن علم السيرة النبوية ظهـر كعلـم مستقل منذ وقت مبكر. بحيث أصبح أمر كتابته ضرورياً جعل أحد الولاة يفكر في كتابته.

ولا يمكن أن نفرق بين السيرة والمغازي إذ هما مفهومان مترادفان يستعملان بمعـنى واحد ولا يفرق بينهما، يقول ابن كثير متحدثاً عن ابن إسحاق: «قال ابن إسـحاق في المغازي»[٣]، وهو يعني السيرة. وأن الواقدي استعمل كلمة المغازي عنواناً لكتابه وشمل سيرة الرسول ﷺ في المدينة فقط.

لقيت السيرة النبوية (المغازي) اهتماماً واسعاً بين علماء المدينة رواية وتدويناً، ويظهر من اهتمام الصحابة بالسيرة ما روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنَّهُ قال: «كنا نعلّم أبناءنا مغازي رسول الله كما نحفّظهم الآية من القرآن...»[٤]، كذلك اهتم التابعون ومن بعدهم بها. لقد جاء هذا الاهتمام بالسيرة إلى كون أفعال النّبي ﷺ وأقواله لها أهمية كبرى في حياته وبعد موته لأنَّهُ القدوة للمسلمين وأنهم بحاجة إلى

---

(١) ينظر من كتب الحديث في هذا الشأن: البخاري، الصحيح، ٤/١٧-٥٤، على سبيل المثال.

(*) خالـد القسري: ولي مكة من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ هجرية، وقيل بل ولاّهُ عليها سنة ٩١ هجرية، وبقي إلى سنة ٩٦ هجرية إذ عزلهُ الخليفة سليمان. الطبري، تاريخ، ٦/٤٦٤ و٤٦٧ و٥٢٢، ثمّ ولاهُ الخليفة هشام بن عبد الملك العراق والمشرق سنة ١٠٥ هجرية وعزل سنة ١٢٠ هجـرية. الطـبري، تـاريخ، ٧/٢٦-٢٨ و٧/١٤٢-١٥٤. لذا يبدو أنَّهُ طلب كتابة السيرة مع الزهري (بين ٩١-٩٦هـ) في مدة ولايته على مكة وهي البيئة التي تردد عليها الزهري مراراً.

(٢) الأصفهاني، الأغاني (ط الساسي)، ١٩/٥٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٢٤٣.

(٤) مؤلف مجهول، مولد المصطفى (قبس من السيرة النبوية)، دمشق، بلا.ت، ص٢.

معرفة تفاصيل حياته، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾ (الأحزاب/٢١).

سمات مدرسة المدينة التاريخية:

لقد اتسمت مدرسة المدينة في التاريخ بسمات كان من أهمها:

١. أنها ركزت على دراسة السيرة النبوية – المغازي – حتى عرفت منذ نشأتها بـ«مدرسة المغازي»[١]، وذلك لكون المدينة مهبط الوحي، وأن الرسول ﷺ مكث فيها ردحاً من الزمن داعياً وهادياً، وأنه عليه الصَّلاة والسلام أقام فيها دولة الإسلام، فضلاً عن كون الاهتمام بأفعال الرسول ﷺ «للاهتداء بها أو للاعتماد عليها في التشريع، وفي التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة ضرورة مباشرة وطبيعية لدى أهل العلم»[٢].

٢. اهتمت بالإسناد، والواقع أن الإسناد ظهر متزامناً مع رواية الحديث وانعكس بدوره على رواية المغازي، وتعدّ المدينة المنورة بيئة الإسناد الأولى، وتمثلت قوته في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وخير من يمثله الإمام الزهري الذي يعكس وجهة نظر أهل المدينة في تبني الإسناد[٣].

٣. أنها ارتبطت بدراسة الحديث حتى تكاد تكون متفرعة منه، ولاسيما أن الذين حملوا لواء هذه المدرسة، وشيدوا صرحها هم (المحدّثون)، أمثال عروة بن الزبير، والزهري، وعبد الله بن أبي بكر، وموسى بن عقبة وغيرهم – كما سنرى – وسنراعي في هذا الفصل دراسة رجال السيرة في المدينة على ترتيب جهودهم في هذا العلم، وقدم وفاتهم – قدر المستطاع – ومن خلال دراسة هذه التراجم نبرز منهجية مدرسة المدينة في السيرة والتاريخ، وما قامت به من دور بارز في وضع أساس هذا العلم.

---

(١) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٦١.

(٢) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٦١.

(٣) ينظر ما كتب في ترجمة الإمام الزهري في الرسالة.

تسلسل طبقات مؤرخي السيرة من (المشاهير)

الطبقة الأولى

↓

أبان بن عثمان بن عفان (مدني) ت بين ٩٩-١٠٥هـ

عروة بن الزبير بن العوام (مدني) ت٩٢أو ٩٤هـ

شرحبيل بن سعد (مدني) ت ١٢٣هـ

وهب بن منبه (يماني) ت ١١٠هـ

الطبقة الثانية

↓

عبد الله بن أبي بكر بن حزم (مدني) ت ١٣٥هـ

عاصم بن عمرو بن قتادة (مدني) ت ١٢٠هـ

ابن شهاب الزهري (مدني) ت ١٢٤هـ

الطبقة الثالثة

↓

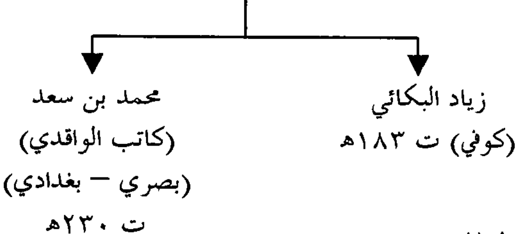
موسى بن عقبة (مدني) ت ١٤١هـ

محمد بن راشد (بصري) ت ١٥٠هـ

محمد بن إسحاق (مدني) ت ١٥٢هـ

أبو معشر السندي (مدني) ت ١٧٠هـ

محمد بن عمر الواقدي (مدني) ت ٢٠٧هـ



عبد الملك بن هشام

صاحب السيرة (البصري) ت ٢١٨هـ

مشاهير أعلام مدرسة المدينة في السيرة النبوية والتاريخ في (ق١ وق٢هـ):

أبان بن عثمان (ت بين ٩٩-١٠٥هـ):

وهـــو ابن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، من كبار التابعين، ولد بالمدينة وعاش بهـــا، وولي إدارتها سبع سنين، ومات فيها ما بين (٩٩-١٠٥هـ)[١]، وهو في عداد المحـــدثين الذين كان لهم «ميل إلى دراسة المغازي»[٢]، فقد روى الحديث عن أبيه وغيره[٣]. وكان ثقة في الرواية يقول العجلي عنه: «مدني تابعي ثقة»[٤] وفضلاً عن الحديث فقد «كان من أعلم النَّاس بالقضاء»[٥].

أمَّا عن تأليفه في السيرة، فقد أورد ابن سعد إشارة عند حديثه عن المغيرة بن عـــبد الرحمن إذ قال: «كان ثقة قليل الحديث، إلاَّ مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها»[٦].

وليســـت هـــذه المغازي التي رواها المغيرة عن أبان كتاباً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وإنَّما هي مجموعة من الأخبار المتعلقة بحياة النَّبي ﷺ[٧]. علماً أن ابن سعد وابن هشام لم يرويا له شيئاً في السيرة[٨]، ولم أقف على من روى له من غيرهم من المؤرخين[٩] ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١١٢/٥. البستي، مشاهير، ص٦٧. الذهبي، العبر، ١٢٩/١ (وذكرهُ مع وفيات ١٠٥هـ).

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١.

(٣) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١١٢/٥.

(٤) العجلي، معرفة الثقات، ١٩٩/١.

(٥) البستي، مشاهير، ص٦٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ١٥٦/٥.

(٧) هورفـــتس، المغـــازي الأولى ومؤلفوها، ص٦. وينظر: حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، مكتبة النهضة المصرية، بلا.ت، ص٢٩.

(٨) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٣٢١/٢. حسين نصار، نشأة التدوين، ص٢٩.

(٩) وهم الأستاذ د. عبد العزيز الدوري عندما قال: «وإذا استثنينا إشارة إليه في اليعقوبي»، نشأة علم التاريخ، ص٢١. والصواب أنَّهُ ليس أبان بن عثمان بن عفان، بل أبان بن عثمان بن يحيى البجلي =

المغازي[١]، كما يبدو أنَّهُ لم يبق شيء من آثار المغازي التي دونها أبان.

عروة بن الزبير:

أحد كبار الفقهاء والمحدثين المدنيين[٢]، ومن رواد مدرسة السيرة والتاريخ في المدينة.

يعدّ ابنه هشام، وابن شهاب الزهري، أشهر الرواة عنه في السيرة وأخبار الأيام الأولى من تاريخ الإِسلام.

أمَّا آثاره في السيرة والتاريخ: فقد وصلت إلينا مقتبسات من رسائله مدونة في كتب التاريخ والسيرة، كتاريخ الطبري، وسيرة ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، وكذلك عن المتأخرين من كتّاب السيرة، كابن سيد الناس، وابن كثير، وغيرهم، «وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصلنا من تاريخ المغازي»[٣]، وكذلك وردت عنه معلومات تتعلق بالسيرة في كتب الصحاح، كحديثه عن الهجرة، في صحيح البخاري[٤].

ومن الجدير بالذكر أن معظم المقتبسات هذه، كانت على شكل رسائل متبادلة بين عروة وشخصيات أخرى منهم الخليفة عبد الملك بن مروان — في الغالب — ومنها ما كان متبادلاً مع ابن أبي هنيدة الذي وصف بأنه «صاحب الوليد بن عبد الملك»[٥] هذه المقتبسات تشمل جوانب مختلفة من حياة الرسول ﷺ، كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول ﷺ، وبعض الأخبار المتعلقة

=

المعروف بأبان الأحمر، المتوفى سنة ٢٠٠هـ، والذي ذكره اليعقوبي، تاريخ (ط صادر) ٦/٢، أنَّهُ روى عن جعفر بن محمد (ت ١٤٨هـ) فليس من المعقول أن أبان بن عثمان التابعي يروي عن جعفر بن محمد، علماً أن أبان الأحمر الذي أشار إليه اليعقوبي له كتاب المغازي في أخبار المبتدأ والمبعث وغزوات الرسول ﷺ والسقيفة والردة. ينظر أيضاً: الزركلي، الأعلام، ٢٧/١.

(١) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١.

(٢) تراجع ترجمة عروة في فصلي الحديث والفقه.

(٣) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١.

(٤) أورد البخاري، حديث الهجرة عن عروة في حوالي ست صفحات كبيرة، الصحيح، ٧٣/٥-٧٨.

(٥) ابن هشام، السيرة، ٣٢٦/٢. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص١٩.

بالصـــدر الأول من الإِسلام. وأحوال المسلمين الأولى..»[١]. فمن أمثلة ذلك: ما أورده الطبري من جواب عروة للخليفة عبد الملك عن خبر الهجرة إلى الحبشة وتأتي بإِســـناد جاء في آخره: «... حدثنا أبان العطاء قال: ثنا هشام بن عروة عن عروة، أنَّـــهُ كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمَّا بعد، فإِنَّه -يعني رسول الله ﷺ-، لما دعا قومه... وعصم الله منهم من شاء... أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة»[٢].

ويـــرد إســـناد آخر مماثل عن هجرة المسلمين إلى أرض يثرب، ولكن آخر الإِســـناد هـــو «عن عروة أنَّهُ قال...»[٣] ولم يذكر هل أنَّهُ كتبه إلى عبد الملك أو غـــيره. وثمة إسناد ثالث أيضاً «أبان العطار، قال: حدثنا هشام بن عروة عن عروة قال:...»[٤] وهذا النص ما يتعلق بهجرة النَّبي ﷺ نفسه، ويذهب هورفتس إلى كون الاقتباسات «مأخوذة من رسالة واحدة، أرسل بها إلى عبد الملك»[٥].

وكذلك يورد عروة بنفس الإِسناد جواباً مكتوباً للخليفة عبد الملك عن وقعة بدر الكبرى، ضمنه بعض الآيات القرآنية المتعلقة بغزوة بدر الكبرى، ويشغل هذا الـــنص قرابة أربع صفحات[٦]. وثمة رسائل أخرى دونها الطبري في تاريخه، يرويها هشـــام بـــن عروة، عن أبيه، منها ما يتعلق بخبر فتح مكة[٧]، ومنها عن خبر غزوة حـــنين[٨]، وآخر عن غزوة الطائف[٩]، وغيرها. وكذلك أورد ابن هشام في السيرة من رواية الزهري أن عروة كتب إلى ابن أبي هنيدة وكان يسأله عن آية المهاجرات بعـــد هدنة الحديبية: وكان ابن أبي هنيدة صاحب الوليد بن عبد الملك. وجاء السند كالآتي: «قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير. قال: دخلت عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيدة صاحب الوليد...»[١٠].

ومـــن يلقـــي نظرة على المقتبسات الواردة عند كتاب السيرة والمؤرخين من

(١) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١.
(٢) الطبري، تاريخ، ٣٢٨/٢.
(٣) الطبري، تاريخ، ٣٦٦/٢.
(٤) ن.م، ٣٧٥/٢.
(٥) هورفتس، المغازي الأولى، ص٢٠.
(٦) الطبري، تاريخ، ٤٢١/٢-٤٢٤.
(٧) ن.م، ٥٥/٣-٥٦.
(٨) ن.م، ٧٠/٣.
(٩) ن.م، ٨٢/٣-٨٣.
(١٠) ابن هشام، السيرة، ٣٢٦/٢.

مغازي عروة بن الزبير يلاحظ ما يأتي:

١. أن عروة لم يكن يلتزم الإسناد – في الغالب – وذلك لأنَّ «النظرة إلى الإسناد في زمنه كانت لا تزال مرنة، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد[١]، كالأمثلة التي أوردناها أعلاه.

٢. وهذا لا يعني أنَّهُ لم يذكر الإسناد في كل رواياته فقد ذكره في بعضها، مثل ما ذكره عن حديث هجرة النَّبي ﷺ فقد ذكر في وسط الخبر قوله: «فأخبرتني عائشة، أنهم بينا هم ظهراً في بيتهم...»[٢]. وأيضاً نفس الخبر يورده برواية أخرى، إذ ساقه الطبري عن «محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن... قال: حدثني عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النَّبي ﷺ...»[٣].

فهذين الإسنادين عن عائشة ويوجد غيرها كثير وكذلك أسند عروة عن عبد الله بن عباس، فمثلاً ما يتعلق بغزوة بدر، جاء السند عند الطبري كالآتي: «... حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان وغيرهم من علمائنا، عن عروة عن عبد الله بن عباس، كل قد حدثني بعض هذا الحديث...»[٤].

٣. وأحياناً لا يذكر من يروي عنه ويكتفي (أي عروة) بقوله: (فأخبرت)، مثال ما أورده الطبري عن فتح مكة فقد جاء في وسط الجواب الذي كتبه عروة إلى الخليفة عبد الملك عن هذه الحادثة قوله: «فأخبرت أنَّهُ (أي النَّبي ﷺ) قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن... الخ»[٥].

٤. وأحياناً يورد آيات قرآنية يضمنها الخبر لاتصالها بالحدث الذي يرويه، مثلاً ما ذكره عن أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة، جاء السند كالآتي:...«محمد بن إسحاق، قال: حدثني يحيى بن عروة، عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن... عبد الله بن مسعود...» وغيرها[٦].

---

(١) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢١ وص٧٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢/٣٧٥.

(٣) ن.م، ٢/٣٧٧.

(٤) ن.م، ٢/٤٢٧.

(٥) ن.م، ٢/٥٥.

(٦) ن.م، ٢/٣٣٤-٣٣٥.

٥. وكـــان في بعض الأحيان يورد الشعر ضمن الخبر التاريخي، كونه من رواته[١]، وربَّما أيضاً يدل على حبه للشعر، ودور الشعر في الثقافة[٢]، آنذاك، ومن أمـــثلة ذلك ما ذكره الطبري، مسنداً إلى عروة، قال: قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم وجذام ما رأى...[٣] ثمَّ ذكر الشعر ضمن الخبر الذي رواه.

٦. لم يقتصر اهتمام عروة على السيرة النبوية في رواياته حسب، وإنَّما امتدت إلى تاريخ الخلفاء الراشدين، فقد وردت مقتبسات كثيرة له على سبيل المثال، عن عزم الخليفة أبو بكر ﷺ على إنفاذ بعث أسامة على الرغم من حرج وضـــع المســـلمين[٤]، وخبر ردّة بعض القبائل وما جرى بين خالد بن الوليد وأهل اليمامة[٥]، وكذلك ما يتعلق بقيادة الجيوش المتوجهة لفتح بلاد الشام[٦]، وخـــبر أجـــنادين[٧]، ومرض الخليفة أبو بكر ﷺ ووفاته[٨]، وما يتعلق بواقعة القادســـية[٩]، وخبر عن ذهاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى آيلة في إحدى رحلاته إلى الشام[١٠]. وخبر عن وقعة الجمل في خلافة علي ﷺ، وغيرها[١١].

شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ):

وهـــو ثالـــث ثلاثـــة مـــن الطـــبقة الأولى من أهل المدينة ممن لهم شأن في تـــاريخ ســـيرة الرســـول ﷺ وقـــد ولـــد في أواخر عهد عمر بن الخطاب ﷺ أو أوائل عهد عثمان ﷺ[١٢].

ولقي جماعة كبيرة من الصحابة بالمدينة وأخذ عنهم الحديث خاصة، ومنهم:

---

(١) أورد الـــذهبي رواية عن... أبي الزناد قال: «ما رأيت أروى للشعر من عروة...» تراجم رجال، ص٤٦.

(٢) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٢، نصار، نشأة التدوين، ص٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ٥٧١/٣.

(٤) ن.م، ٢٢٥/٣.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٩.

(٦) الطبري، تاريخ، ٣٩١/٣.

(٧) ن.م، ٤١٧/٣-٤١٨.

(٨) ن.م، ٤١٩/٣-٤٢٠ و٤٢٢.

(٩) ن.م، ٥٠٥/٣.

(١٠) ن.م، ٦٤/٤.

(١١) ن.م، ٥٢٥/٤.

(١٢) ابـــن ســـعد، الطـــبقات (ليدن)، ٢٢٨/٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٢١/٤. هورفتس، المغازي الأولى، ص٢٥.

زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم[١]، وكان يكثر من التردد على زيد بن ثابت فيقيم عنده في الأسواف[٢].

قال عنه البستي: «كان من المتقنين»[٣] وأشاد ابن سعد بمنزلته العلمية فقال: «كان شيخاً قديماً... وله أحاديث»[٤]. أمَّا عن أهميته في المغازي فيروى عن سفيان بن عيينة قوله في شرحبيل بأنه: «لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه»[٥].

وقد وقف بعض المؤرخين والمحدثين منه موقف المتحفظ، ذلك أن بعضهم قال عنه: «يجعل لمن لا سابقة له، له سابقة»[٦]، غير أن موسى بن عقبة دافع عنه أشد دفاع، يذكر ابن حجر ذلك بقوله: «... فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال: وإن النَّاس قد اجترؤوا على هذا...»[٧].

وقد أخذ عنه ابن سعد «خبراً عن هجرة النَّبي ﷺ من قباء إلى المدينة دون أن يذكر لهذه الفقرة أي إسناد»[٨].

عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥هـ):

أحد مشاهير الجيل الثاني من التابعين، وهو أحد علماء الحديث، غير أنَّهُ وجه عناية خاصة إلى المغازي، وهذا مما يعطي دلالة واضحة على شدة ارتباط علم الحديث بالسيرة (المغازي)، ولد عبد الله بن أبي بكر من أسرة مدنية عريقة من الأنصار، ونشأ بالمدينة وتعلم على كبار علمائها، منهم والده أبو بكر بن محمد الذي كان من المحدثين، فشجع ابنه على دراسة الحديث، كما أخذ عن خالة أبيه عمرة

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٢٨/٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٩١/١، وقال عن الأسواف: «موضع بعينه بناحية البقيع، وهو موضع صدقة زيد بن ثابت الأنصاري، وهو من حرم المدينة».

(٣) البستي، مشاهير، ص٧٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٢٨/٥.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٢١/٤.

(٦) ن.م، ٣٦١/١٠.

(٧) ن.م، ٣٦١/١٠.

(٨) ابن سعد، الطبقات، ١٦٠/١. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٢٧.

بـــنت عبد الرحمن، وعن أنس، وسالم بن عبد الله بن عمر، ... وعروة بن الزبير، والزهــري، وأبي الزناد وهما من أقرانه[١]. وروى عنه الزهري أيضاً، وابن أخيه عبد الملــك بن محمد، وهشام بن عروة، وفليح بن سليمان، وابن إسحاق، والسفيانان، وابن لهيعة، وابن علية، وغيرهم[٢].

كـــان عبد الله بن أبي بكر من مشاهير المحدثين في المدينة، وقد وثقه كثير من العلمـــاء والمحـــدثين، فوصفه الإمام مالك بقوله: «كان كثير الحديث، وكان رجل صدق»[٣]، وقال ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث عالماً...»[٤]. كذلك وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي[٥]، والعجلي وغيرهم، وقال الأخير: «مدني تابعي ثقة»[٦]. تـــوفي عـــبد الله في المديـــنة سنة ١٣٥ هجرية ويقال سنة ١٣٠هجرية[٧]، والأول أرجح.

ومـــن خلال المقتبسات الكثيرة التي نقلت عن عبد الله بن أبي بكر في كتب السيرة والتاريخ، يمكن للباحث أن يتصور مدى الأثر الكبير الذي تركه عبد الله فيما يـــتعلق بالمغازي خاصة، وبتاريخ حياة النّبي ﷺ، وتاريخ صدر الإسلام عامة. وكان من بين الروايات التي نقلت عنه، عند ابن إسحاق والواقدي، وابن سعد، والطبري.

إذ يرد في سيرة ابن هشام السند الآتي: «قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة قالت:... وذكر خبر الفيل»[٨]، ويتكرر السند نفسه عند الحديث عن خبر الإفك[٩].

ويورد الطبري أيضاً خبر غزوات النّبي ﷺ حديثاً مباشراً، نقله ابن إسحاق عن

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٤/٥-١٦٥. السخاوي، التحفة اللطيفة، ٣٠٢/٢٢.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٤/٥-١٦٥. السخاوي، التحفة اللطيفة، ٣٠٢/٢٢.
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٥/٥.
(٤) الذهبي، تراجم رجال، ص٢٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٥/٥.
(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٥/٥.
(٦) العجلي، معرفة الثقات، ٢٣/٢.
(٧) خليفة، طبقات، ص٢٧٣. البستي، مشاهير، ص٦٨. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٥.
(٨) ابن هشام، السيرة، ٥٧/١.
(٩) ن.م، ٥٩٧/٢. الطبري، تاريخ، ٦١١/٢.

عبد الله بن أبي بكر وقد جاء كالآتي: «... عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ستاً وعشرين غزوة، أول غزوة غزاها ودّان، وهي غزوة الأبواء، ثمَّ غزوة بواط إلى ناحية رضوى، ثمَّ غزوة العشيرة...»(١)، ثمَّ أتى على ذكر الغزوات جميعاً. وكذلك ورد السند نفسه (ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر)، في خبر السرايا والبعوث وكالآتي: «ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: كانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه — فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله — خمساً وثلاثين بعثاً وسرية...»(٢). وفي هذا دليل على مراعاة الترتيب الزمني في الحوادث ومنها الغزوات والسرايا والبعوث في عهد النَّبي ﷺ، يقول هورفتس: «ولم يقنع عبد الله بجمع الأخبار التي وصل إليها، فحاول أيضاً في هذا الزمن المبكر، أن يبتكر الترتيب السنوي للحوادث، فجمع قائمة بغزوات النَّبي ﷺ مرتبة ترتيباً سنوياً، استعاره ابن إسحاق لكتابه»(٣).

وإلى جانب اهتمامه بالرواية التاريخية فقد حفظ عبد الله بعض المدوّنات النبوية التاريخية، مثل الوثيقة التي أعطاها النَّبي ﷺ جدّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه، حين بعثه إلى أهالي نجران ليفقههم في الدين(٤). وقد جاء عند ابن هشام والطبري، ذكر إرسال عمرو بن حزم إليهم، وأن النَّبي ﷺ «كتب له كتاباً، عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾، عهد من محمد النَّبي رسول الله لعمرو بن حزم بعثه إلى اليمن...»(٥)، والكتاب (الرسالة) التي كتبها النَّبي ﷺ إلى ملوك حمير، وقد جاءت هي وكتاب عمرو بن حزم بنفس السند. «حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر قال: قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير

(١) الطبري، تاريخ، ٢/١٥٢-١٥٣ و١٥٧-١٥٨. قارن: ابن هشام، السيرة، ٢/٦٠٨-٦٠٩.
(٢) الطبري، تاريخ، ٣/١٥٤-١٥٦. قارن: ابن هشام، السيرة، ٢/٦٠٩ ويذكر أنها (٣٨).
(٣) هورفتس، المغازي الأولى، ص٤٣.
(٤) ابن هشام، السيرة، ٢/٥٩٤. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٤٤.
(٥) ابن هشام، السيرة، ٢/٥٩٤-٥٩٥. الطبري، تاريخ، ٣/١٢٨. مع فرق بسيط في بعض الألفاظ.

مقدمه من تبوك... فكتب إليهم رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النَّبي رسول الله ﷺ: إلى الحارث بن عبد كلال...[١]، وعرف عنه أنَّهُ روى بعض الشعر لا سيما ما رواه عن حسان بن ثابت شاعر الرسول[٢]. وخلاصة القول فإن عبد الله بن أبي بكر، كان من السابقين إلى الاهتمام بالمغازي وقد راعى فيها — كما أشرنا — الترتيب الزمني، «وهذا ما يجعله من أوائل، إن لم يكن أول واضع للمنهج الحولي في التاريخ الإسلامي عند مطلب القرن الثاني»[٣]، وهو فضلاً عن ذلك عني بالأخبار المدونة للسيرة إلى جانب الروايات الشفهية الكثيرة التي نقلت عنه، وبحكم علاقته الجيدة بابن إسحاق فقد اعتمد عليه الأخير في نقل الأخبار، وأكثر من الرواية عنه.

عاصم بن عمر بن قتادة: (ت ١٢٠هـ وقيل ١٢٩هـ):

هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، من بني ظفر من الأوس، أبو عمر المدني[٤]، من أسرة مدنية عريقة من الأنصار كانت من السابقين للإسلام، وكان جده ممن شارك في معركة بدر إلى جانب رسول الله ﷺ، فهو من طلائع المسلمين في المدينة، وكان والده عمر بن قتادة من رواة الحديث ولم يتقلد منصباً رسمياً، ولم يكن من الموسرين[٥].

لم نقف على سنة ولادة عاصم بن عمر، الذي نشأ في المدينة وأخذ من مشاهير علمائها من الصحابة مثل جابر بن عبد الله، ومحمود بن لبيد، وجدته رميثة ولها صحبة، وأنس والحسن بن محمد ابن الحنفية، وعلي بن الحسن وغيرهم[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ، ٣/١٢٠.

(٢) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٤٥.

(٣) ينظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين...، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص١٥٦.

(٤) خليفة الطبقات، ص٢٥٨، البستي، مشاهير، ص٧٠.

(٥) ابن هشام، السيرة، ١/٦٨٧. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٤٧. العسلي «عاصم بن عمر بن قتادة» مجلة كلية الآداب، العدد ٨، لسنة ١٩٦٥، مطبعة الحكومة — بغداد، ١٩٦٥، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٣-٥٤. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.

وروى عنه من مشاهير العلماء: زيد بن أسلم، ومن كتاب السيرة والمؤرخين محمد بن إسحاق، وأبو الأسود يتيم عروة، ويعقوب بن أبي سلمة الماجشون وغيرهم[1].

وفد على الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق، وكان قد احتاج إلى المال فطلب منه «أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث النَّاس بالمغازي ومناقب الصحابة ففعل»[2]. ويظهر أن سبب اختيار الخليفة عمر بن عبد العزيز لعاصم لهذه المهمة هو كونه من أهل العلم بالمغازي، فقد وصفه ابن سعد بذلك وقال: «كان راوية للعلم، وله علم بالمغازي والسيرة»[3].

ولم يمكث عاصم في دمشق طويلاً فقد عاد إلى المدينة، وهناك كان يشرح معارفه أمام سامعيه مدة تقرب من العشرين عاماً»[4].

وثقه كثير من العلماء قال ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث عالماً»[5] وذكره ابن حبان البستي في الثقات وقال: البزاز: ثقة مشهور، ووثقه أبي زرعة وابن معين...[6].

روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الكثير من الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية، فمن العهد المكي نذكر: خبر عن إنذار يهود برسول الله ﷺ، وقصة إسلام سلمان ﵁، وخبر عن عرض النَّبي ﷺ نفسه على العرب في المواسم، وقصته مع سويد بن صامت، وإسلام الأنصار في العقبة الأولى، وخبر عن بيعة العقبة الثانية، وكلام العباس بن عبد المطلب ﵁ فيها، وغير ذلك[7].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٣-٥٤. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٤-٥٥. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٤-٥٥. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.
(٤) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٤٨.
(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٤. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.
(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٥/٥٤. الذهبي، تراجم رجال، ص٢٢.
(٧) تسلسل هذه الأخبار عند ابن هشام على النحو الآتي: السيرة، ١/٢١١، ٢١٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٤، ٥٠٧، ٥٢٤-٢٥٢، ٥٨٤، ٦٠٦، ٦٢٥، ٦٢٧، ٦٤٣.

وكـــذلك نقل عنه ابن إسحـــاق روايات وأخبـــاراً تتعلق بالعهد المدني من السيرة النبوية مثل: خبر عن نقابة النَّبي ﷺ لبني النجار، وأخبار تتعلق بأمر المنافقين في المدينة، وروايـــات تتعلق بمعركة بدر الكبرى، وخبر عن نقض بني قينقاع للعهد مع النَّبي ﷺ، وأخبـــار تتعلق بغزوة أحد، وقـــائمة بمن استشهد فيها من المسلمين، ومقـــتل خبيب بن عدي، وأخبـــار عن غزوة الخندق، وعن غزوة بني قريظة، وما يـــتعلق بغـــزوة بني لحيان، وأخبار عن غزوة حنين ولقاء هوازن، وعن غزوة تبوك، وغير ذلك[١].

وكذلك أخذ الواقدي عن عاصم بن عمر بن قتادة الكثير من الأخبار المتعلقة بالمغازي النبوية[٢].

ويلاحظ على منهج عاصم في السيرة أنَّهُ لا يهتم كثيراً بالسند في رواياته، مع أنَّـــهُ أسند عن جماعة ممن تأخرت وفاته من الصحابة، وأن معظم مصادر روايته هم من الأنصار. أمثال: محمود بن لبيد، وأنس بن مالك، وعبد الله بن كعب بن مالك، وعـــبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، وغيرهم[٣]. وأنه يورد في بعض الأحيان أشعاراً يضـــمنها رواياته[٤]. «ويلاحظ أيضاً أن جلّ اهتمام عاصم بن عمر بأخبار الأنصار محـــاولاً إبـــراز موقفهم المشرف، والأعمال البطولية التي قدموها للرسول ﷺ، في المعـــارك، واستشارته لهم، وحب الرسول ﷺ للأنصار، والتوصية بهم خيراً في آخر

(١) تسلســـل هذه الروايات عند ابن هشام على النحو الآتي: السيرة، ٥٠٧/١، ٥٢٤-٥٢٥ و٥٨٤، ٦٠٦ و٦٢٥ و٦٢٧ و٦٤٣، ٤٧/٢، ٦٠ و٦٧ و٨٢ و١٢٢، ١٧٢-١٧٣، ٢١٤ و٢٢٣ و٢٢٧، ٢٤٠، ٢٨٣ و٢٩٢، ٤٤٢ و٤٤٣ و٤٤٥ و٤٩٨، ٥١٦.

(٢) ينظر: الواقدي، المغازي، (تحقيق جونس)، الصفحات على سبيل المقارنة: ٤٩، ٥٥، ٥٩، ٧٥، ١٢٥، ١٤٨، ١٥٨، ٢٥١، ٤٤٧، ٥١٥، ٧٣٣، ١٠٢٥، ١٠٢٩، وغيرها.

(٣) ينظر لذلك ما أورده ابن هشام، السيرة، ٢١٤/١، ٢١٩ و٢٨٧، و٨٧/٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٤٢، ٤٩٨، ٥٢٢، ٥٣٦ وغيرهـــا. وينظر: العسلي، عاصم بن عمر بن قتادة، مجلة كلية الآداب، ع٨، ١٩٦٥، ص٢٤١.

(٤) عن هذه المقاطع الشعرية، ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢٨٠/٢، ٥٠٣، ٥١٤.

خطبة له قبل مماته. فهو إذن يهتم بتاريخ الجماعات لا الأفراد»[(١)].

ابن شهاب الزهري:

يعدّ الإمام الزهري من أبرز المؤرخين المسلمين الذين أرّخوا للسيرة النبوية، لفترتي ما قبل البعثة وما بعدها، وأشدّ عناية الزهري كانت في المغازي، إذ توسع فيها وعني بها عناية كبيرة[(٢)]. وقد وردت إشارة لدى البيهقي إلى تأليف الزهري في المغازي بقوله: «... حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: هذه مغازي رسول الله، فذكر الحديث...»[(٣)] وكذلك ذكر السخاوي، أن الزهري روى المغازي عن عروة بن الزبير[(٤)]، فضلاً عما أشار إليه حاجي خليفة عن مغازي الزهري بقوله: «ومنها (أي المصنفات في المغازي) مغازي محمد بن مسلم الزهري...»[(٥)].

وعند الوقوف على المقتبسات التي وردت عن الزهري في مجال السيرة النبوية خاصة وتاريخ صدر الإسلام عامة، يلاحظ ما يأتي:

١. «إن دراسات الزهري التي تناولت حياة الرسول ﷺ سواء منها قبل البعثة أو بعدها، قد أعطت أول إطار واضح للسيرة، وأنه رسم خطوطها بجلاء، فترك لمن بعده أن يكمل هذا الإطار في التفاصيل فقط»[(٦)].

٢. أنَّهُ راعى التسلسل الزمني للحوادث في تاريخ عصر النبوة، فقد أورد روايات تتعلق بحياة النَّبي ﷺ من الولادة إلى الوفاة. منها، رواية تتعلق بحمل آمنة بنت وهب به، ووفاة والده عبد الله عند أخواله في يثرب[(٧)]. وأخرى عن

---

(١) العسلي، عاصم بن عمر بن قتادة، مجلة كلية الآداب، ع٨، ١٩٦٥، ص٢٤١.

(٢) ينظر ترجمة الزهري في فصل علوم الحديث، أيضاً: الضاري، الزهري وأثره في السنة، ص١٧٦ بتصرف.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، ٦/٥٥.

(٤) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ (ضمن كتاب روزنثال)، ص٥٢٧.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/١٧٤٧. وينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٧٩.

(٦) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٩٣.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٣/١٣٤-١٣٥. الطبري، تاريخ، ٢/٢٨١.

نسب النَّبي ﷺ، ثمّ ما يتعلق بحوادث لها أهميتها في حياة النَّبي ﷺ[١]، قبل البعثة، كحلف الفضول[٢]، وبناء الكعبة[٣]، وزواجه من خديجة[٤]، ونزول الوحي[٥]... إلى غير ذلك.

ثمّ يلي ذلك روايات تتعلق بحالة الدعوة الإسلامية في العهد المكي: مثل أول من أسلم[٦] ومعاملة قريش للرسول ﷺ والمسلمين الأوائل[٧]، ومحاولة الرسول ﷺ نشر الدعوة بين قبائل أخرى[٨]، والهجرة إلى الحبشة[٩]، وقصة الإسراء والمعراج[١٠]، والمقاطعة[١١]، وبيعة العقبة وبداية انتشار الإسلام في المدينة[١٢].

ثمّ تأتي الروايات المتعلقة بالفترة المدنيّة، بدءاً بحديث الهجرة، وبناء المسجد، وحالة المهاجرين في المدينة[١٣]... وهناك تركيز على المغازي وتفصيل عن سرية عبد الله بن جحش، وعدد المشاركين فيها ومعلومات عن العلاقة مع اليهود، وغزوة بدر وتفاصيلها[١٤]، ثمّ بقية الغزوات[١٥]... إلى أن

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/٧٣. الطبري، تاريخ، ٢/٢٣٩ وما بعدها.
(٢) ابن هشام، السيرة، ١/١٣٣ وما بعدها.
(٣) الطبري، تاريخ، ١/١٣٣ وما بعدها.
(٤) ن.م، ٢/٢٨١-٢٨٢.
(٥) ن.م، ٢/٢٩٨-٢٩٩.
(٦) الطبري، تاريخ، ٢/٣١٦.
(٧) ابن هشام، السيرة، ١/٣٧٣.
(٨) الطبري، تاريخ، ٢/٣٤٨-٣٥٠. قارن: ابن هشام، السيرة، ١/٤٢٤ وما بعدها.
(٩) ابن هشام، السيرة، ١/٣٣٤ وما بعدها.
(١٠) ابن هشام، السيرة، ١/٣٩٦ وما بعدها. البخاري، الصحيح، ٥/٦٦ وما بعدها.
(١١) ابن هشام، السيرة، ١/٣٥٠ وما بعدها.
(١٢) البخاري، الصحيح، ٥/٦٩ وما بعدها. قارن: ابن هشام، السيرة، ١/٤٣٤.
(١٣) البخاري، الصحيح، ٥/٨٣-٨٥ وما بعدها.
(١٤) ابن هشام، السيرة، ١/٦١٢ وما بعدها.
(١٥) ينظر على سبيل المثال: الواقدي، المغازي، ١٨١، ٢٥٠، ٥٠٩، ٨٩، ١٠٧٦. ابن هشام: السيرة، ٢/٢١٤، ٢٩٧، ٣٩٠، ٥٨٥ وغيرها.

ينتهي بحجة الوداع[١]، ثمَّ مرض النَّبي ووفاته ودفنه[٢] وغير ذلك.

٣. أنَّـــهُ راعى الإسناد في تحقيق الأحاديث والروايات المتعلقة بالسيرة وتـــاريخ صـــدر الإســـلام، لـــذا كان موقفه من الإسناد يعدّ موقفاً متيناً في عصـــره[٣]... وقد شهد له بذلك الإمام مالك بن أنس فقال: «أول من أسند الحـــديث ابـــن شهاب»[٤]، ونقل عن الزهري أنَّهُ كان يعتب على عدم إسناد النَّاس للحديث[٥]، وطريقة الإسناد عنده تختلف من موضع لآخر. فهو أحياناً يكتفـــي برواية أحد التابعين[٦]. وفي أحيان أخرى يسمح بحريّة أكثر، فلا يركّز علـــى الإسناد، ولاسيما في الأحاديث التاريخية[٧]. وأحياناً يطيل الإسناد بينه وبين الحدث الذي يرويه[٨]. غير أن الخطوة المهمة والكبيرة له هي في اعتماده طـــريقة الإســـناد الجمعي «وذلك بجمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يـــتقدمها رجـــال الإسناد، وهو بهذا خطا خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة...»[٩]، مثال ذلك روايته عن أربعة من كبار التابعين في رواية واحدة كلـــهم عن صحابي واحد، جاء في ذلك: «عن محمد بن إسحاق عن الزهري (عـــن علقمـــة بن أبي وقاص الليثي، وعن سعيد بن المسيب، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة)، قال الزهري: كل قد حدثني بعض

---

(١) الواقدي، المغازي، ١٠٩٧، ١١٠٣. ابن هشام، السيرة، ٢/٦٠١، ٦٠٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٦٤٢-٦٤٣.

(٣) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٩٤.

(٤) ابن أبي حاتم، تقدمة الجرح والتعديل، ص٢٠.

(٥) ســـبقت الإشارة لذلك، ص١٨١. وينظر: السباعي، مصطفى حسني، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، القاهرة، ١٩٦١، ص٢٩٣.

(٦) أمـــثلة ذلك: الواقدي، المغازي، ٢/٦٩٥ و٧٩٥-٧١٧ وغيرها. الطبري، تاريخ، ٢/٤٩٥ رواية عن عبد الله بن كعب.

(٧) مـــثال الأمـــاكن الـــتي أهمل فيها الإسناد: الواقدي، المغازي، ٢/٧٤١، ٧٥٢، ٨٦٤ وغيرها. الطبري، تاريخ، ٢/٥٥٤.

(٨) مثال طول السند: الواقدي، المغازي، ٢/٧٢٥.

(٩) ينظر: الدوري، نشأة علم التأريخ، ص٩٤.

هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض...»[١].

٤. أن الزهـــري كان يكثر من رواية الآيات القرآنية التي تتصل بالخبر التاريخي، فأحياناً تكاد الرواية التاريخية تكون تفسيراً للآية، مثال ذلك ما روي عـــنه أنَّـــهُ قـــال: «دخلت على عروة بن الزبير وهو يكتب إلى هنيد صاحب الولـــيد بن عبد الملك، وكان يسأله عن قول الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (الممتحنة/١٠) فكتب إليه: أن رســـول الله ﷺ صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ إليهم من جاء بغير إذن وليه... فلما هاجر النِّساء أبى الله ذلك...»[٢]، ثمَّ يذكر بقية الرواية وهو يفسّر مقاطع هذه الآية القرآنية إلى آخرها، وما ترتب عليها بعد ذلك. ثمَّ نحو ذلك في روايته عن سعيد بن المسيب خبر بيعة الرضوان (بيعة الشجرة) وما نزل فيها وربطه بين الآية القرآنية وهذا الحدث[٣]. ويمكن القول: أن هذه الروايات التي ذكرها الواقدي وغيره عن الزهري «تظهر بجلاء أن دراسة القرآن وهو حافل بالإشـــارات إلى شـــؤون المســـلمين في المدينة كانت عاملاً آخر في ظهور الدراسات التاريخية»[٤].

٥. وتسربت مواد أخرى إلى روايات الزهري التاريخية، فهناك شيء قليل من القصص الشعبي يلاحظ أثره في أماكن مختلفة، مثال ذلك ما أورده الطبري في عدة مواضع، منها خبر عن الزهري عن كاهن أسلم وقدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[٥]، وخبر عن موقف هرقل من كتاب النَّبي ﷺ الذي قدم به دحية الكلبي يدعوه فيه الرسول إلى الإسلام وغيرها[٦].

٦. كـــذلك أورد الزهـــري أحياناً بعض الأبيات الشعرية في رواياته.

---

(١) الواقدي، المغازي، ٢/٦٣١-٦٣٣ و٣/٨٨٩. الطبري، تاريخ، ٢/٦١١ و٢/٦٢١-٦٢٤.

(٢) الواقدي، المغازي، ٢/٦٣١-٦٣٣.

(٣) ن.م، ٢/٦٢١-٦٢٤.

(٤) ينظر: الدوري، نشأة علم التأريخ، ص٩٤.

(٥) الطبري، تاريخ، ٢/٢٩٦.

(٦) ن.م، ٢/٦٤٩.

«وهـذا طبيعي إذا تذكرنا أن النَّاس عامة كانوا يميلون للشعر وأنه كان عنصراً أساسياً في الثقافة»[١] من ذلك ما أورده من شعر في قصة مسير خالد إلى بني جذيمة بن مالك بعد فتح مكة سنة ٨ هجرية[٢].

٧. لم يقتصر الزهري في رواياته التاريخية على عهد النبوة بل امتد ليشمل عهد الخلافة الراشدة فقد تناول أحداث هذه الفترة بالتفصيل بدءاً بانتخاب الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ وبيعة السقيفة، وخطبة الخليفة الصديق ﷺ[٣]، ومروراً بالأحداث المهمة في عهد الخلفاء الثلاثة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وينتهي برواياته التي غطت هذه الفترة إلى عام الجماعة الذي شهد مفاوضات الحسن بن علي ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ، واتفاقهما على خلافة الأخير[٤].

أمَّا ما يتعلق بالعهد الأموي فإنَّه وإن لم يعالج الأحداث التاريخية في هذا العهد إلاَّ أنَّهُ أسهم ببعض الروايات التي تتعلق بأعمار الخلفاء الأمويين، ومدة حكم بعض خلفائهم. فيروى عن هشام بن الوليد المخزومي «أن الزهري كتب لجده أسنان الخلفاء فكان فيما كتب من ذلك: ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر[٥] في قول بعضهم، ويقال ثمانية أشهر»، وآخر ما يذكره الطبري عن الزهري في أخبار العهد الأموي هو مدة خلافة الوليد فيقول: «قال الزهري: ملك الوليد عشرة سنين إلاَّ شهراً»[٦].

وخلاصة القول فإن الزهري يعدّ من أوائل مدوّني التاريخ الإسلامي، فقد وضع خطوط كتابة السيرة النبوية وإطارها، كما شملت دراساته التاريخية فضلاً عن المغازي، تاريخ صدر الإسلام، والأنساب – التي عرف عنه سعة اطلاعه عليها

---

(١) ينظر: الدوري، نشأة علم التأريخ، ص٩٥.
(٢) الطبري، تاريخ، ٣/٦٨-٨٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ٩/٣٤٣.
(٣) ابن هشام، السيرة، ٢/٦٥٥ و٢/٦٦٠-٦٦٩.
(٤) الطبري، تاريخ، ٥/١٥٨ و٥/٦٢-١٦٤. وينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٩٦-٩٧.
(٥) الطبري، تاريخ، ٥/٤٩٩.
(٦) ن.م، ٦/٤٩٥.

وتأليفه بها – وجانباً من التاريخ العربي الإسلامي في العهد الأموي، فكل ذلك يدل على كونه بحق مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة.

وقد تابع جهود الزهري في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي تلاميذه، وأبرزهم في المدينة:

موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ):

هو موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام، ولد بين عامي ٥٥ هـ و٦٠هـ[(١)] ونشأ في أسرة عرفت بالعلم في المدينة فقد كان «لإبراهيم وموسى ومحمد بني عقبة حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكانوا كلهم فقهاء ومحدثين، وكان موسى يفتي»[(٢)].

كان ابن عقبة أحد أعلام التابعين، أدرك ابن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وسمع من أم خالد بنت خالد الصحابية، وأخذ عن جماعة من التابعين منهم: عروة بن الزبير، ومحمد بن المنكدر، وسالم بن عبد الله بن عمر، والزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان وغيرهم...[(٣)]، وممن أخذ عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك، والسفيانان، وشعبة... وابن أبي الزناد، والدراوردي، وابن المبارك، وخلائق غيرهم[(٤)].

كان يقال عن موسى أنَّهُ «إمام في المغازي»[(٥)]، ونقل عن الإمام مالك بن أنس أنَّهُ أشاد بمغازيه فقال: «عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي عندنا»[(٦)].

---

(١) البستي، مشاهير، ص٨٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٤٨/١، والعبر، ١٩٢/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٠/١٠.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٤٨/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٢/١٠.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ١١٨/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٠/١٠-٣٦١.

(٤) النووي، تهذيب الأسماء، ١١٨/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٠/١٠-٣٦١.

(٥) العجلي، معرفة الثقات، ٣٠٥/٢.

(٦) الرازي، تقدمة الجرح والتعديل، ص٢٢. النووي، تهذيب الأسماء، ١١٨/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦٢/١٠.

ويعـــدّ من أوائل السابقين في تأليف المغازي[١]، وقد حدث بمغازيه ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة (المتوفى عام ١٥٨هـ)[٢]، كما يذكر أن ياقوت الحموي اختصـــرها عن أبي نعيم، وأن الديار بكري قد استفاد من مغازي موسى في مؤلفه «تـــاريخ الخميس»[٣]. عمّر موسى بن عقبة حتى توفي في خلافة المنصور سنة (١٤ هجرية)[٤].

إن كثرة النقولات والمقتبسات عن مغازي ابن عقبة لدى المؤرخين لتدل دلالة واضـــحة على أهمية هذا الكتاب، فقد نقل عنه ابن سعد الكثير من الأخبار، وذلك عن طريق استخدامه لكتاب موسى بن عقبة من رواية ابن أخيه إسماعيل[٥]، ويستنتج منه «أن كتاب موسى كان يحتوى على قوائم المهاجرين إلى الحبشة والمشتركين في بـــيعتي العقبة، وأهم من كل ذلك، المحاربين في بدر»[٦] وقد وثقت قوائم موسى بن عقبة عن البدريين أكثر من غيرهم، فيروى أن الإمام مالك بن أنس قال عنها: «من كـــان في كـــتاب موســـى قـــد شـــهد بـــدراً فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدها...»[٧]، وأخذ عنه الواقدي كذلك في كتاب المغازي[٨]، وهو لا يذكره إلاّ في القلـــيل، غـــير أن ابـــن ســـعد أخذ كثيراً من أخبار موسى عن طريق أستاذه الواقدي[٩].

كـــذلك أخذ عنه الطبري بعض أخبار السيرة، وبعض أخبار الخلفاء الراشدين

---

(١) ابن خير الأشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص٢٣٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٣١٠/٥.

(٣) ينظر: هورفتس، المغازي.

(٤) خلـــيفة، الطبقات، ٢٦٧. النووي، تهذيب الأسماء، ١١٨/٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/ ٣٦٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/٢، ١/٣، ٣١٠/٥.

(٦) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٢.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٢.

(٨) الـــواقدي، المغازي أمثلة ذلك: (خبر عن المطعمين من قريش ببدر)، ٨٤٩/٢-٨٥٠ و(خبر عن غزوة حنين)، ٨٩٠/٣، و(خبر عن غزوة أكيدر)، ١٠٢٥/٣، وغيرها.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ٢٤١/٣ و١٠/٨، ١١، ١٧١، ١٩٠، ١٩١، وغيرها.

والأمويين، مثال ذلك خبر إرسال حملة أسامة سنة ١١هـ، ورواية أخرى عن العطاء في خلافـة عمر ﷺ، وخبر عن الفتنة في عهد عثمان ﷺ، وآخر ما يروى عنه خبر عـن عمـرة جـده لأمه (أبو حبيبة) في سنة ٩١ هجرية وكان قد ولي على مكة خالد بن عبد الله القسري من قبل الخليفة الوليد[١].

كـذلك نقـل عنه صاحب كتاب الأغاني خبراً عن زيد بن عمرو[٢]، والذي عرف أنَّهُ كان من الموحدين في الجاهلية، وإلى جانب هذه المقتبسات التي نقلت عنه في الكتب التاريخية، فإننا نجد أثراً من مؤلفاته في المغازي، فقد نشر أدوارد سخاو قطعـة واحـدة منه «تحتوي على حديث أو أكثر من كل جزء من أجزاء الكتاب العشرة وذلك في سنة ١٩٠٤ بالنص العربي مع ترجمة ألمانية»[٣].

ويمكن أن نؤشر الملاحظات الآتية عن منهج موسى بن عقبة التاريخي:

١. أنَّهُ وضع قوائم بأسماء الصحابة المهاجرين إلى الحبشة، أو المشاركين ببـيعة العقـبة، أو الذين حاربوا في معركة بدر... وغيرهم[٤]، وهذا يعد من السوابق التاريخية.

٢. أن نظام الإسناد عنده كان قاعدة «فلا يحذف الرواة في المقتبسات المحفـوظة عـنه إلاً في القليل منها»[٥] وأكثر من أسند عنه هو جدّه لأمه «أبو حبيـبة» فقد روى عنه حوادث متأخرة وقعت عام ٩١هـ[٦]، وأكثر من الرواية عـن الزهـري، حتى قيل: «كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب»[٧].

(١) الطبري، تاريخ (على التوالي): ٢٢٧/٣، ٢١٣/٤، ٣٦٦، ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٣.

(٣) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧١. نصار، نشأة التدوين التاريخي، ص٥٣.

(٤) ابـن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠. وينظر: نصار، نشأة التدوين، ص٥٤. شاكر، التاريخ والمؤرخون، ص١٥٩.

(٥) هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٢.

(٦) الطبري، تاريخ، ٤٦٤/٦.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٦١/١٠.

٣. كان في بعض الأحيان يستعين بمدونات موجودة عنده بمثابة وثائق أصلية يحتفظ بها، وقد قال موسى بن عقبة في ذلك: «وضع عندنا كريب (مولى ابن عبَّاس) حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس، قال: فكان علي بن عبد الله بن عبَّاس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إليّ بصحيفة كذا وكذا، قال: فينسخها فيبعث إليه بإحداهما...»[١] كما كان لديه نصوص أخرى (قد تكون أصلية) كالرسالة التي وجهها النَّبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى[٢].

٤. وضع مادته التاريخية وفق تسلسل زمني حولي، مثل الذي فعله عبد الله بن أبي بكر ابن حزم، وبذلك يكون قدّم لمدرسة المدينة خدمة جليلة في تطور التدوين التاريخي[٣].

٥. لم يكن يستشهد بالشعر إلاَّ نادراً في مروياته أو مدوناته التاريخية[٤].

محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ):

محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، المدني، أبو بكر وقيل أبو عبد الله، المحدث صاحب السيرة[٥]، يعدّ أبرز علماء عصره في السيرة والتاريخ، وهو عمود المدرسة المدنـيّة[٦]، وقد غطت شهرته كل المصنفين في المغازي سواء من سبقه أو عاصره. لا يوجد دليل قاطع عن تاريخ ولادته، إلاَّ أن الراجح هو بحدود سنة ٨٥هـ، وكان جده يسار من أهل عين التمر في العراق، ولما حرر المسلمون هذه المدينة أخذ أسيراً وساقته الأقدار ليصبح مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، لذا

(١) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٥/٢١٦.

(٢) هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٢.

(٣) قارن: شاكر: التاريخ والمؤرخون، ص١٥٩. نصار، نشأة التدوين التاريخي، ص٥٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، (ط ليدن)، ٣/٢٤١. وينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، (ط ليدن)، ٦/٢٧٥. خليفة، الطبقات، ٢٧٠، ٣٢٦. الخطيب، تاريخ بغداد، ١/٢١٤.

(٦) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٥. شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، ص١٦٠.

فقد نسب ابن إسحاق إلى هذه الأسرة فقيل المطلبي[١].

مكث محمد بن إسحاق في المدينة ما يقرب من ثلاثين عاماً يتلقى العلوم المختلفة على شيوخها، فقد أدرك كثيراً من التابعين وأخذ عنهم، منهم: أستاذه، ابن شهاب الزهري، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم، والقاسم بن محمد، وأبان بن عثمان، ومحمد بن علي بن الحسين، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز، ونافع مولى عبد الله بن عمر، ويزيد بن رومان الأسدي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن كيسان المدني، وغيرهم كثير[٢]. وروى عنه جماعة منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري ويزيد بن أبي حبيب وهما من شيوخه، وجرير بن حازم، وإبراهيم بن سعد وابن عون، وشعبة، والسفيانان، وابن إدريس، وزياد البكائي، وسلمة بن الفضل، ويونس بن بكير، والثلاثة الأخيرون هم أشهر رواة السيرة عنه.

برز محمد بن إسحاق في عدّة علوم[٣] منها علم الحديث — الذي يبدو أنَّهُ أول العلوم التي اهتم بها — ولا سيما أن والده كان محدثاً. أمَّا هو فقد ذكر عن إبراهيم بن حمزة أنه قال: كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق نحواً من سبعة عشر ألف حديث[٤].

شهد العلماء له بالأولوية في الحديث، يقول علي بن المديني، مدار حديث رسول الله على ستة، فذكرهم ثمَّ قال: «فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق»[٥]... وقد أشاد بعلمه شيخه الزهري، يقول أبو بكر الهذلي: سمعت الزهري يقول: «لا يزال بالمدينة علم جمّ ما كان فيهم ابن إسحاق»[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ، ٤١٥/٣. وينظر: الحكيم، حسن عيسى، محمد بن إسحاق، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤ لسنة ١٩٨٦، ص٢٧٦.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢١٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٨/٩-٣٩.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢١٤/١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٨/٩-٣٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤١/٩.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢١٩/١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٨/١.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢١٩/١.

غـــير أن أهم علم تميز به هو علم المغازي والسير، ولقد أثنى عليه العلماء لما برز به في هذا العلم واشتهر، يقول الإمام الشافعي، «من أراد أن يتبحر في المغازي: فهـــو عيال على محمد بن إسحاق»(١). ورُويَ عن علي بن المديني أنه قال: «سمعت ســـفيان يقول: قال ابن شهاب – وسُئل عن مغازيه – فقال: هذا أعلم النَّاس بها، ويعني ابن إسحاق»(٢). وقد وصفه ابن النديم بأنه «صاحب السير»(٣).

والحق ما قاله هؤلاء عن هذا العالم في المغازي والسيرة، فقد وصلت إلينا عنه «أقدم سيرة تكاد تكون محفوظة بكلتيهما»(٤) وقد أطلق على هذه السيرة المتكاملة عـــدة أسماء، فقد سمى ابن سعد كتابه ذلك باسم «كتاب المغازي»(٥) بينما سماه ابن الـــنديم «كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي»(٦)، وهو عند المقدسي: «كتاب المبتدأ والمغـــازي»(٧)، وأمَّـــا مـــا ذكره الخطيب البغدادي، فإنَّه يدل على أن ما ألفه ابن إســـحاق هـــو كتاب واحد وذلك بطلب الخليفة المنصور قال: «صنف محمد بن إســـحاق هذا الكتاب في القراطيس»(٨) والراجح أنَّهُ ألف كتابين منفصلين، أحدهما المبتدأ، والآخر السيرة(٩). ويمكن أن نجعل كتابه في السيرة يحوي قسمين:

«الأول: المـــبعث، والـــثاني: المغازي، وهذا التقسيم أسلم لأنَّ كتابه الأول الخاص بالمبتدأ يكاد يكون مستقلاً عن الثاني الذي ينصب على دراسة السيرة النبوية – حيـــاة النَّبي – ﷺ، قبل الهجرة وبعدهـــا». وسيأتي توضيح دلالات هذا التقسيم

(١) ن.م، ٢١٩/١. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٨٢.

(٢) الخطـــيب، تـــاريخ بغـــداد، ٢١٩/١. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٨/١-٩. وقد دافع عن ابن إسحاق في المصدر نفسه، ١٠/١-١٧.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.

(٤) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٧. قارن: هورفتس، المغازي الأولى، ص٧٥-٧٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٧٦/٦.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.

(٧) المقدسي، البدء والتاريخ، ٨٤/١.

(٨) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢٢١/١.

(٩) ينظر: الدوري...، دراسة في سيرة النَّبي ومؤلفها ابن إسحاق (مستل من بحوث دورة مجمع اللغة العربية)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص١٣.

بعد قليل:

منهجيته في تأليف السيرة:

عـــرف عـــن محمد بن إسحاق أنَّهُ جمع بين أسلوبين في الكتابة التاريخية، هما أســـلوب المحدثين وأسلوب الإخباريين (القصاص)، وهذا بحد ذاته يعد خروجاً عن نهـــج مدرســـة المدينة التاريخية، الذي كان يعتمد أسلوب المحدثين فقط. ومن إلقاء نظرة سريعة إلى تأليفه نتبين الملاحظات الآتية:

١. في كـــتاب المبتدأ: الذي بدأ فيه منذ الخليقة حتى نزول الوحي على النَّبي محمد ﷺ:

أ. يأخـــذ مقتبسات كثيرة فيه من وهب بن منبه، وروايات تنسب إلى ابن عباس، وعلى مصادر يهودية ومسيحية ونص الكتاب المقدس نفسه، فضلاً عن رجوعه إلى آيات القرآن الكريم[١].

ب. يتميـــز هـــذا الكـــتاب بالأسلوب القصصي – فقد ركز فيه على القصـــص التاريخية – كقصص الأنبياء مثلاً، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل، وقد حفظ لنا الطبري بعض هذه القصص من المبتدأ في تاريخه وتفسيره، وخاصة ما يتعلق بقصص الأنبياء[٢].

ج. أن هـــذا الكتاب يغطي فترة طويلة جداً تبدأ من آدم (قصة الخليقة) وتنتهي إلى الفترة القريبة من البعثة حيث الكلام فيها عن ديانة أهل مكة وأجداد الرسول ﷺ[٣].

---

(١) ينظـــر: هورفـــتس، المغازي الأولى، ص٨٤. الحكيم، محمد بن إسحاق، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤/١٩٨٦، ص٢٩٠-٢٩١.

(٢) الطـــبري، تـــاريخ، ١/١٤٠، ١٤٥، ١٤٨، ٢٥٤، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٦٦، ٣٨٥، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٦٤، ٥٣٦، و٢/٢٤٤، ٣٢، ١٤٨ وغيرها.

وينظر: ما أورده ابن هشام عن أجداد الرسول ﷺ، وديانة أهل مكة، السيرة، ١/٧٦ وما بعدها.

(٣) الطـــبري، تـــاريخ، ١/١٤٠، ١٤٥، ١٤٨، ٢٥٤، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٦٦، ٣٨٥، ٤٣٣، ٤٤٣، ٤٦٤، ٥٣٦، و٢/٢٤٤، ٣٢، ١٤٨ وغيرها.

وينظر: ما أورده ابن هشام عن أجداد الرسول ﷺ، وديانة أهل مكة، السيرة، ١/٧٦ وما بعدها.

كما ينظر إليه أنَّهُ ينقسم إلى فصول، الأول: من أحداث الخليقة إلى عيسى أو إسماعيل عليه السلام، والثاني: تاريخ اليمن في العصور القديمة (ويحتوي على قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل... وغير ذلك)، والثالث: يتناول الحديث عن القبائل العربية وعبادة الأصنام، أمَّا الرابع: فقد خصصه لأجداد الرسول ﷺ، والديانة في مكة[1].

د. يتميز كتاب المبتدأ بعدم وجود الإسناد إلاَّ نادراً، لا سيما ما يتعلق بأحداث الخليقة وقصص الأنبياء.

هـ. وأخيراً فإن كتاب المبتدأ حفظ في بطون الكتب التاريخية، فقد أورد الطبري أجزاء منه في التاريخ والتفسير (سبقت الإشارة إليه)، وأورد المقدسي قطعة منه في كتابه (البدء والتاريخ)، تتعلق بخلق آدم، واختتم القطعة بقوله: «هذا كله من قول محمد بن إسحاق صاحب المبتدأ والمغازي»[2]، وكذلك حفظ الأزرقي في تاريخ مكة أخباراً تتعلق بإبراهيم الخليل وولده إسماعيل وأبناء إسماعيل، وأخبار خزاعة، وقصي «الجد الأعلى للرسول ﷺ، ومسألة نصب الأصنام في الكعبة، وحديث الفيل،... وغير ذلك»[3].

٢. أمَّا كتاب المغازي: الذي يتضمن أحداث عهد النبوة في المرحلتين المكيّة بعد نزول الوحي، والمدنيّة، فيلاحظ عليه ما يأتي:

أ. في هذا القسم ازداد الاهتمام بالأسانيد، ففي مرحلة المبعث يبدو الاهتمام أقل ثمَّ يزداد كثيراً في أحداث العهد المكي، لا سيما عند الحديث عن الغزوات، مثال ذلك: في أخبار المبعث أورد ابن إسحاق سنداً كاملاً عند حديثه عن ابتداء نزول جبريل عليه السلام على النَّبي ﷺ[4]، في حين تجاهل إيراد السند

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة، ١/٧٦، ٩١، ١١٠. نصار، نشأة التدوين، ص٦٦. هورفتس، المغازي الأولى، ص٨٤-٨٥.

(٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/٨٣-٨٤.

(٣) الأزرقي، تاريخ مكة، مثال ذلك: ١/٢٢، ٣٩، ٦٤، ٦٧، ٧٣، ٨٢-٩٦ وغيرها.

(٤) ابن هشام، السيرة، ١/٢٣٥ وما بعدها.

عند حديثه عن فترة الوحي[١]، وعند حديثه عن عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم[٢]. وفي أحيان أخرى يكتفي بقوله: «حُدثت عن فلان» (كابن عبَّاس مثلاً)[٣]. وفي مواضع يقف في سنده عند التابعي دون أن يصله بالصحابي فمثلاً عند حديثه عن قصة استماع قريش إلى قراءة النَّبي ﷺ قال: «وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنَّهُ حدث: أن أبا سفيان، وأبا جهل...»[٤].

ويزداد اهتمامه بالسند في أحداث الغزوات — كما أسلفنا — فمثلاً عند حديثه عن غزوة بدر الكبرى يرتفع عدد السند إلى أربعة طرق من صغار التابعين عن أحد كبار التابعين عن الصحابي... فهو يقول: «حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان (كلهم) عن عروة بن الزبير... عن ابن عبَّاس... كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم...»[٥].

ب. كان ابن إسحاق في بعض الأحيان لا ينسب الخبر إلى أحد، أي يبقى مصدر الخبر مجهولاً، فترد عنه عبارات مثل: «حدثني من لا أتهم»، أو «حدثني بعض من يروي الحديث» أو «فزعم بعض أهل الرواية» أو «وحدثت» أو «فزعموا»[٦].

وكان ذلك مجالاً لنقد الناقدين لابن إسحاق لا سيما من المحدثين الذين يهمهم ذكر مصدر الخبر أو الحديث[٧].

---

(١) ن.م، ٢٤١/١.

(٢) ن.م، ٣١٧/١.

(٣) ن.م، ٣٠٨/١.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٣١٥/١.

(٥) ن.م، ٦٠٦/١. وينظر: هورفتس: المغازي الأولى، ص٨٦، ص٨٨ وما بعدها. الدوري، دراسة في سيرة النبي، ص١٧.

(٦) هذه النصوص (على سبيل المثال) هي على التوالي: ابن هشام، السيرة، ١٥٦/١، ١٥٧، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٩.

(٧) ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ٢٢٠/١. أيضاً: الدوري، دراسة في سيرة النبي، ص١٩.

ج. إن الذين روى عنهم ابن إسحاق جلهم (مدنيون) وأهمهم: الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد، وهؤلاء الثلاثة هم عماد رواياته في السيرة، حتى قيل: «إن قلب مغازي ابن إسحاق يتألف من أحاديث الزهري (وعروة) وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر»[١]. وأكثر من روى عنه من بين هؤلاء هو الزهري، فهو يكثر من عبارة «حدثني الزهري» أو «حدثني محمد بن مسلم الزهري» أو «سألت ابن شهاب الزهري...» أو «وذكر ابن شهاب الزهري...»[٢]، وكذلك أخذ عن نافع مولى عبد الله بن عمر[٣]، وعن الزبيريين، مثل هشام ويحيى ابني عروة بن الزبير، وعمر بن عبد الله، ويحيى بن عباد، ومحمد بن جعفر، وهم جميعاً أبناء إخوة عروة بن الزبير، وأخذ كثيراً عن مولى آل الزبير، مثل يزيد بن رومان مولى عروة، ووهب بن كيسان، مولى الزبيريين أيضاً[٤].

د. اتبع محمد بن إسحاق في عرضه للغزوات المنهج التفصيلي، فهو يذكر أسباب الغزوة مع ملخص للمحتويات في المقدمة ثمَّ يتبعه خبراً جماعياً مؤلفاً من أقوال أوثق شيوخه[٥]، ويورد أخباراً فردية حدثت في الغزوة تتعلق ببعض الأفراد المشتركين بها، وبضمنها آيات قرآنية وأشعار وغير ذلك.

هـ. يورد قوائم للمشاركين في الغزوات وحسب عشائرهم وبطونهم، مع شيء من التفصيل في المعارك الأولى، وقوائم أخرى لمن استشهد منهم ومن أسر في معركة بدر، وثمة قوائم لمن شارك فيها من المسلمين[٦]، ومن استشهد منهم فيها[٧]، فضلاً عن قوائم بأسماء

(١) الدوري، دراسة في سيرة النبي، ص١٧.
(٢) أمثلة ذلك: ابن هشام، السيرة، ٣٧٢/١، ٤٣٤، ٦٨٣، ٧١٢، ٣/٢، ٨، ٢٠٧ وغيرها.
(٣) ن.م، ٤٧٤/١.
(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ٢١٤/١-٢١٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٢٥/١١.
(٥) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٨٦.
(٦) ابن هشام، السيرة، ٦٧٧/١ وما بعدها.
(٧) ن.م، ٧٠٦/١ وما بعدها.

المشاركين فيها من المشركين[١]، ومن أسر منهم فيها[٢] وثمة قوائم أخرى: منها قائمة بشهداء أحد من المسلمين[٣]، وأخرى بقتلى المشركين[٤] وشهداء المسلمين بالخندق، وقتلى المشركين[٥] وقائمة بمن استشهد من المسلمين بخيبر[٦]، وأخرى بالمهاجرين الذين رجعوا من الحبشة بعد فتح خيبر[٧].

و. كان يروي الشعر ضمن الأخبار التي يوردها في كتابيه المبتدأ والمغازي، وإذا سلمنا ببعض ما ورد من شعر في مرحلة المغازي، فإن ما ورد من شعر في أخبار المبتدأ يكاد يكون بعيداً عن الصحة، ولذلك فإن بعض القدامى نقدوا ابن إسحاق على ذلك، ومنهم محمد بن سلام الجمحي الذي يقول عن ابن إسحاق: «كان من علماء النَّاس بالسير، فنقل النَّاس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر إنَّما أوتى به فأحمله ولم يكن ذلك له عذراً، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النِّساء... ثمَّ جاوز ذلك إلى عاد وثمود أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف السنين»[٨]؟ وذهب لمثل هذا ابن النديم إذ يقول: «ويقال كان يعمل له الأشعار، ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر»[٩].

وقد حفظ الطبري بعض القصائد التي ذكرها ابن إسحاق من عهد عاد وثمود في كتاب المبتدأ[١٠]، أمَّا ابن هشام فقد حذف الكثير من هذا الشعر في تهذيبه لسيرة

---

(١) ن.م، ١/٧٠٨ وما بعدها.
(٢) ن.م، ٢/٣ وما بعدها.
(٣) ن.م، ٢/١٢٢-١٢٧.
(٤) ن.م، ٢/١٢٧-١٢٩.
(٥) ن.م، ٢/٢٥٢-٢٥٣.
(٦) ن.م، ٢/٣٤٣.
(٧) ن.م، ٢/٣٥٩-٣٧٠.
(٨) ابن سلام، طبقات الشعراء (ليدن)، ص٤.
(٩) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.
(١٠) الطبري، تاريخ، ١/٢٢٠-٢٢١، ٢٢٣-٢٢٤، وغيرها.

ابن إسحاق[١]، وذكر بعضاً منها وبيّن رأيه فيها، فهو عندما يورد الشعر الذي رثي بـه عبد المطلب عندما حضرته الوفاة من قبل بناته، قال (أي ابن هشام): «ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر»[٢]، ويؤاخذ البعض ابن إسحاق أيضاً علـى نقله للمعلومات عن أهل الكتاب ويسميهم في كتابه «أهل العلم الأول»[٣]. والواقع فإنَّه رغم الملاحظات التي ذكرت عن سيرة ابن إسحاق فإنها قياساً لما كتب عن السيرة النبوية أتم هذه الأعمال وأشملها وأفضلها، لما وثقها من إسناد الروايات، وحسـن العرض والتنظيم وما تضمنت من القوائم الكثيرة، وما حوت من الوثائق والأشـعار، وقد قيل في عمله هذا «إن جمع هذه المادة وحدها وترتيبها جهد كبير، وإن كان سبقه في ذلك أناس، ولكنه ربَّما لا يكون أول من عرض جميع فترات النَّبي ﷺ باتسـاق في كـتابه فحسب، بل وسع أيضاً تلك الترجمة بجعلها تاريخاً للرسالة عامة، أدخل فيها حياة الأنبياء المتقدمين أيضاً»[٤].

وقـد وصلت إلينا كتب ابن إسحاق في السيرة (المبتدأ والمغازي)، عن طريق رواة عديـدين الـبعض مـنهم ضاعت رواياتهم كإبراهيم بن سعد المدني الزهري، ومحمـد بن عبد الله بن نمير النفيلي المتوفى سنة ٢٣٤ هجرية[٥]، ومن الروايات ما بقي، فأشهر النسخ المروية عن تلاميذه عندنا، وهي نسخة زياد بن عبد الله البكائي (ت ١٨٣هـ) فقـد اعـتمد ابن هشام على هذا المؤلف «فهذبه ونقحّه بحيث صار المعـوّل عليه»[٦]، واعتمدها كل من الطبري واليعقوبي من المتقدمين والسهيلي في الروض الأنف، وغيره من المتأخرين[٧]، كما اعتمد الطبري على راوية آخر لسيرة ابن إسحاق هو سلمة بن الفضل (ت ١٩١هـ)، وثمة راوية ثالث مهم هو، يونس بن

(١) ينظر: الدوري، دراسة في سيرة النبي، ص٢١-٢٢.
(٢) ابن هشام، السيرة، ١/١٦٩.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.
(٤) هورفتس، المغازي الأولى، ص٩٥.
(٥) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.
(٦) السخاوي، الإعلان، ص٥٢٦ (ضمن علم التاريخ، لروزنثال).
(٧) ن.م، ص٥٢٦.

بكـــير الشيباني (ت ١٩٩هـ) وهي التي اعتمدها الحاكم النيسابوري في المستدرك، وابن الأثير في «أسد الغابة»، وابن حجر العسقلاني في «الإصابة»[١].

أبو معشر السندي (ت ١٧٠هـ):

نجيح بن عبد الرحمن المدني السندي، يقال: «إن أصله كان من اليمن...»[٢] كما حدّث بذلك حفيده داود بن محمد قال: «حدثني أبي: أنَّهُ كان أصله من اليمن» وربَّمـــا يـــرجع أصـــله إلى البصرة لوجود محلة بها تعرف بالسند يسكنها كثير من السنديين؛ لأنَّها الميناء الذي يخرج منه إلى بلادهم[٣].

«نشـــأ أبـــو معشـــر بالمدينة وتتلمذ على شيوخها، فقد روى عن سعيد بن المسـيب، ونافع، ومحمد بن كعب، وطائفة، وأخذ عنه ابنه محمد، وسفيان الثوري، وابن مهدي، وخلق...»[٤].

وقـــد اصـــطحبه الخلـــيفة المهدي معه إلى بغداد وذلك سنة ١٦٠ هـ ليكون بحضرته ويفقه من حوله، وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٧٠هـ[٥].

وعلـــى الرغم من موقف بعض المحدثين منه إلاَّ أنَّهُ في عدادهم، كما ذكر ذلك غير واحد، فقد وصفه ابن النديم بأنه «... أحد المحدثين...»[٦]. غير أن شهرته في المغـــازي كانـــت أوسع صدى من غيرها، وقد شهد له بذلك كبار العلماء، منهم الإمـــام أحمـــد بن حنبل إذ يقول: «كان بصيراً بالمغازي»[٧]، ويقول فيه الخطيب البغدادي: «كان من أعلم النَّاس بالمغازي»[٨]، وقال ابن النديم: «عارف بالأحداث

---

(١) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص٨٧. شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، ص١٦٢.
(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٤١٨/٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٢٠/١٠.
(٣) هورفتس، المغازي الأولى، ص٩٧، حاشية (٢).
(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٢٠/١٠-٤٢١. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص١٠٦.
(٥) ينظـــر: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٤١٨/٥. خليفة، طبقات، ص٢٧٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٢٠/١٠.
(٦) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٢٠/١٠.
(٨) الخطيب، تاريخ بغداد، ٤٢٧/١٣.

والسير»(١). وقال الخليلي: «أبو معشر له مكانة في العلم والتاريخ، وتاريخه احتج به الأئمة»(٢).

وقد اقتبس ابن سعد والطبري من مؤلفات أبي معشر السندي ما يخص حوادث عصر النبوة فالطبري نقل عنه ما يتعلق بدعوة النَّبي ﷺ لقريش في ناد لها(٣). وبعث النَّبي ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع للهجرة(٤)، غير أن ما روي عنه من أحداث التاريخ الإسلامي عند الطبري أكثره في تاريخ الخلافة الراشدة، مثال ذلك، إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة، ورواية عن إمارة الموسم سنة ١٣هـ، وأخرى عن طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وخبر عن فتح قيسارية، وآخر عن فتح مصر، وغيرها(٥)، ثمَّ تزداد الروايات كثيراً عن أحداث هذه المدة وما بعدها(٦).

فإذا رتبت الروايات الواردة عند الطبري ترتيباً نرى أن أبا معشر قد غطى بهذه الروايات مدة طويلة من التاريخ الإسلامي، فآخر ما يقتبس عنه الطبري خبراً في حوادث سنة ١٧٠هـ يتعلق بوفاة الخليفة موسى الهادي(٧). وبذلك يتجلى لنا أن أبا معشر ألف كتاباً في «التاريخ»، عرض فيه الحوادث التاريخية للعصور المختلفة عرضاً حولياً وصل به إلى ما قبيل وفاته بقليل.

اعتمد السندي في منهجيته على الإسناد – في الغالب – عند حديثه عن المغازي. في حين لا يعتمد الإسناد – في الغالب – إن لم يكن دائماً في التاريخ(٨).

(١) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٥.
(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤٢٢/١٠.
(٣) الطبري، تاريخ، ٣٤٠/٢.
(٤) ن.م، ١٢٣/٣.
(٥) عن الروايات أعلاه يراجع على ترتيبها: الطبري، تاريخ، ٢٤٠/٣، ٤٧٩، ٦٠/٤، ٩٦، ١٠٢، ١٠٤ وغيرها.
(٦) أمثلة ذلك، الطبري، تاريخ، ١١٣/٤، ١١٤،١٤٦، ١٧٤، ١٧٦، ١٩٤، ٢١٤، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٠٤، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٠٥، ٤١٦، ١٣٢/٥، ١٤٣، ١٥٢، ٣٠٠، ٣٢٤، ٤٠٠ وغيرها.
(٧) ن.م، ٢١٣/٨.
(٨) ينظر: هورفتس، المغازي الأولى، ص١٠٠.

وهـــو يرد في ضمن إسناد جماعي عند الواقدي[(١)]. ولنأخذ رواية من أخبار المغازي لنـــرى فـــيها الإسناد: «... حدثنا أبو معشر، قال: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغـــيره، قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة...»[(٢)]. ورواية تـــتعلق بالخلفـــاء الراشدين ليس فيها إسناد بعده أي ينتهي الخبر عنده... عن مدة خلافة علي ﷺ...، حدثني أحمد بن ثابت قال: حدثت عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: «كانت خلافة علي خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر...»[(٣)].

الواقدي (ت ٢٠٧هـ):

«أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، ولد في سنة ثلاثين ومائة»[(٤)].

نشـــأ الـــواقدي في المدينة المنورة، ودرس بها على مشاهير العلماء، كالإمام مالـــك بن أنس ومحمد بن العجلان، وابن أبي ذئب، وأسامة بن زيد بن أسلم، وأبي معشـــر المدني، وأبي بكر بن أبي سيرة، وفليح بن سليمان، وعبد الحميد بن جعفر، وأفلح بن حميد وغيرهم ممن أخذ عنه الحديث والفقه والسيرة وغيرها. وأخذ عنه: محمـــد بـــن سعد (كاتبه)، وابن أبي شيبة، والحسن بن عثمان، وعبد الله بن الحسن الهاشمي، ومحمد بن يحيى الأزدي، والصاغاني وغيرهم[(٥)].

قضـــى الواقدي معظم حياته في المدينة وبها اشتهرت منزلته العلمية فلما حج الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٠هـ[(٦)]، اصطحبه معه ليدلّه على المواضع والمشاهد، وقد أكرمه الرشيد إثر ذلك وأمر له بصلة[(٧)]، وبعد هذا الحدث بنحو عقد من الزمان

---

(١) الواقدي، المغازي، أمثلة ذلك: ١٩٩/١ و٣٤٦، ٤٠٤ و٥٧١/٢، وغيرها.

(٢) الطبري، تاريخ، ١٢٣/٣.

(٣) ن.م، ١٥٢/٥.

(٤) ابـــن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٣٢١/٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٢٦. ابن النديم، الفهرست، ص١١١.

(٥) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، ٤٥٤/٩-٤٥٥. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص١٤٩.

(٦) الطبري، تاريخ، ٢٣٤/٨.

(٧) ابـــن ســـعد، الطبقات (ط ليدن)، (أورد قصة كاملة وطويلة لزيارة الرشيد ولقائه بالواقدي)، ٥/ ٣١٥ وما بعدها.

قصد الواقدي العراق بعد أن ألم به الدهر وذلك سنة ١٨٠هـ[١]، ولقي الخليفة الرشيد هناك فأجازه، ثمّ عاد إلى المدينة ولم يمكث بها طويلاً إذ شخص إلى العراق ثانية واصطحب معه عائلته هذه المرة، إذ أقام في العراق وولي القضاء ببغداد، يقول ابن النديم: «وولي القضاء بها للرشيد بعسكر المهدي»[٢] وذلك في سنة ١٨٧هـ أو ١٨٨هـ[٣]. ولما آلت الخلافة إلى المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) أقره على القضاء، فذكر ابن سعد أن الواقدي «توفي وهو على القضاء ببغداد»[٤]. وكانت وفاته «عشية يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة سبع ومائتين»[٥].

بلغ الواقدي منزلة علمية رفيعة في المدينة، ووجه اهتمامه منذ نشأته الأولى إلى دراسة المغازي، حتى أنَّهُ لما بلغ بها شأناً، أخذ يدرسّها في مسجد رسول الله ﷺ، فقد نقل عن المسيبي قوله: «رأيت الواقدي يوماً جالساً إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرس، فقلنا أي شيء تدرس؟ فقال: حزبي من المغازي»[٦].

ولم يكتف بدراسة المغازي نظرياً بل درسها علمياً وميدانياً، وذلك بزيادة مواقع المعارك وأضرحة الشهداء والآثار، يقول الواقدي عن ذلك: «ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلاّ وسألته، هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعلنته»[٧].

ويعلق باحث محدث على هذه الطريقة بقوله: «وهذه تعد طريقة جديدة في الدراسة التاريخية، حيث إنَّهُ أول من قام بذلك ممن كتبوا في المغازي — فيما أعلم —»[٨].

---

(١) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٧/٧٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١١١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٣٦٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٥/٣٢١.

(٥) ن.م، ٥/٣٢١. ابن النديم، الفهرست، ص١١١. الخطيب، تاريخ بغداد، ٣/٢٠-٢١. وينظر: الكبيسي، منهج الواقدي، (رسالة دكتوراه)، ص٣٣-٣٤.

(٦) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٨.

(٧) الخطيب، تاريخ بغداد، ٣/٦. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٨.

(٨) الكبيسي، منهج الواقدي، ص٤٠.

وبذلك يكون الواقدي قد أدخل إلى المغازي الكثير من المعلومات الجغرافية، فكان ذلك إسهاماً منه في وضع اللبنات والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده، مثل: ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) والبلاذري (ت ٢٧٩هـ) ومن تلاهما في التأليف لكتب الفتوح والبلدان.

كذلك يعد الواقدي من روّاد علم الطبقات «هذا الصنف من التأليف الذي ابتكر لخدمة علم الحديث، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه من الرواة، ومن لا يصح، كما يساعد على التمييز بينهم من خلال طبقاتهم...»[١].

منهج الواقدي في التأليف التاريخي:

لو أخذنا كتاب «المغازي» للواقدي وهو من أتم كتبه التاريخية الموجودة الآن بين أيدينا لرأينا الواقدي ينهج فيه النهج الآتي:

١. مراعاة ترتيب تفاصيل الحادثة التاريخية، فيذكر أولاً عنوان الغزوة، ثمَّ يأتي على ذكر أميرها، وتاريخها المحدد[٢]، وذكر السبب الموجب لها، والتعبئة، والخروج، وطبيعة المسير، ووصف الطريق، وميدان القتال، وسير القتال، والنتيجة ورجوع الطرفين كل إلى بلده[٣].

٢. ذكر السند في كل غزوة، أي جماعة الرواة الذين حدثوه عن تفاصيل الغزوة، ومن الجدير بالذكر، أن الواقدي ذكر أسماء الذين أخذ عنهم أخبار جميع الغزوات في مطلع كتاب المغازي وعددهم ٢٥ راوية[٤]، كما أنَّهُ استخدم أسلوب الإسناد الجمعي عند الحديث عن كثير من السرايا والغزوات — المهمة منها خاصة.

٣. ذكر بعض التفاصيل الجغرافية عن موقع الغزوة، «فإن ما أورده من التفاصيل الجغرافية ليوحي بجهده ومعرفته في الأخبار التي جمعها»[٥].

---

(١) جونس، مارسدن، مقدمة تحقيق كتاب المغازي، للواقدي، ص٣١-٣٢.

(٢) الواقدي، المغازي، (على سبيل المثال)، ١/١٢-١٣، ١/٤٤٠-٤٤١.

(٣) جونس، مقدمة كتاب المغازي، للواقدي، ص٣١، الكبيسي، منهج الواقدي، ص١١٠ وص١٢١.

(٤) الواقدي، المغازي، ١/١-٢.

(٥) جونس، مقدمة كتاب المغازي، ص٣١.

٤. يذكر في الغزوات المهمة أسماء الذين شاركوا في الغزوة وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها. وذلك بإيراده قوائم بهذه الأسماء[١].

٥. يضمن بعض الغزوات آيات من القرآن الكريم رافقت نزول الغزوة، على سبيل المثال، غزوة أحد، غزوة الحديبية، غزوة تبوك[٢].

٦. يستخدم بعض القطع الشعرية في بعض الأحيان[٣].

٧. يعكس الواقدي في طريقة توثيقه للأخبار وجهة نظر مدرسة المدينة، فكثيراً ما يورد عبارات «والثابت عندنا» «والمجتمع عليه عندنا» أو «القول الأول أثبت عندنا» أو «الأمر المعروف عندنا، الذي اجتمع عليه أهل بلدنا...»[٤]. وهذا في الواقع يبرز رأيه الصريح في تقويم الأخبار واختيار الأفضل منها.

٨. وأخيراً وليس آخراً فإن من الخصائص المميزة لمغازي الواقدي هي النظام المتكامل للتواريخ، إذ إن كثيراً منها غير مؤرخ لدى غيره من المؤرخين وكتاب السيرة[٥].

---

(١) أمثلة ذلك: الواقدي، المغازي، ١/١٤٧، ١٥٢، ٣٠٠، ٣٠٧، ٢/٤٩٥-٤٩٦، ٧٦٩، ٣/٩٢٢، ٩٣٨ وغيرها.

(٢) الواقدي، المغازي، على الترتيب: ١/٣٢٩، ٢/٦١٨ وما بعدها، ٣/١٠٢٢، ١٠٦٠.

(٣) ن.م، ١/١٨٥-١٨٧ و٣/٩٥٥-٩٥٦ وغيرها.

(٤) جونسن، مقدمة كتاب الواقدي، ص٣٢.

(٥) ن.م، ص٣٤. الكبيسي، منهج الواقدي، ص١٢٨.

قائمة بأسماء مشاهير المؤرخين وكتّاب السيرة النبوية من أهل المدينة

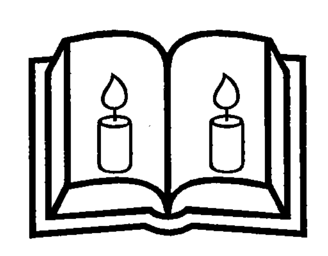
ملاحظة: العلامة * تعني أن له ترجمة في فصل السيرة والتاريخ.

	ت	اسم العالم	تاريخ وفاته بالسنة الهجرية	الملاحظات
الطبقة الأولى	١	سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي	(توفي في النصف الثاني من ق١)	
	٢	سهل بن أبي خيثمة المدني الأنصاري	(ما بين ٥٠-٦٠)	
	٣	سعيد بن المسيب المخزومي	(٩٤)	نسب له تأليف في السيرة رواه عنه أبو الأسود المدني كما روى الزهري عنه فهو أول مصنف في السيرة
	٤	أبان بن عثمان بن عفان*	(ما بين ٩٥-١٠٥)	
	٥	عروة بن الزبير بن العوام*	(٩٤)	
	٦	أبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري	(٩٧)	
	٧	شرحبيل بن سعد الخطمي*	(١٢٣)	
	٨	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق	(١٠٨)	
الطبقة الثانية	٩	محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري المدني*	(١٢٤)	نسب له تأليف في السيرة (المغازي) رواها عنه موسى بن عقبة، وحجاج بن منيع (ت ٢١٦هـ)
	١٠	عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم الأنصاري*	(١٣١)	
	١١	عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري*	(١١٩)	
	١٢	أبو روح يزيد بن رومان الأسدي المدني	(١٣٠)	

	١٣	أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي المدني	(١٣١)	
	١٤	موسى بن عقبة الأسدي*	(١٤١)	نسب له كتاب في السيرة ذكره السخاوي وابن خير الأشبيلي وغيرهما
	١٥	محمد بن إسحاق بن يسار المدني*	(١٥١)	له كتاب مشهور في السيرة النبوية مطبوع، وأيضاً عند ابن هشام في السيرة النبوية، وله كتاب في التاريخ هو كتاب الخلفاء
الطبقة الثالثة	١٦	أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني*	(١٧٠)	نسب له كتاب في المغازي، وكتاب في التاريخ الحولي إلى خلافة موسى الهادي
	١٧	عبد الملك بن محمد بن أبي بكر الحزمي الأنصاري	(١٧٦)	نسب له كتاب في المغازي، ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٢
	١٨	إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني	(١٨٣)	نسب له كتاب في المغازي

	١٩	محمد بن عمر الواقدي*	(٢٠٧)	له كتاب مطبوع مشهور في المغازي، وله كتب ومؤلفات في التاريخ منها: كتاب أخبار مكة، والطبقات، والردة، والدار، وكتاب صفين، كتاب التاريخ الكبير... الخ قائمة ابن النديم، الفهرست، ص١١١

الفصل السابع



الأدب في المدينة المنورة

١. الشعر:

الشعر في المدينة قبل الإسلام:

تعـد المدينة المنورة (يثرب) من المدن العربية الغنية بالشعر قبل الإسلام، وقد كانت هـذه الكثرة الشعرية شاملة لمعظم بيوتات المدينة، فقد روي عن أنس بن مالك ﷺ أنَّـهُ قال: «قدم علينا رسول الله ﷺ وما في الأنصار بيت إلاّ وهو يقول الشعر، قيل له: وأنت يا أبا حمزة، قال: وأنا»[١].

وقـد تحـدث ابـن سلاّم في طبقاته عن شعراء القرى العربية مكة والمدينة، والطائـف والـيمامة والبحـرين وأكد تفوق المدينة بالشعر على غيرها حين قال: «وأشـعرهن قـرية المديـنة»[٢]. كما ذكر خمسة من شعرائها الفحول عند ظهور الإِسـلام. وهـم على ما ذكرهم ابن سلاّم: «خمسة، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس، فمـن الخـزرج من بني النجار حسان بن ثابت، ومن بني سلمة كعب بن مالـك، ومـن بني الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة، ومن الأوس، قيس بن الخطـيم، وأبو قيس بن الأسلت»[٣]. هذا غير الذين لم تذكرهم المصادر ربَّما لأنَّ

---

(١) ابـن عـبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ١٣٤/٦.

(٢) ابـن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، طبقات الشعراء، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٩١٣، ص٥٢.

(٣) ن.م، ص٥٢.

شهرتهم كانت أقل من هؤلاء، وهم كثرة بلا شك، سيما أن الشعر كان منتشراً في المدينة، كما في غيرها أبان هذه المرحلة.

الشعر في المدينة في عهد الرسول ﷺ:

يمثل العهد النبوي ازدهاراً للشعر في المدينة، وقد وقف النَّبي ﷺ من الشعر موقفاً طيباً، ولا سيما الشعر الذي ينسجم مع الخلق الإسلامي الرفيع، وقد أثر عن النَّبي ﷺ قوله في ذلك: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة أو حكماً...»[١]، والحكمة والحكم معناهما واحد، والمراد أن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما[٢]. وكذلك ينسب إلى النَّبي ﷺ أنَّهُ قال: «إنَّما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب»[٣]. ولمعرفة النَّبي ﷺ بأن الشعر متأصل في العرب لا يمكنهم التخلي عنه فقد روي عنه ﷺ أنَّهُ قال: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين...»[٤].

إذن كان الرسول ﷺ يقدّر قيمة الشعر، ويعرف مدى أهميته في الحياة العربية، وأنه ديوان العرب وسجل مفاخرها، فحاول الرسول ﷺ أن يوجه هذه الأداة التي يحسن العرب استعمالها ولا يستطيعون الاستغناء عنها، إلى حيث يخدم الدعوة الإسلامية، وينصر الدين، ويبعث الفضائل الكامنة في النفوس[٥].

وقد فرّق الإسلام بين نوعين من الشعر من حيث هو فن، يمكن أن يستخدم في مواطن الخير أو الشر، وينقسم الشعراء تبعاً لذلك إلى نوعين حسب الغرض الشعري المستخدم[٦] وقد جاء في القرآن الكريم ما يميز بين هذين النوعين قال

---

(١) مالك بن أنس، الموطأ، ص٩٨٦، البخاري، بلفظ «إن من الشعر حكمة»، الصحيح، ٤٢/٨، أبو داود، السنن، ٣٠٢/٤-٣٠٣. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٢٤/٣.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، مادة (حكم).

(٣) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر...، ط٥، دار السنن، ٣٠٢/٤-٣٠٣. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢٢٤/٣.

(٤) ن.م، ٣٠/١. لم أجده في كتب الحديث التي اطلعت عليها.

(٥) ينظر: العاني، سامي مكي، دراسات في الأدب الإسلامي، بغداد، ١٩٧٥، ص١٨-١٩.

(٦) من الدراسات الحديثة التي تناولت تمييز الإسلام بين هذين النوعين من الشعر، يراجع: العاني، دراسات في الأدب الإسلامي، ص٢٧-٣١، الجبوري، الأدب الإسلامي في عصر النبوة، مجلة كلية =

تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝ ﴾ (سورة الشعراء/٢٢٤-٢٢٧).

فالنوع الأول من الشعر الذي لم يؤيده الإسلام ولم يشجعه، هو ذلك الشعر الذي يتضمن في أغراضه أموراً منافية للخلق الإسلامي، كالغزل والتشبب المفرطين، والتغني بالخمر والفخر بقيم الجاهلية، وهجاء الرسول ﷺ والمسلمين، وما إلى ذلك، فعلى سبيل المثال ورد في الأثر أن النَّبي ﷺ قال: «لأنّ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به»[1]. قال ابن رشيق في تعقيبه على هذا الحديث: «إنَّما هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه، وإقامة فروضه، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن...»[2]، وعندما ذكر امرؤ القيس عند النَّبي ﷺ نسب إليه قوله: «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة...»[3]. وإنَّما خص رسول الله ﷺ امرئ القيس بهذا الوصف لأنّ شاعريته لم تكن للدين والقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام فيها نصيب.

وفي حديث آخر ينسب إلى الرسول ﷺ أنَّهُ قال: «شر النَّاس من أكرمه النَّاس اتقاء لسانه»[4]، أي الشاعر الذي يتخذ من الهجاء وسيلة للتكسب. فإن أعطي

=

الآداب، ع١٢ مجلد(١)، ١٩٧٦-١٩٧٧، ص٢٤٣ وما بعدها.

(١) البخاري، الصحيح، ٤٥/٨ (ولم يتضمن كلمتي هجيت به)، وأورده بالنص أعلاه الزركشي، الإجابة، ص١٣٦. وينظر: فنسنك، المعجم المفهرس، مادة (شعر).

(٢) ابن رشيق، العمدة، ٣١/١-٣٢.

(٣) الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والبلغاء، بيروت، ١٩٦١، ٨١/١.

(٤) ورد الحديث بألفاظ متقاربة عند: مالك بن أنس، الموطأ (باب حسن الخلق) رواية يحيى الليثي، ص٦٥٠. البخاري، الصحيح، (باب الأدب)، ١٦/٨. مسلم، الصحيح (باب البر)، ١٢/٨. وأورده بالنص أعلاه: الراغب، محاضرات الأدباء، ٨٠/١.

رضي، وإن منع ذمّ[١].

ومن الطبيعي أن ينصرف النَّبي ﷺ عن شعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يـؤذي النفوس، ويبعث الضغائن بين المسلمين، وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضـائل النفسية ويعين على الرذائل، فكل هذه الألوان من الشعر تخالف المبادئ التي قرر الإِسلام أن تكون أسس مجتمعه الجديد[٢].

أمَّـا النوع الثاني من الشعر الذي أيده الإِسلام ووافقه رسول الله ﷺ فهو ذلك الشـعر الـذي يدافع عن قيم الدين الجديدة ويفخر بها، ويدعو النَّاس إلى عبادة الله وتوحيده، ويرد على الشعراء الذين يهجون الرسول ﷺ أو يتهجمون على الإسلام، أو ما إلى ذلك.

لقد كان موضوع هجاء الرسول ﷺ والتهجم على الإِسلام والمسلمين بالشعر، مـن بـين الوسائل التي جعلت الرسول ﷺ يتخذ من الشعر سلاحاً ضد أعدائه من قريش وغيرها من القبائل. فكان في قريش جماعة من الشعراء اشتهروا بهجاء الرسول ﷺ مـنهم: عـبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بـن أبي أمـية بن المغيرة، وضرار بن الخطاب الفهري، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وعمرو بن العاص وغيرهم[٣].

وإلى جانـب هؤلاء نجد أن شعراء من اليهود في المدينة يقفون ضد المسلمين يـؤازرون قريشاً ومن معهم من القبائل ويحرضونهم على حرب النَّبي ﷺ، كما فعل ذلك كعب بن الأشرف، والذي تشبب بشعره بنساء المسلمين، فقتل بسبب ذلك، ونفس المصير حل بسلام بن أبي الحقيق الذي كان يسكن خيبر ويحرض بشعره على رسول الله ﷺ ويهجوه[٤].

---

(١) الراغب، محاضرات الأدباء، ١/٨٠.

(٢) ينظر: العاني، دراسات في الأدب، ص١٥.

(٣) عن موقف هؤلاء الشعراء وغيرهم ينظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، ص٥٧. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب)، ٤/١٣٧، ١٣٨، ١٤٣.

(٤) ينظـر عـن شعرهم وقصة قتلهم: ابن هشام، السيرة، ٢/٥١-٥٨. الطبري، تاريخ، ٢/٤٨٧، ٤٩١ و٢/٤٩٥-٤٩٩.

وبـــرز أيضاً دور لبعض النِّساء في هذه المعركة الشعرية أمثال هند بنت عتبة، الـــتي كانـــت تقول الشعر في بكاء ذويها من قتلى المشركين، وتحرض على حرب الرســـول ﷺ والمســـلمين، وكـــذلك قالت شعراً تشمت فيه بمقتل حمزة بن عبد المطلـــب رضي الله عنه[1] وقتيلة بنت الحارث التي بكت أخاها النضر وعاتبت رسول الله ﷺ على فعله معه[2].

هذه الحملة الشعرية التي وجهت سهامها نحو الرسول ﷺ والمسلمين، جعلت الرسول ﷺ يتخذ من الشعر وسيلة للدفاع عن الإسلام، وللرد على الشعراء المعادين للإســـلام، فكـــان مـــن هؤلاء الشعراء الذين استعان بهم في معركته ضد الأعداء، حســـان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، ويعرفون بشعراء النَّبي ﷺ وجمـــيعهم من الأنصار[3]، وهم الذين خاطبهم النَّبي ﷺ بقوله: «ما يمنع القوم الذين نصـــروا رســـول الله ﷺ، بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم»[4]، وقد كان حسان بن ثابـــت وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكـــان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قـــول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة[5].

كـــان حسان بن ثابت يرد على هجاء المشركين من قريش وغيرهم وشعراء الـــيهود، وكان النَّبي ﷺ قد رخّص له هجاءهم، فقال له: «أجب قريشاً عن شعرهم

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/٣٨ و٢/٩٠.

(٢) ن.م، ٢/٤٢-٤٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/١٢٨.

(٣) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/١٣٣.

(٤) الأصـــفهاني، الأغـــاني، (ط دار الكـــتب)، ٤/١٣٧. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدســـي (ت ٦٢٠هـ)، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١، ص٥٣.

(٥) الأصـــفهاني، الأغـــاني، (ط دار الكـــتب)، ٤/١٣٧. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدســـي (ت ٦٢٠هـ)، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١، ص٥٣.

وروح القـــدس معك»[١] وفي رواية «اهجهم وروح القدس معك»[٢] ولتأثير شعره علـــى أعدائه قال له النَّبي ﷺ: «فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام، في غبش الظلام»[٣] وكان النَّبي ﷺ يأمره أن يأتي أبا بكر يعلمه هنّات أعدائه[٤].

وكـــان شعره ينشد في المسجد النبوي، فقد روى عروة عن عائشة (رضي الله عـــنها) قالت: «كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو قالت: ينافح عن رسول الله ﷺ»[٥].

وكـــذلك استخدم رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك في هذه المعـــركة الشعرية مع المشركين، والتي تصاعد أوارها بعد السنة الخامسة من الهجرة أي بعـــد غزوة الخندق (الأحزاب)، إذ لما انسحب المشركون في تلك الغزوة قال الـــنَّبي ﷺ: «إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى، ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين، فقام عبد الله بن رواحة فقال: أنا، فقـــال له النَّبي ﷺ: إنك لحسن الشعر، ثمَّ قام كعب بن مالك فقال: أنا فقال: وإنك لحسن الشعر»[٦].

إذن كـــان شـــعراء الأنصار الوسيلة الأدبية التي استعان بها رسول الله ﷺ في مـــواجهة أعدائه والرد على حربهم الكلامية التي كانوا يوجهونها ضد الإسلام، وقد اســـتمرت هذه المواجهة إلى فتح مكة فلم يعد بعدها لهذه الحرب اللسانيّة ضرورة،

---

(١) الزجاجـــي، أبـــو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧هـ)، أخبار أبي القاسم الزجاجي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٢٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١/٧٩. الراغب، محاضرات الأدباء، ١/٧٩.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٢٧٣. ابن رشيق، العمدة، ١/٣١.

(٤) ابن رشيق، العمدة، ١/٣١.

(٥) الترمذي، السنن (المكتبة السلفية)، ٤/٢١٦. الزركشي، أعلام الساجد، ص٣٢٢.

(٦) ورد صـــدر الحديث عند البخاري (باب المغازي)، بالنص الآتي: «... الآن نغزوهم ولا يغزوننا، ونحن نسير إليهم»، ٥/١١٠. وبنصه أعـــلاه عند: الأصفهاني، الأغاني (دار الـــكتب)، ١٥/٣٠ و١٦/٢٣٢. وينظر عن الشعر الذي قيـــل في الغزوات عند: ابن هشـــام، الـــسيرة، ٢/٨ و١٢٩ و٢٥٤ و٢٨٠ و٣٤٧-٣٤٨ و٣٨٣-٣٨٧ و٤٣٤ وغيرها.

وترك هؤلاء الشعراء الهجاء(١).

وشهدت المدينة المنورة في أواخر عهد الرسالة موجة كبيرة من الشعر والشعراء الذي تمثل في وفادات الشعراء بمفردهم أو مع قبائلهم، معلنين إسلامهم، وكان رسول الله ﷺ يثني على شعرهم ويرق له ويكرم بعضهم، كما يلاحظ ذلك في وفادة الشاعر كعب بن زهير الذي أنشد الرسول ﷺ قصيدته المشهورة والتي أولها(٢):

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

في أبيات أخرى مدح فيها رسول الله ﷺ فخلع عليه بردته الشريفة التي توارثها الخلفاء من بعد ذلك(٣).

ووفد النابغة الجعدي على المدينة وأنشد رسول الله ﷺ قصيدته التي جاء فيها(٤):

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى   ويتلو كتاباً كالمجرّة نيّرا

ثمَّ استنشده رسول الله ﷺ شعراً فأنشده، فأثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله: «أجدت لا يفضض الله فاك...»(٥).

غير أن أهم وفادة ضمت شعراء وخطباء من القبائل هي وفادة بنو تميم، والذين قدموا المدينة فكان لوفادتهم ما يشبه المهرجان الأدبي، إذ أنشد شاعرهم، فقابله شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت بقصيدة ضمت نفس الوزن والقافية، غير أنَّهُ بين فيها مفاخر الإسلام رداً على مفاخر شاعر تميم بقومه(٦)، فكان مما قاله

---

(١) ينظر: شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص٩٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٥٠٣-٥١٥، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط دار المعارف، مصر، بلا.ت، ١/١٥٤-١٥٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/١٣٨-١٣٩.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/١٥٦.

(٤) ن.م، ١/١٥٦. القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل القرن الرابع الهجري) جمهرة أشعار العرب، الرياض، ١٩٨١، ١/١٥٢-١٥٣.

(٥) الزجاجي، أخبار أبي القاسم، ص٢٢٦. القرشي، جمهرة أشعار العرب، ١/١٥٣.

(٦) أخبار هذه الوفادة ما قيل فيها من شعر ونثر عند: ابن هشام، السيرة، ٢/٥٦١-٥٦٤. الطبري، =

الزبرقان بن بدر شاعر تميم:

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

فأجابه حسان بقوله:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بيّنوا سنة للناس تتبع

وثمة وفادات شعرية أخرى شهدتها المدينة، كوفادة زيد الخير بن مهلهل الطائي(١)، وعمرو بن المسبح(٢)، وغيرهم كثير.

الشعر في عصر الخلافة الراشدة:

يمكننا القول أن عهد الخلفاء الراشدين -لاسيما عهد أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)- شهد تبدلاً في الأغراض الشعرية في المدينة، وقلة ما قيل من الشعر قياساً لما قبله وما بعده من العهود، وذلك تبعاً للظروف التي مرّت بها المدينة في هذا العهد، غير أننا لا نتفق مع الرأي القائل بأن الشعر في هذه المرحلة قد هجر، أو كاد. صحيح أن بعض الشعراء اعتزلوا الشعر، أمثال لبيد بن ربيعة الذي قال في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ: «قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران...»(٣). فهذا موقف خاص.

وقد ذهب إلى القول بضعف الشعر والتشاغل عنه في عهد الراشدين بعض الكتاب، واعتمدوا في ذلك على رواية عن ابن سلام يبين فيها «إن العرب تشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته»(٤) وهذا في الحقيقة حكم غير دقيق. كذلك ما ذكره ابن خلدون قوله: «ثمَّ انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام، بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن

=

تاريخ، ٣/١١٦-١١٨.

(١) عن وفادة زيد الخير ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢/٥٧٧-٥٧٨. ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ليدن)، ص١٧٥-١٧٦.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (ط المعارف)، ١/١٢٥.

(٣) ابن سلام، طبقات الشعراء (ط ليدن)، ص٣٠.

(٤) ابن سلام، طبقات الشعراء (ط ليدن)، ص٣٠.

ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً[(١)].

ويزعم جرجي زيدان، أن الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح[(٢)]. والواقع أن الشعر في عهد الخلافة الراشدة لم يتوقف عموماً لا في المدينة ولا في غيرها، ويمكن القول إن الذي توقف منه أو قل، بعض أنواعه المخصوصة مثل «شعر الهجاء» الذي وقف منه الخلفاء الراشدون موقف المتشدد، فالإسلام ينهى عن الثلب والهجاء ويدعو المسلمين إلى أن يكونوا إخوة متحابين.

ومثال التشدد في شعر الهجاء في العهد الراشدي ما وقفه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من الحطيئة (جرول بن أوس ت نحو ٤٥هـ) الذي هجا الزبرقان بن بدر (ت ٤٠هـ) فاستعدى الأخير عليه الخليفة عمر ﷺ لذلك، فقام الخليفة بحبسه، ومن السجن أرسل الحطيئة أبياتاً من الشعر يستعطف بها الخليفة عمر ﷺ فرق له وأطلقه من السجن بعد أن أخذ منه العهود والمواثيق ألا يعود إلى الهجاء[(٣)]، ويقال إنَّهُ «اشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم...»[(٤)].

كذلك عندما هجا الشاعر النجاشي (قيس بن عمرو ت نحو ٤٠هـ)، بني العجلان استعدوا عليه عمر بن الخطاب ﷺ وذكروا له ما قال فيهم «فهدده عمر ﷺ وقال له: إن عدت قطعت لسانك»[(٥)]. كما كره عمر ﷺ للشعراء أن يتعرضوا للمسلمين بالهجاء، كذلك كره لهم أن يتعرضوا لنسائهم وبناتهم بالتشبيب والغزل، وحذرهم من أن يوقع بهم عقوبة إذا تشبب أحدهم بامرأة[(٦)].

وسار عثمان ﷺ في النهي عن التعرض للأعراض والهجاء والتشبب وما إلى ذلك من الشعر المنافي للآداب والأخلاق التي دعا إليها الإسلام.

---

(١) ن.م، ص١٠. ابن خلدون، المقدمة، ص٥٨١.

(٢) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، ١٩٣٠، ١/٢٢٢.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٥٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/٣٣٥ و٦/١٤٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني (ط الساسي)، ٢/٥٢-٥٤. قارن الراغب، محاضرات الأدباء، ١/٨٠.

(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٠٥.

(٦) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/٣٣٥ و٦/١٦٦. الراغب، محاضرات الأدباء، ١/٨٠. شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص٩٧-٩٨.

مـــن ذلك ما فعله مع ضابئ بن الحارث البرجمي (ت نحو ٣٠هـ)، عندما هجا بعض بني جرول بن نهشل في قصيدة له... «فاستعدوا عليه عثمان بن عفان فحبسه وقال: والله لو أن رسول الله ﷺ حيٌّ لأحسبنه نزل فيك قرآن، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك...، ولم يزل في حبس عثمان إلى أن مات...»(١).

وإلى جانـــب التشـــدد على شعر الهجاء فقد منع الإسلام الغزل المكشوف، والفخر الجاهلي، وشعر العصبية القبلية، وشعر الخمرة(٢)، والواقع فإن سبب موقف الإسلام والتحفظ من هذه الأغراض الشعرية هو كونها تخالف تعاليم الدين الحنيف. إن موقـــف الخلفاء من الشعر لا يعدو كونه موقف الإسلام منه، فقد كان الإسلام حريصـــاً علـــى أن يستخدم الشعر في نطاق غاياته الكبرى، وكان يجب أن يكون الشعر وفياً لهذه الغايات، فهو يرضى عنه ويستجيزه ويفسح له في الحياة الاجتماعية مـــا اســـتقام في هـــذا الـــنطاق، فـــإذا خـــرج عن ذلك حجر منه واسعاً وضيق عريضاً...»(٣).

أمَّـــا الأغـــراض الشعرية الأخرى فقد استمرت في العهد الراشدي وإن كانت بصورة أقل نوعاً ما مما كان عليه الحال في عهد النبوة أو إذا ما قورنت بالعهد الذي يليها وهو العهد الأموي، ومن هذه الأغراض التي استمرت، المديح، والرثاء، وشعر الوعظ والإرشاد، وشعر الفتوحات الإسلامية، وشعر الفخر وما إلى ذلك(٤).

فقـــد بقي حسان بن ثابت يمدح الخلفاء والصحابة الكرام لما يرى فيهم من المحامـــد والأعمـــال الطيبة التي يمدح بها الرجال، من ذلك مدحه لأبي بكر، وعمر

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ليدن)، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) ينظـــر: الجـــبوري، الأب الإسلامي في عصر النبوة، مجلة كليلة الأداب، المجلد ١ ع/٢١ لـــسنة ١٩٧٦-١٩٧٧، ص٢٤٢.

(٣) شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢، ص ٣٣٥.

(٤) قـــارن: الجـــبوري، «الأدب الإسلامي في عصر النبوة» مجلة كلية الأداب، ص٢٤٢-٣٤٣، وص ٢٥٢، أيضاً: شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص٣٤٦ وما بعدها.

والزبير بن العوام وغيرهم ﷺ[١].

وهكـــذا يقال عن استمـــرارية شعر كعب بن مالك، والنعمان بن بشير (ت ٦٥هـ)، وغيرهم من شعراء الصحابة، ومن برز من شعراء كبار التابعين.

وكان للخلفاء الراشدين مواقف إيجابية إزاء الشعر في هذه المرحلة، فيروى عن أبي بكـــر ﷺ أنَّـــهُ قوّم شعر النابغة وأثنى عليه فقال: «أشعر النَّاس النابغة، أحسنهم شـــعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً»[٢]. وللخليفة عمر ﷺ مقالة طيبة في الشعر إذ يقـــول: «الشـــعر يســـكن بـــه الغيظ، وتطفأ به النائرة، ويتبلغ القوم، ويعطى به الســـائل»[٣]. وقال: «نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي الحاجة، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم»[٤].

وقد بنى الخليفة عمر ﷺ رحبة في ناحية من المسجد النبوي سميت بالبطيحاء، وقـــال: «مـــن كـــان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الـــرحبة»[٥]. وهذا العمل يحقق غايتين، الأولى: أنَّهُ يُخصِّص مكاناً معلوماً لإنشاد الشـــعر يعلمـــه النَّاس ويعرفونه، والثانية: يوفر الظرف المناسب لإبداء الشعائر في المســـجد كالصـــلاة، ولا يؤثـــر ذلك الإنشاد الشعري على الذين يتعلمون العلوم الأخرى في الحلقات التي كان يشهدها المسجد النبوي آنذاك.

وقد عرف عن بعض الصحابة اهتمامهم بالشعر وروايتهم له في المجالس العلمية واستشهادهم به في كلامهم، وأشهر من عرف عنه ذلك الصحابي عبد الله بن عبَّاس ﷺ، فقد كان يروي الشعر القديم في مجالسه[٦]، وقد أورد الكثير من شواهد الشعر

(١) ينظر: العاني، دراسات في الأدب، ص٨١.
(٢) الراغب، محاضرات الأدباء، ٨٢/١.
(٣) ن.م، ٨٠/١.
(٤) ن.م، ٨٠/١.
(٥) مالك بن أنس، الموطأ، (ط دار النفائس)، ص١٢١.
(٦) ينظـــر: ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، جـ٢ ق٢ ص١٢١. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٥١٢/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٣٣/٢.

في رده على مسائل ابن الأزرق عن تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم[١].

وكـــذلك عرف عن عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تروي الشعر، وكانت تنشـــده في النوازل يقول ابن أختها عروة بن الزبير عنها: «ما كان ينزل بها شيء إلاَّ أنشدت فيه شعراً»[٢].

ويطـــول بنا الحديث لو تطرقنا إلى كل صحابي مدني روى الشعر أو قاله، في عهـــدي الرسالة والخلافة الراشدة، لكننا يمكن أن نذكر نماذج من الشعراء الآخرين مـــن غـــير المشاهير الذين أوردنا ذكرهم عند الحديث عن الشعر في عهد الرسول والخلفـــاء الراشدين. فمنهم: صرمة بن أنس، وأبو قيس الأنصاري (ت نحو ٥هـ): «كـــان حسن الشعر... قوالاً للحق»[٣]. وله شعر جيد في الدعوة الإسلامية منه ما كان في توحيد الله وعبادته ومنه ما مدح به الرسول ﷺ وغير ذلك[٤]. والنعمان بن العجـــلان الزرقـــي الأنصاري (ت بعد ٣٧هـ): «شاعر من شعراء الأنصار صحابي جليل»[٥]. له شعر في مناسبات عدة والنعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري (ت ٦٥هـ)، صحابي نشأ في بيت عرف بالشعر «سلفاً وخلفاً»[٦] وكان هو «فاضلاً جواداً شاعراً»[٧]، وغيرهم كثير.

الشعر في المدينة في العصر الأموي:

فإذا انتقلنا إلى العصر الأموي وجدنا تغيراً كبيراً يطرأ على الأدب في المدينة لا

---

(١) هذه الشواهد، ملأت حيِّزاً كبيراً من كتاب «الإعجاز البياني للقرآن»، الذي نشرته بنت الشاطئ، ص٢٧٨-٥٠٧.

(٢) الـــذهبي، تـــراجم رجال، ص٤٦. وعن عملها بالشعر يراجع: البلاذري، أنساب الأشراف (تحـ. حمـــيد الله)، ٤١٦/١. البسوي، المعرفة والتاريخ، ٤٨٩/١. أبو نعيم، حلية الأولياء، ٤٩/٢-٥٠. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٢٨/١ وغيرها.

(٣) ابن عبد ربه، الاستيعاب، (ترجمة صرمة بن قيس)، ٧٣٧/٢.

(٤) نمـــاذج لشـــعره: ن.م، ٧٣٧/٢-٧٣٨. أيضاً: الحامد، شعر الدعوة الإسلامية، ص١٣٤-١٣٦ وص١٥٠ وص٥٢٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٣٥٢/٢. أيضاً: الحامد، شعر الدعوة الإسلامية، ص٣١٨ وص٤٧٣-٤٧٤.

(٦) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ٤٨/١٦-٤٩ و٥٠-٥١.

(٧) ابن قدامة، الاستبصار، ص١٢٢.

سيما الشعر، فقد نهض نهضة واسعة. وليس أدل على ذلك إلاّ كثرة الشعراء الذين ظهروا في هذه المدة فقد فاضت الكتب التي تعنى بالشعر والشعراء والحياة الأدبية عموماً بالكثير من أسماء هؤلاء الشعراء، وكان فيهم بعض المشاهير من البيوتات القرشية التي استوطنت المدينة. كعبد الرحمن بن الحكم من بيت بني أمية(١)، (ت نحو ٧٠هـ) وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي من بيت العلويين (ت ١٤٥هـ)(٢)، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق من بيت أبي قحافة (ت ٥٨هـ)(٣)، وجعفر بن الزبير من بيت الزبيريين (ت نحو ٩٧هـ)(٤). والحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب من بيت العباس (ت ١٤٠هـ)(٥)، وغيرهم كثير، وإلى جانبهم كان بعض حلفائهم مثل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وهو من حلفاء بني زهرة وعداده فيهم، وإبراهيم بن هرمة (ت ١٥٠هـ) من حلفاء قريش وهو من الخلج، وقد أدرك العصر العباسي.

وفضلاً عن هؤلاء القرشيين فقد كان هناك شعراء من الأنصار هم أكثر عدداً وأوفر شعراً، فقد كانت بيوتات تشتهر بالشعر، كأنما تتوارثه الأبناء عن الآباء، وأشهر هذه البيوتات آل حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، فقد كان ابنه عبد الرحمن بن حسان شاعراً (ت ١٠٦هـ)(٦)، وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان (ت نحو ١١٥هـ) شاعراً أيضاً، وإلى جانب آل حسان، اشتهر بيت كعب بن مالك، فقد اشتهر من هذا البيت عبد الرحمن بن كعب بن مالك(٧)، وابنه بشير بن عبد الرحمن بن كعب فهم ثلاثة شعراء في نسق. ومن آل كعب ممن اشتهر بالشعر

---

(١) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ١٠٦/١٥ وما بعدها.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٦/٥-١٨٧. وقال (توفي في حبس أبي جعفر).

(٣) ن.م، ١٤٦/٦-١٤٧.

(٤) ن.م، ٩٢/٢.

(٥) ن.م، ٣٤١/٢-٣٤٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ١٠٦/١٥ وما بعدها. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٦٢/٦-١٦٣.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٩/٦، قال: ت في خلافة سليمان بن عبد الملك.

وترجمت له كتب الشعراء، معن بن عمر بن عبد الله بن كعب، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب[١]. ومعن بن زهير بن كعب... وكلٌ من هؤلاء شاعر مجيد مقدم[٢].

يمكن أن نعزو هذه الكثرة من الشعراء، وهذا النشاط الشعري في هذه المرحلة في المدينة إلى عاملين أساسيين:

الأول: العامل الاجتماعي:

فمنذ الهجرة النبوية ومجتمع المدينة في تزايد، إذ كانت الهجرة إليها شرطاً أساسياً لكمال دين المسلم، حتى السنة الثامنة من الهجرة، وهي سنة فتح مكة فأُلغي عند ذلك العمل بالهجرة إلى المدينة وقال النَّبي ﷺ قوله المشهور: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة»[٣].

هذه المدة كانت كافية لانتقال أعداد كبيرة لاسيما من القرشيين (المكيين) إلى المدينة فضلاً عن أبناء القبائل القريبة إلى المدينة.

وبعد حركة التحرير والفتوح في عهد الخليفة عمر وشطر من خلافة عثمان وما حقق المسلمون من انتصارات باهرة، وقع بعض أبناء المناطق المفتوحة في أيدي المسلمين وقدموا المدينة فصار المجتمع المدني عبارة عن قوى اجتماعية ثلاث، الأولى المهاجرون من قريش وغيرها، والأنصار وهم سكان المدينة الأصليين، والفئة الثالثة هي فئة الموالي. فأمَّا المهاجرون والأنصار فقد عرفنا كيف أنهم امتزجوا في المدينة منذ هجرة رسول الله ﷺ إليها[٤]، وقد بيَّن القرآن صورة مجتمعهم بأنه قائم على التوافق والمحبة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر/٩). وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ

(١) ن.م، ٦/٢١٤-٢١٥، ٢٥٩. قال (توفي في خلافة هشام).

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٢٧.

(٣) البخاري، الصحيح (باب الجهاد والسير)، ٤/١٠٤.

(٤) ينظر: الفصل الأول.

عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح/٢٩). وآيات أخرى كثيرة[١].

أمَّا الفئة الثالثة: وهم الموالي الذين زاد عددهم مع ازدياد حركة التحرير والفتوح. ولنذكر مثالاً واحداً في الأقل على كثرتهم في المدينة يذكر البلاذري رواية عن الواقدي «أن سبي قيسارية بلغوا أربعة آلاف رأس، فلما بعث به معاوية إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجرف، ثمَّ قسمهم على يتامى الأنصار، وجعل بعضهم في الكتاب والأعمال للمسلمين»[٢].

هذا الخليط الاجتماعي انعكس على الجانب الأدبي، فكثر الشعراء سواء من القرشيين وغيرهم الذين استوطنوا المدينة منذ فجر الإسلام، أم من الموالي الذين قدموها مع موجات الفتح، إذ اشتهر كثير من الشعراء من كلا الفئتين.

الثاني: العامل الاقتصادي:

كان له دور بارز في نشاط الأدب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة، في المدينة، وقد ازداد المال المتدفق إلى المدينة مع حركات التحرير في العصر الراشدي، فمنذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ظهرت آثار التطور الاقتصادي وازدياد الثروة التي انعكست بدورها على حركة العمران أولاً فابتنى كثير من الصحابة وكبار التابعين الدور والقصور في المدينة، ويشير الطبري «إلى أن البناء في عهد عثمان، بلغ سلعاً»[٣].

أمَّا في العصر الأموي، فقد ازدادت الثروة في المدينة أكثر، فقد ظل الخلفاء الأمويون يجرون الأموال والعطايا على أهل المدينة، ونذكر منهم، معاوية، ويزيد، والوليد، وسليمان، والوليد بن يزيد[٤]، وفي هذا العصر بدأ التأثير الحضاري الذي رافق العامل الاقتصادي يأخذ طريقه في المدينة وازداد التحضر، الذي انعكس بدوره

(١) للمزيد: حسن خالد، مجتمع المدينة، ص١٣٥ وما بعدها.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤/٢٨٤.

(٤) ينظر الفصل الأول.

على عادات المأكل والمشرب والملبس[١].

كان الأثرياء في المدينة يشجعون الشعراء ويغدقون عليهم الأعطيات، فينشد الشعراء في مدحهم القصائد الكثيرة، فمن أمثلة ذلك ما يروى عن حمزة بن عبد الله بن الزبير (المتوفى في خلافة عبد الملك) من أن عبيد الله بن قيس الرقيات (ت ١٩٤هـ) وفد عليه فأعطاه أربعة آلاف دينار[٢]، وكان معبد منقطعاً إليه يغنيه فيما يمدحه به الشعراء، وأمثال حمزة من الأثرياء المترفين في المدينة كثير، منهم عبد الله بن جعفر (ت حوالي ٨٠هـ) وكان مشهوراً بالجود والكرم قال النووي: «...كان كريماً جواداً حليماً، وكان يسمى بحر الجود...»[٣] وكان يخص الشعراء بأعطيات كثيرة[٤].

أغراض الشعر في المدينة في العصر الأموي وأشهر شعرائه:

والذي يقف على شعر هؤلاء الشعراء يجد أن أغراضه المشهورة تكاد تنحصر في هذا العصر تحت ثلاثة فنون، الغزل، المديح، الهجاء.

فأمَّا شعر الغزل فقد زاد على بقية الأغراض في هذه الحقبة، سواء في عدد الشعراء الذين مارسوه، أو كثرة نتاجاتهم فيه، وأية قراءة لتراجم الشعراء في هذه المرحلة واستعراض ما خلفوه من شعر تبين حقيقة هذه المسألة. وعلى الرغم أن من بين الشعراء الذين خلفوا لنا شعراً في الغزل كانوا من سادة مجتمع المدينة، أمثال: عبد الرحمن بن أبي بكر، وجعفر بن الزبير، والحسين بن عبد الله بن عبد الله، إلاَّ أن ما تركه هؤلاء في هذا الفن لم يعدو أن يكون شعراً يعبر عن عواطفهم الخاصة[٥]، أمَّا أشهر شعراء الغزل في العصر الأموي في المدينة فهما: عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣هـ)[٦]، والأحوص (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم) الأنصاري (ت

---

(١) قارن بما كتبه شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص٣٨-٤٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ٣/١٠٣، ٥/٩٣.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٢٦٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٥/٨١.

(٥) ينظر: شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص١٠٢.

(٦) ينظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، ص١٣٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ليدن)، ص٢١٦. ومن =

حوالي ١٠٥هـ)[١]. وهناك آخرون غيرهم – حتماً – لكن بدرجة أقل من الشهرة.

وعندما نقول إنهم شعراء الغزل الصريح فهم بلا شك أبناء عصرهم وبيئتهم المترفة المرفهة، غير أنهم «لم يتهتكوا في غزلهم، وإنَّما احتفظوا فيه بغير قليل من الحشمة والوقار فقد كانوا جميعاً من العرب، وكانوا ما يزالون يراعون – في الغالب – قيم المجتمع وآدابه وأخلاقه العربية والإسلامية[٢] اللَّهُمَّ إلاَّ ما كان من استثناءات بسيطة وردت متناثرة في شعر عمر بن أبي ربيعة أو الأحوص وغيرهم، وإلى جانب هؤلاء الشعراء العرب، ظهرت طبقة من شعراء الموالي ومن الجواري ممن كان يغني شعر الغزل وشهرة هؤلاء سادت في إقليم الحجاز أكثر من غيره[٣].

أمَّا شعر المديح: فيمكن القول إنَّهُ كان من الأغراض الشعرية الواسعة، فقد ظهر شعراء مدحوا الأمويين من بين مشاهير الشعراء في المدينة، فهذا سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يخالف نهج والده المناوئ للأمويين، فيمدحهم ويصلونه[٤]، غير أن أشهر شعراء المدينة الذين مدحوا الأمويين هو الشاعر الأحوص. فقد مدحهم كثيراً، ونال صلاتهم وجوائزهم ومنهم أيضاً إبراهيم بن هرمة الذي أكثر من مدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامل المدينة لمروان بن محمد (١٢٧هـ-١٣٢هـ)، وفيه يقول[٥]:

=

الدراسات الحديثة: جبور، جبرائيل سليمان، عمر بن أبي ربيعة (جزءان)، ط دار العلم للملايين، ١٩٧٩.

(١) ينظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، ص١٣٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ليدن)، ص٢٠٤. ومن الدراسات الحديثة: السامرائي، إبراهيم، شعر الأحوص (مع مقدمة عن الشاعر)، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩.

(٢) ينظر: حسين عطوان، الشعراء من مخضرمي الدولتين...، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٤، ص ٢٨١.

(٣) ينظر: السيوطي...، المستطرف في أخبار الجواري، تحـ. صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٦٣، ص٢٨-٢٩، ص٤٩، ص٦٧-٦٨ وغيرها.

(٤) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ٨/٢٦٩.

(٥) ن.م، ٦/١٠٣.

يكاد بابك من جود ومن كرم من دون بوابة للناس يندق

وأكثر من مدح الأمويين هم الشعراء الموالي في المدينة، ذلك أن شعراء قريش أو الأنصار كان أكثرهم مترفين فلم يكونوا بحاجة إلى الأموال أو العطايا، والتي تنجم -عادة- عن شعر المديح، أمَّا الشعراء الموالي فبحكم مركزهم الاجتماعي الذي يجعلهم في حاجة إلى التكسب، كانوا أكثر استعداداً للإكثار من شعر المديح، فقد كان موسى بن يسار (شهوات) وأخوه إسماعيل بن يسار، ممن مدحوا الأمويين، وكانت صلات الأمويين تدر عليهم، وقد تأتيهم هذه الصلات عند وفادتهم على دمشق، أو قد تأتيهم إلى الحجاز[١]، بل إن بعضهم كان يمدح أشراف أهل المدينة ويكتفي بذلك. كما نرى أيضاً في شعر موسى شهوات الذي أكثر من مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان ينال جوائزه وصلاته السخية[٢].

أمَّا شعر الهجاء في المدينة في العصر الأموي فقد انحصر في دائرة ضيقة، ولم يؤثر عن شعراء تهاجوا وتقارضوا غير شاعرين: هما عبد الرحمن بن الحكم، وعبد الرحمن بن حسان، وقيل إن السبب في ذلك أن الأخير منهما هجا معاوية فرد عليه ابن الحكم، فاستمر الهجاء بينهما، ويعرض أبو الفرج نماذج من تهاجي هذين الشاعرين اللذين يتمتع كل منهما بمنزلة كبيرة[٣]، فعبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم، الذي ولي المدينة مرتين لمعاوية (٤١-٤٩هـ) و(٥٤-٥٧هـ)[٤]. وأمَّا عبد الرحمن بن حسان فهو من مشاهير بيوتات الأنصار في الشعر، ويكفي أن والده حسان بن ثابت كان شاعر الرسول ﷺ. وبذهاب عبد الرحمن بن حسان فلا نجد شاعراً يهجو الأمويين أو ينال منهم، فعقب واقعة الحرّة (٦٣هـ) أذعنت المدينة للأمويين، ولما بسط ابن الزبير نفوذه عليها لم يبرز له في المدينة شاعر مشهور يدافع عن وجهة نظره، ويهجو خصومه السياسيين[٥].

(١) ن.م، ٣/٣٦٥، ٤/٤٠٨.
(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، ١٠/٣٩ و٤١-٤٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/١٠٦ وما بعدها.
(٤) الطبري، تاريخ، ٥/١٧٢ و٢٣٢. أيضاً: خليفة بن خياط، تاريخ، ١/٢٣٥ و٢٧٦.
(٥) قارن: شوقي ضيف، الشعر في المدينة، ص١٠٢-١٠٣.

وإذا تجاوزنا الأغراض الشعرية وأردنا أن نتعرف على موقف عموم أهل المدينة من الشعر فإنَّه يمكننا القول بأن الشعر لم يختص في هذا العهد بطائفة دون أخرى. فنرى بعض العلماء يقول الشعر كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو وجزة السعدي (ت ١٣٠هـ) وغيرهم، وترى جماعة أخرى تمتاز بكونها من أشراف البيوتات كجعفر بن الزبير وغيره ممن أشرنا إليه آنفاً، وإلى جانبهم طبقة من شعراء الموالي الذين اتسم شعرهم بالغزل وغلب عليه طابع «الشعر الغنائي أو المغنى».

وإذا اخترنا أحد نماذج الشعراء في العصر الأموي وليكن جعفر بن الزبير بن العوام (ت أواخر القرن الأول الهجري)، فقد نشأ هذا الشاعر في المدينة، ووصف بأنه «كان شاعراً مجيداً»[1]. وتنوعت أغراض الشعر التي قالها بين الفخر والرثاء والمدح وأغراض أخرى في مناسبات اجتماعية معينة، ولجعفر علاقة طيبة مع الخلفاء الأمويين لا سيما الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) وعمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)، وكان الخليفة سليمان قد أمر له بصلات مالية وقضى ديونه فمدحه بشعره، فكان مما قاله[2]:

فما كنت دياناً فقد دنت إذ بدت ... صكوك أمير المؤمنين تدور
بوصل أولي الأرحام قبل سؤالهم ... وذلك أمر في الكرام كثير

الشعر في المدينة في العصر العباسي الأول:

في هذا العصر نجد قلة الشعراء البارزين في المدينة، وذلك بسبب اجتذاب الحواضر الجديدة للشعراء، وكانت بغداد على رأس هذه المدن التي قصدها الشعراء، فمن أهل المدينة الذين ينطبق عليهم هذا الكلام: الشاعر إبراهيم بن علي بن هرمة (ت ١٥٠هـ)[3]، وهو وإن كان من الشعراء المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية،

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩٢/٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ١٥/٥. وينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩٢/٢.
(٣) من مصادر ترجمته: ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ط المعارف)، ٧٥٣/٢. الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، طبعة عالم الكتب، بيروت، بلا.ت، عن طبعة بولاق، مصر، ١٢٩٦هـ، ١٢٥/٢. الأصفهاني، الأغاني (ط دار الكتب)، ٤/ ١٠٢ وغيرها.

غير أن أكثر شعره كان في العصر العباسي الأول، وصف إبراهيم بأنه من ساقة الشعراء أي متأخريهم، وقد اشتهر في المدينة بشعر المديح، والرثاء، والنسيب، وغير ذلك، وأكثر من مدحه في المدينة عبد الله بن الحسن الحسني، وابنه محمد (النفس الزكية)، والحسن بن زيد ولكثرة مدحه لآل علي وصف بأنه «طالبيّ الهوى»[1]، غير أنَّهُ لم يستطع مجاراة حركة محمد النفس الزكية في المدينة عندما خرج الأخير سنة ١٤٥هـ، وذلك خوفاً من الخليفة المنصور. وبعد سنة (١٤٥هـ) توجه إبراهيم ابن هرمة إلى الخليفة المنصور فمدحه بشعره ومن أمثله ذلك قوله فيه[2]:

كريم له وجهان وجه لدى الرضا ... طليق ووجه في الكريهة باسل

وليس بمعطي الحق من غير قدره ... ويعفو إذا ما أمكنته المقاتل

وقد غلب المديح على أغراضه الشعرية الأخرى. وكان في شعره يختار المعاني الجياد، ويضمن قصائده صياغة جديدة ومعاني كبيرة، وينحو نحو الفحولة الشعرية.

قائمة بأسماء مشاهير شعراء المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني للهجرة

ت	اسم الشاعر	تاريخ وفاته بالسنة الهجرية	الملاحظات
١	عبد الله بن رواحة	٨	
٢	كعب بن مالك الأنصاري	٥٠-٥٣	له ديوان مطبوع
٣	حسان بن ثابت الأنصاري	٥٠-٥٤	له ديوان مطبوع مراراً
٤	صرمة بن قيس الأنصاري	حوالي ٥	
٥	النعمان بن العجلان الأنصاري	بعد ٣٧	
٦	النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري	٦٤ أو ٦٥	
٧	موسى بن حسان بن ثابت	حوالي ١١٠	له ديوان مطبوع

(١) ينظر: الشكعة، مصطفى، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٣٩.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ط المعارف)، ٢/٥٠٧-٥٠٨.

٨	عبد الرحمن بن حسان بن ثابت	١٠٤-١٠٦	له ديوان مطبوع/جمعه قديماً أبو سعيد السكري
٩	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	٩٨-١٠٠	
١٠	جعفر بن الزبير بن العوام	نهاية القرن الأول	
١١	عبد الرحمن بن الحكم الأموي	حوالي ٧٠	
١٢	عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي	١٤٥	
١٣	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٥٣	
١٤	الحسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عبَّاس	١٤٠	
١٥	إبراهيم بن علي بن هرمة	١٥٠	له ديوان مطبوع/جمعه قديماً أبو سعيد السكري
١٦	سعيد بن عبد الرحمن بن حسان	حوالي ١١٥	له ديوان مطبوع/جمعه قديماً أبو سعيد السكري
١٧	عبد الرحمن بن كعب بن مالك	ما بين ٩٦-٩٩	
١٨	أبو وجزة السعدي (يزيد بن عبيد)	١٣٠	
١٩	عمر بن أبي ربيعة	٩٣	له ديوان مطبوع
٢٠	الأحوص (عبد الله بن محمد الأنصاري)	حوالي ١٠٥	له ديوان مطبوع
٢١	طويس (عيسى بن عبد الله)	٩٢	
٢٢	سائب بن يسار (سائب خاثر)	٦٣	
٢٣	معبد بن وهب	١٢٦	
٢٤	يونس الكاتب	حوالي ١٣٥	
٢٥	عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب	في خلافة هشام	

٣. الخطابة:

الخطابة أو الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ومنها، خطب على المنبر خطبة بضم الخاء، وهي في لغة العرب: الكلام المنثور المسجع ونحوه[١]. والخطابة هي «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كائن»[٢]. وعوامل نجاحها ثلاثة «تحتاج إلى اهتمام خاص هي: مصادر الأدلة، والأسلوب، وترتيب أجزاء القول»[٣]. ووصفت الخطابة بأنها أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في الشؤون المختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية، ولها المحل الأول في تربية النفوس أيام السلم، وتنشيطها للقتال أيام الحرب...»[٤].

وقد ارتبطت الخطابة عند العرب ببلاغة الكلام، فكان الخطباء يوصفون بأنهم بلغاء، ويعدّون الخطابة من غير بلاغة عيباً، يقول الجاحظ: «اعلم — أبقاك الله — أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء، مع سماحة التكلف، وشنعة التزيد، أعذر من عيي يتكلف الخطابة...»[٥]. وعرفت المدينة — كباقي المدن — في الجزيرة العربية بأن فيها خطباء كانوا في الغالب من سادة قبائلهم وحكمائهم، إذ إن معظم القبائل العربية قبل الإسلام كان فيها خطيب أو أكثر كما كان فيها شاعر أو أكثر، ومن خطباء المدينة (يثرب) قبل الإسلام، سعد بن الربيع...[٦]. وقد ضاع معظم هذا التراث الضخم من الخطب سواء في المدينة أو في غيرها، وذلك بعدم

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب). الرازي، مختار الصحاح، مادة (خطب).

(٢) أرسطوطاليس، الخطابة (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٩، ص ١٩٣. قارن: أبو زهرة...، الخطابة، أصولها، تاريخها...، دار الفكر العربي، ١٩٣٤، ص١٩.

(٣) أرسطوطاليس، الخطابة (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٩، ص ١٩٣. قارن: أبو زهرة...، الخطابة، أصولها، تاريخها...، دار الفكر العربي، ١٩٣٤، ص١٩.

(٤) ينظر: درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ١/٤-٥.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٣.

(٦) هو سعد بن الربيع بن عمرو، من الخزرج، أحد نقباء الأنصار، كان كاتباً وخطيباً بالمدينة قبل الإسلام، الجوزي، صفة الصفوة، ١/١٩١، ابن عبد البر، الاستيعاب بهامش الإصابة، ترجمة رقم ٩٣١.

تدوينه من جهة، ومن جهة ثانية لأنّ العرب كانوا يقدمون الشعر على الخطابة لما في الشعر من تسجيل لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وفخر بأنسابهم وأحسابهم، وتشهير بأعدائهم، لذا لم تكن الخطابة تروى في القبائل كما يسير الشعر[١].

الخطابة في المدينة في عهد النّبي ﷺ والخلفاء الراشدين:

وما إن جاء الإسلام حتى قويت الخطب ونشطت نشاطاً واسعاً، وذلك لما لها من ارتباط بالدين الإسلامي الحنيف. فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من آيات القرآن تتضمن الأساليب الخطابية الندائية كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فكان رسول الله ﷺ طوال مكثه بمكة يتلو على قريش ومن يلقاه في الأماكن العامة، كتاب الله حيناً، وحيناً آخر كان يخطب في نفس معاني القرآن المكيّة متحدثاً عن رسالته، ويركز فيها على جانب العقيدة[٢].

وقد تضمن الإسلام تشريعات وشعائر تتضمن إقامة خطبة في كل أسبوع وهي خطبة الجمعة، التي تتناول ما يهم أمور المسلمين في حياتهم وآخرتهم، وقد شهدت المدينة المنورة إقامة أول خطبة جمعة قبل مقدم النّبي ﷺ إليها، فقد ذكر ابن إسحاق بإسناده إلى كعب بن مالك «أن أسعد بن زرارة (توفي قبل الهجرة) أول من جمع بهم بالمدينة في هزم بني النبيت[٣]، من حرّة بني بياضة... قيل: كم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً»[٤].

ولما هاجر النّبي ﷺ إلى المدينة كان خطيبُها الأوحد فكان عليه الصَّلاة والسلام يتخذ من الخطابة وسيلة لنشر مبادئ الدين الإسلامي، وتأليف كلمة المسلمين في

---

(١) ينظر: درويش، الخطابة، ١/١٥٧.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة، ١/٢٩٣-٢٩٤، ٣٠٢ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ٢/٣١٨، ٣٢١-٣٢٣، ٣٣٧-٣٣٨، وغيرها.

(٣) هزم بني نبيت: الهزم ما اطمأن من الأرض، وهو هنا اسم موضع في المدينة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (هزم) وبنو النبيت هم أولاد عمرو بن مالك من الأوس... (ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٠).

(٤) ابن هشام، السيرة، ١/٤٣٥.

المدينة أنصارهم ومهاجريهم، فكان يخطب بهم الجُمُعة، والعيدين، وعند الدعوة إلى الجهاد، وفي الأوقات التي يحتاج الرسول ﷺ إبلاغهم فيها بأمر ما، وبالأحداث التي تلم.

فمن ذلك أنَّهُ عليه الصَّلاة والسلام لما وصل المدينة ألقى خطبة في أهلها، فكان مما قاله بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أمَّا بعد أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله لَيُصعَقَنّ أحدكم، ثمَّ ليدعن غنمه ليس لها راع، ثمَّ ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسك؟... فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام علكم ورحمة الله وبركاته»[1].

ثمَّ خطب فيهم الجُمُعة الأولى بالمدينة فكان مما جاء فيها: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه... وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله... أوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضّه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة... خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله... الخ»[2].

وللنبي ﷺ خطب مشهورة في غير مناسبات الشعائر الدينية، فقد كان يخطب في أصحابه في ساحة القتال يحضهم على الصبر، والقتال حتى الشهادة، كما حدث في بدر الكبرى، وأُحد، والخندق وحنين وغيرها، فمثال ذلك ما فعله رسول الله ﷺ يوم بدر. قال ابن إسحاق: «خرج رسول الله ﷺ إلى النَّاس فحرضهم، وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلاَّ أدخله الله الجنة...»[3].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/٥٠٠-٥٠١.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢/٣٩٥-٣٩٦. قارن ابن هشام، السيرة، ١/٥٠١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/٦٢٧.

ومـــن خطبه في الأنصار خاصة بعد غزوة حنين، عندما قال قائلهم: لقي والله رســـول الله ﷺ قومه... قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يـــا معشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم آتكـــم ضـــلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله وأعداءً فألف بين قلوبكم...» الخ الخطـــبة ولتأثـــر الأنصار بهذه الخطبة ذكر أنهم بكوا حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: «رضينا برسول الله قسماً وحظاً...»[(١)].

وللـــنبي ﷺ خطـــب مشـــهورة في أحداث تاريخية مثل خطبته في فتح مكة، وخطبـــته في حجة الوداع، وغيرها... ومما يلاحظ على خطب النّبي ﷺ أنها كانت متعددة الأغراض تجمع بين الوعظ، والتذكير والوصية بالتقوى، والإحسان، والحث على الجهاد، وذكر الله، والعلم للآخرة، وتطبيق الشعائر الدينية وما إلى ذلك، وكان ﷺ إذا خطب «يبدو على وجهه ما يختلج في صدره، فقد تحمر عيناه، ويعلو صوته، وكـــان جمـــيل الـــنطق بـــيّن الكـــلام... يكره التصنع كله، وهو القائل: «إياكم والتشادق»[(٢)].

وكـــان رســـول الله ﷺ يستعين ببعض خطباء المدينة المنورة لمواجهة خطباء الـــوافدين إلى المدينة، لا سيما في عام الوفود من سنة ٩هـ[(٣)]، فعندما قدم وفد بني تميم إلى النّبي ﷺ قالوا له: «ائذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقـــام عطـــارد بـــن حاجب...[(٤)] فألقى خطبة قصيرة فخر فيها بقومه ومكانتهم وفضلهم. فلما جلس، قال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس الأنصاري (ت ١١هـ)[(٥)]،

---

(١) تفصيل الخطبة وتفسير الغريب فيها يراجع: ابن هشام، السيرة، ٢/٤٩٨-٥٠٠. الطبري، تاريخ، ٣/٩٣-٩٤.

(٢) ينظـــر: الـــبخاري، الصـــحيح، ٨/٩١-٩٢. الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٩١. أيضاً: درويش، الخطابة، ١/٢١٨.

(٣) ينظـــر عـــن الوفود وتفاصيل ما حدث في المدينة عند قدومها: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف...، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨، ٤/١٩٤ وما بعدها.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢/٥٦٢. الطبري، تاريخ، ٣/١١٤.

(٥) ثابت بن قيس: ثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وخطـــيب الأنصـــار، شـــهد أُحداً والمشاهد التي بعدها. وفيه قال رسول الله ﷺ: نعم الرَّجل =

قم فأجب الرَّجل في خطبته، فقام ثابت فقال: «الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ولم يك شيء قط إلاَّ من فضله،... اصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً وأصدقه حديثاً... فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه... ثمّ كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل النَّاس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً... الخ الخطبة»[1].

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلت الخطابة على مكانتها تتصدر الأحداث التاريخية، والمحافل الدينية، فقد أحدثت وفاة الرسول ﷺ ردة فعل عنيفة، وصفتها السيدة عائشة (رضي الله عنها) بقولها: «لما توفي رسول الله ﷺ... صار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر»[2]. وهنا تبرز مكانة أبي بكر الخطابية، فقد وقف في النَّاس بعدما تأكد من وفاة النَّبي ﷺ فقال: «أيها النَّاس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾». وذكر ابن إسحاق قوله: «لما سمع النَّاس كلامه أقبلوا عليه»[3].

وبعد أن بايع المسلمون أبا بكر ﷺ البيعة العامة في المسجد النبوي قام خطيباً «فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمَّ قال: أمَّا بعد أيها النَّاس فإني قد وليت عليكم

=

ثابت بن قيس. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر ﷺ. تفاصيل ترجمته: ابن عبد البر، الاستيعاب (ترجمة/٢٥٠)، ١/٧٢-٧٨. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/٢٥٧، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢/١٢-١٣ وغيرها.

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/٥٦٢. الطبري، تاريخ، ٣/١١٦. السهيلي، الروض الأنف، ٤/٢٠٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢/٦٦٥.

(٣) ن.م، ٢/٦٥٦. أيضاً: الطبري، تاريخ، ٣/٢٠١-٢٠٣. والآية ١٤٤/من سورة آل عمران. وينظر أيضاً:

Mair, Sir William, The Life of Mohammad, Edinburgh, ١٩١٢, P.٤٩٨-٤٩٩.

ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة... الخ الخطبة»[١]. فأظهرت هذه الخطب براعة أبي بكر ﷺ وقوة منطقه وحجته، التي كانت من بين أسباب جمعه لشمل المسلمين... وله خطب كثيرة مشهورة جمع فيها بين السياسة، والوعظ، والدعوة إلى الجهاد، والدعوة إلى وحدة الصف وما إلى ذلك[٢].

وعرف عن الخليفة عمر ﷺ بأنه من خطباء المدينة المعدودين، وقد كان لخطبه في بعض الأحداث السياسية في المدينة أثر فاعل، كتلك التي ألقاها في سقيفة بني ساعدة يوم كان النقاش يدور بين المهاجرين والأنصار على الأحقية بالخلافة. وكان مما جاء في تلك الخطبة: «هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيرهم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولِّي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين... الخ الخطبة»[٣].

ومن خطب الخليفة عمر ﷺ في خلافته، ما روي عن عروة بن الزبير أن عمر ﷺ خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمَّ قال: «يا أيها النَّاس إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووضعها أين أضعها... فربّي المستعان... الخ الخطبة»[٤]، وفيها تبرز شدة إحساس الخليفة عمر ﷺ بالمسئولية

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٦٦١/٢. الطبري، تاريخ، ٢١٠/٣. السهيلي، الروض الأنف، ٢٦٢/٤. وانظر التعليق على الخطبة: ندوى، الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير: المدينة المنورة، ص١٢٠-١٢٢.

(٢) ينظر عن هذه مثلاً: الطبري، تاريخ، ٢٣٣/٣-٢٢٤ خطبة في توديع جيش أسامة، خطبة في الوعظ، ٢٣٨/٣-٢٣٩. وينظر: ابن قتيبة...، عيون الأخبار، ط دار الكتب، مصر، بلا.ت، ٢/ ٢٢٣-٢٣٤.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢٢٠/٣.

(٤) الطبري، تاريخ، ٢١٤/٤. قارن: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٣٤/٢-٢٣٠.

وزهده في أمر الدنيا».

ومن خطبة في الوعظ قال: «أيها النَّاس إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غـــنى، إنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غـــرور، فأظهـــروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر... أيها الناس، أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم»(١).

ولـــه خطـــب كـــثيرة تدل على قوة بلاغته، وحسن بيانه، وأنه كان يحسن استخدام الخطب في أغراض شتى كالإدارة، والسياسة، والوعظ، والحث على الجهاد، ومـــن أحســـن ما يؤثر عنه في ذلك على سبيل المثال وصيته إلى القائد أبي عبيد بن مسعود الثقفي حين وجهه إلى العراق، قبيل معركة الجسر التي استشهد فيها، ووصيته إلى القائـــد سعد بن أبي وقاص وقد وجهه إلى العراق أيضاً قبيل معركة القادسية مع الفرس(٢).

ومـــات الخليفة عمر بن الخطاب وخلفه أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنهما)، فكان مع ما أوتي من فصاحة وبيان، لم يرق إلى ما كان عليه سابقيه أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) في كثرة الخطب واستخدامها في تسيير الأمور، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى شدّة حيائه.

وقـــد أثـــر عن عثمان ﷺ أنَّهُ خطب في أول خلافته حين بايعه أهل الشورى والـــناس فكـــان مما قاله فيها: «أمَّا بعد، فإني قد حمّلت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولســـت بمبتدع، ألا وإن لكل عليّ بعد كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً. اتباع من كـــان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنّ سُنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم...»(٣).

ومن خطبه في أوائل خلافته يتحدث فيها عن الزهد في الدنيا، قال بعد أن حمد الله وأثـــنى عليه: «... إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما

---

(١) الطبري، تاريخ، ٤/٢١٥-٢١٦.

(٢) ن.م، ٣/٤٤٥ و٤٥٧، ٤/٤٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤/٤٢٢.

تقــدرون عليه... ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغــرنكم بــالله الغــرور، اعتــبروا بمن مضى، ثمَّ جدوا ولا تغفلوا، فإنَّه لا يغفل عنكم...» الخ[١].

ولما ابتلي الخليفة عثمان في آخر حياته بمحاصرة المارقين له في داره، خاطبهم بخطب بليغة[٢]، غير أنَّهُ لا فائدة معهم، وقد انتهت هذه المصيبة باستشهاده أواخر سنة ٣٥هـ.

واستخلف علي بن أبي طالب بعد عثمان (رضي الله عنهما) وكان خطيباً مفوّهاً. من ذلك أول خطبة خطبها حين بويع له في المدينة أنَّهُ بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «إن الله ﷻ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر... والمسلم من سلم النَّاس من لسانه ويده، إلاَّ بالحق، لا يحل أذى المسلم إلاَّ بما يجب... اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ﷻ ولا تعصوه...، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ »[٣].

ثمَّ إن علياً دعا أهل المدينة إلى الوقوف معه ضد مخالفيه، فخطبهم قائلاً: «إن الله ﷻ بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق، وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلاَّ هالك، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلاَّ من حفظ الله، وإن سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها... الخ»[٤].

ومن غير الخلفاء الراشدين، من مشاهير قريش الذين استوطنوا المدينة وولجوا عــالم السياسة فاشتهرت لهم خطب في هذا الميدان نذكر: عبد الله بن الزبير، الذي ولــد بالمدينة في السنة الأولى من الهجرة، وتوفي بمكة عام ٧٣هـ، فقد مكث معظم

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢٤٣/٤.

(٢) ن.م، ٣٣٠/٤. وينظر: العمر، عثمان بن عفان (رسالة ماجستير)، ص٢١٤ وما بعدها.

(٣) الطــبري، تــاريخ، ٤٣٦/٤ وفــيها مقطع من الآية ٢٦/سورة الأنفال. أيضاً: الجاحظ، البيان والتبيين، ٥٠/٢.

(٤) الطبري، تاريخ، ٤٤٥/٤.

حياته في المدينة، واشتهر بفصاحته ولسنه، وخطبه المفوّهة، ففي عهد الخليفة عثمان خطب على المنبر مبشراً بفتح أفريقية، يقول الجاحظ: «جلس عثمان بن عفان فقال: يا أيها الناس، إن الله قد فتح عليكم أفريقية، وقد بعث إليكم ابن أبي سرح، عبد الله بن الزبير بالفتح قُم يا ابن الزبير، قال: فقمت فخطبت فلما نزلت قام فقال: يا أيها الناس، انكحوا النَّاس على آبائهم وإخوتهم، فإني لم أر لأبي بكر الصديق ولداً أشبه به من هذا...»[١].

وله خطب أخرى أشهرها خطبته بعد أن جاءه خبر مقتل أخيه مصعب بن الزبير عام ٧١هـ والتي بدأها بقوله: «الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء... ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر حزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمه الله، فأمَّا الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة، وأمَّا الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة...»[٢]. ويلاحظ على معظم خطبه بعد أن بويع له بالحجاز وبعض المشرق أنَّهُ كان يغلب عليها الطابع السياسي والجهادي، ويؤكد فيها حقه في الخلافة ودعوته إلى مناجزته أعدائه.

ومن خطباء المدينة الآخرين من الأنصار في العهد الراشدي، سعد بن عبادة (ت حوالي ١٥هـ): من أصحاب العقبة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ورُويَ عنه العلم، وأخذ عنه أبناؤه قيس وسعيد ومن غيرهم، ابن عباس، وأبو أمامة، توفي بحوران سنة ١٥ هجرية[٣]. كان من خطباء الأنصار المشهورين، وممن يرى حق الأنصار في الخلافة، ومن خطبه المشهورة خطبته يوم السقيفة، التي اتسمت بقوة عباراتها وجزالة ألفاظها، ونذكر منها قوله: «يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إن محمداً عليه الصَّلاة والسلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان،

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ٤٠٦/١ و٩٥/٢.

(٢) الطبري، تاريخ، ١٦٦/٦. أيضاً: المبرّد، أبو العباس، محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٥، ١٧٦/١.

(٣) ينظر لذلك: ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٦١٣/٣. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٠٢/١. بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ٨٦/٦، وغيرها.

فمـــا آمن به من قومه إلاّ رجال قليل، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله، ولا يعـــزوا دينه... حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالـــنعمة، فـــرزقكم الله الإيمـــان بـــه وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه... الخ»[١].

ومن خطباء الأنصار الذين اشتهروا في أول العهد الراشدي، الحباب بن المنذر (ت في خلافـــة عمر ﷺ)، والنعمان بن بشير (ت ٦٤هـ)، ولهم خطب مشهورة في يـــوم الســـقيفة وغيرها[٢]. ويمكن أن نعدّ خطب هؤلاء ذات اتجاه سياسي. تتعلق بمسألة الخلافة.

الخطابة في العهدين الأموي والعباسي الأول:

لقـــد تأثـــرت الخطابـــة في المدينة بالأحداث التي مرّت بها، وقد أملت هذه الأحداث على الخطابة أغراضها واتجاهاتها، وأشد هذه الأحداث تأثيراً على الخطابة هـــو العامـــل السياســـي، ثمّ العامل الديني فمن المعلوم أن المدينة فقدت مركزها السياسي كعاصمة للدولة العربية الإسلامية منذ انتقال الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ عنها إلى الكوفة عام ٣٧هـ وتلاه اتخاذ الأمويين لدمشق مركزاً لحكمهم. فهذا العامل جعـــل أهـــل المديـــنة يشعرون بغبن مركزهم سيما وأن فيها من الصحابة من فيها وكـــذلك مـــن كـــبار أبـــنائهم، الذين تتجه إليهم أبصار النَّاس من أقاليم الدولة المختلفة[٣].

لقـــد أدرك الخلـــيفة معاوية بن أبي سفيان ما كانت عليه المدينة من مكانة في نفـــوس المســـلمين، فعـــندما أراد البيعة لابنه يزيد اتجه إلى المدينة لأخذ البيعة من وجهائهـــا مـــن كبار أبناء الصحابة ومنهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، وعبد الله بن عمر وغيرهم[٤]، وهنا تبرز الخطابة السياسية في أخذ

---

(١) الطبري، تاريخ، ٣/٢١٨.

(٢) ن.م، ٣/٢٢٠-٢٢١.

(٣) ينظر عن ذلك الفصل الأول من الرسالة.

(٤) الطبري، تاريخ، ٥/٣٠٣-٣٠٤ و٥/٣٢٢. ابن الأثير، الكامل، ٣/٥٠٦-٥٠٧.

ورد فلمـــا خطب معاوية ردوا عليه كل واحد بخطبة[١]، ولنأخذ على سبيل المثال خطـــبة عبد الله بن عمر، الذي قام فقال: «يا معاوية: أما كان من قبلك أئمة ولهم أبـــناء؟ وليس ابنك بأفضل من أبنائهم، غير أنهم اختاروا لأنفسهم الخيار حيث إنهم علمـــوه،... إني سمعـــتك تذكر بيعة قد سبقت، وعهداً قد أكد، وليس لك عندي خلاف، فإذا اجتمع النَّاس على ابنك يزيد لم أخالف...»[٢].

ومـــن الخطباء الذين برزوا في المدينة في هذه الظروف واشتهروا بخطب ذات طابـــع سياســـي، النعمان بن بشير الأنصاري، وقيس بن سعد بن عبادة (ت آخر خلافة معاوية) وغيرهم وإذا وقفنا على عهد الخليفة يزيد (٦٠-٦٤هـ) الذي أعقب وفـــاة الخليفة معاوية نجد أن الخطابة تقوى من جديد في المدينة لما حدث فيها من رد فعل ضد استخلاف يزيد بن معاوية، فحدثت انتفاضة المدينة عام ٦٣هـ، وبرزت الخطابـــة السياسية الحربية فيها متمثلة في أبرز قادتها وهو عبد الله بن حنظلة الغسيل (ت ٦٣هـ)[٣]، ثمَّ تعقـــبها مـــدة سيطرة ابن الزبير على الحجاز كله (٦٤هـ-٧٣هـ)، فتنشط فيها خطابة مؤيدة لسياسة الزبيريين معارضة لحكم الأمويين[٤]، وكان الدور في هذه المرحلة (٦٤هـ-٧٣هـ) للزبيريين في الخطابة.

وفي العصـــر العباسي الأول: نلاحظ تباعد الأحداث في المدينة، وقلة ورود الخطـــب في المصادر، فممن برز من خطباء المدينة المنورة في الجانب السياسي في القـــرن الثاني الهجري، عبد الله بن الحسن بن الحسن (ت ١٤٧هـ)، وهو والد محمد الـــنفس الزكية وإبراهيم أخاه وقد اشتهر محمد النفس الزكية بخطابته وقوة بيانه وهو الـــذي اســـتولى على المدينة عام ١٤٥هـ، في أول حركته ضد المنصور، ومن أولى خطـــبه على منبر المسجد النبوي بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «... وإن أحق الـــنَّاس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار والمواسين... أيها النَّاس

(١) ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٣٤٣/٤-٣٤٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٧٩/٨-٨٠.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ٣٤٣/٤.

(٣) الطبري، تاريخ، ٤٩٠/٥.

(٤) ن.م، ٥٦٦/٥.

إني والله مـــا خـــرجت مـــن بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوة ولا شدة، ولكني اخترتكم لنفسي، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلاَّ وقد أخذ لي فيه البيعة...»[١].

وقد انتهت حركة النفس الزكية بالإخفاق، إذ أرسل المنصور له جيشاً بقيادة عيسى بن موسى فتمكن من القضاء عليها وقتل محمد النفس الزكية سنة ١٤٥هـ[٢].

وبرز من خطباء المدينة أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة (ت ١٦٢هـ)، الذي دعا النَّاس إلى الطاعة والسكينة، وقد وثبوا على والي المدينة عبد الله بن الربيع الذي كـــان والياً من قبل أبي جعفر وذلك سنة خمس وأربعين ومائة فأخرجوه من المدينة، وكـــان لأبي بكر ابن أبي سبرة دور في تهدئة الوضع في المدينة إذ خطب في الناس، ودعاهم إلى الطاعة وصلَّى بالناس حتى رجع ابن الربيع[٣].

وإلى جانـــب هذا النوع من الخطب السياسية، نجد في المدينة نمطاً آخر من الخطب وهي الخطب الدينية، التي كانت تعتمد المواعظ والوصايا والقصص وما إلى ذلـــك، فمن ذلك ما نراه من خطبة أبي حازم «سلمة بن دينار (ت ١٤٠هـ)، أمام الخلـــيفة ســـليمان بن عبد الملك، فقد وقف أمامه واعظاً وهو يقول له: «يا أمير المؤمـــنين نـــزّه ربـــك وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك... في مقالة...»[٤]. وله خطب أخرى في المواعظ والنصائح»[٥].

السمات العامة للخطابة في المدينة في هذه الحقبة:

مـــن خلال استعراضنا للخطابة في المدينة من لدن الهجرة النبوية إليها، وذكر مشاهير خطبائها بدءاً برسول الله ﷺ والخلفاء، ومن بعدهم من الخطباء الآخرين في المدينة، ولدى استعراض النصوص الواردة يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية على

(١) الطبري، تاريخ، ٥٥٨/٧.
(٢) ن.م، ٥٥٨/٧.
(٣) ن.م، ٦١٠/٧-٦١١.
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٩٣/٣.
(٥) الزبير بن بكار...، الأخبار الموفقيات، تحـ. سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص١٤٨.

طبيعة الخطابة في القرنين الأول والثاني للهجرة:

- إن الخطابة غلب عليها الطابع الديني، وتأثرت بأسلوب القرآن واقتبست واستعانت بألفاظه، فالقرآن هو المثل الأعلى للبلاغة العربية، سموا في الغرض وجلاء للقصد، وإصابة للحقائق، واطراداً للأحكام، وعذوبة في اللفظ، ودماثة في الأساليب، وتأليفاً بين العبارات. وهو المدرسة العظمى التي تخرجت فيها الخطابة الإسلامية مترسمة خطاه، متتبعة هداه، محاولة أن تبلغ في شأوها بعض مداه، «وإنا لنجد فطاحل الخطباء -في المدينة- أو غيرها، بدءاً برسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين يرصعون خطبهم بآياته، ويتمثلون به ويقتبسون منه»[(١)].

- اختفت خطب المنافرات والمفاخرات التي كانت سائدة قبل الإسلام، فلم تكن هناك خطابة تعبر عن قيم الجاهلية وعاداتها وتقاليدها، كالكهانة، والسلب والنهب، والثأر وما إلى ذلك[(٢)]. ويصف ابن خلدون اختفاء هذه العادات والتقاليد غير الإسلامية بمجيء الإسلام وإطلاله في عصر النبوة بأنه أمر طبيعي، إذ يقول: «... لأنَّ هذه المدارك كلها، تخمد في زمن النبوة، كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس...»[(٣)].

- التقليل والتخفيف من السجع، الذي كان يثقل خطب العرب قبل الإسلام، سيما ما يدعى بسجع الكهان[(٤)]. وورد في حديث لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في هذا المعنى تقول لعطاء بن أبي السائب وهو من خطباء الوعظ القصصي في المدينة، «... اجتنب السجع في الدعاء فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك...»[(٥)].

ويبدو أن من بين أسباب العزوف عن السجع في الخطب — إلى حد ما —

---

(١) ينظر: درويش، الخطابة، ١/٤٤٨-٤٤٩.

(٢) العاني، دراسات في الأدب، ص٢٢. درويش، الخطابة، ١/٤٤٢.

(٣) ابن خلدون، المقدمة (دار القلم)، ص١٠١.

(٤) العاني، دراسات في الأدب، ص٢٢.

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٩١. قارن: البخاري، صحيح، ٨/٩١-٩٢ وعنده أن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال ذلك.

في المدينة في هذه الحقبة، يعود إلى كره النبي ﷺ للسجع والتكلف له، وقد قال لأحد مستخدميه: «أسجعاً كسجع الجاهلية»(١)، وكذلك أثر عن الخلفاء الراشدين ﷺ من ردّ له على ملتزميه، فيؤثر أن الخليفة عمر ﷺ قال لصحار العبدي: «أسجاع أنت أم مخبر...»(٢).

- الإيجاز من البلاغة مع سمات الخطب في هذه الفترة، فقد ظل الإيجاز في القول ملحوظاً ومطلوباً رعاية للمقام، وموازنة بين أقدار المعاني في مختلف أحوالهم. ولم تعد الإطالة إلاّ لداع يقتضيها، لا سيما أن رسول الله ﷺ وهو قدوة الخطباء كان يوجز في خطبه(٣)، وكذا كان الخلفاء من بعده، ومن برز في الخطابة أبان هذه المدة موضوع البحث.

٣. القصص:

القصص: بالفتح الخبر المقصوص، يقال: قصّ عليّ خبره يقصّه، وقصصاً، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقاصّ: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنّه يتتبع معانيها وألفاظها(٤).

وردت كلمة «قصص» ومشتقاتها في القرآن الكريم في إحدى وعشرين موضعاً، تفيد في غالبيتها معنى الإخبار والحديث عن الأمم السابقة، والأنبياء والرسل، وتحمل في مجملها مواعظ وعبر، ودلائل ومعجزات، لغرض تذكير النّاس بالماضي وتوجيههم نحو منهج الشريعة الإلهية، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (يوسف/١١١). وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود/١٢٠) وقوله: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٢٣٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (دار الكتب العلمية)، ١٣٦/٧. والخبر يرد عند قدوم صحار العبدي إلى الخليفة عمر ﷺ بخبر فتح مكران (سنة ٢٣هـ).

(٣) ينظر: أمثلة الخطب التي وردت سيما خطبته الأولى عند مقدمه المدينة.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص) الرازي، مختار الصحاح، (مادة قصص).

(الأعراف/١٧٦). وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن بعض آياته تشتمل على القصص والعبر، بل إنَّهُ أحسن القصص قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝ ﴾ (يوسف/٢-٣)..

وفي الأحاديث النبوية ما يفيد بأن الرسول ﷺ كان يقص على أصحابه، وأن هذا القصص كان يأخذ طابع الموعظة، يقول ابن الجوزي: «كان النَّبي ﷺ يعظ أصحابه، ويذكرهم ويتخولهم بالموعظة، ويبالغ في التخويف كأنَّه منذر جيش»(١).

وقد أكد النَّبي ﷺ للصحابة هذا الاتجاه وهو الالتزام بقصص الوعظ فقد روى أبو داود وابن ماجة عن العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يوماً موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة»(٢).

يتبين لنا مما تقدم «أن القصص (الوعظ) الديني الإسلامي الذي أخذ يستمد وعظه من القرآن، وإجراءات الرسول ﷺ، حل لدى الجماعة المسلمة محل القصص الجاهلي الذي كان يؤخذ من كلام الكهان والسدنة والحكام والشعراء والخطباء...»(٣).

وفضلاً عن ارتباط القصص بالقرآن الكريم فقد ارتبطت بمجالس الذكر، وقد يطلق على مجالس القصص اسم مجالس الذكر أو العكس، وقد قال أنس بن مالك ﵁، لاثنين من القصاص في زمانه، واصفاً لهم مجالس القصص في بداية الإسلام: «لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه، يقص أحدكم وعظه على أصحابه، ويسرد الحديث

(١) ابن الجوزي، القصاص والمذكرين، بيروت، ١٩٧١، ص١٣. قارن، أبو داود، السنن، ١/٣٢٣-٣٢٤. ابن ماجة، السنن، ١/١٧ (حديث رقم ٤٥).

(٢) أبو داود، السنن، ٤/٢٨١ رقم الحديث ٤٦٠٧. ابن ماجة، السنن، ١/١٥ رقم الحديث (٤٢).

(٣) جودة، جمال محمد داود، «القصص والقصاص في صدر الإسلام...»، مجلة دراسات تاريخية، العددان/٣٣ و٣٤ دمشق ١٩٨٩، ص١٠٦.

سرداً، وإنَّما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين»[١].

وقد حصل تطور على القصص في المدينة في عهد الخلفاء الراشدين فكان هناك قاص مأذون من الخليفة. كما سنرى في ترجمة تميم الداري، يقص في المسجد، وكان لمجالس القصص أوقات معلومة عقب الصلوات، مثل بعد الفجر أو بعد العصر، يقول محمد بن المنكدر عن رجل صلّى في المسجد النبوي: «لما سلم الإمام تقنع وانصرف ولم يجلس للقاص»[٢]. ويمكن أن نعدّ انتقال مركز الإدارة والسياسة من المدينة إلى دمشق في العهد الأموي سبباً في نشاط القصص الديني في المدينة لملء ذلك الفراغ الذي أحدثه هذا التحول.

ومن مشاهير القصّاص في المدينة في الحقبة التي ندرسها نذكر:

تميم الداري (ت بعد ٥٠هـ):

هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد بن خزيمة، من بني عبد الدار،... وقيل في نسبه غير هذا، يكنى أبا رقية، أسلم سنة تسع من الهجرة. روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً[*].

وقد روى عنه جماعة من الصحابة كابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، وجماعات من التابعين، عاش بالمدينة ما يقرب من ثلاثين عاماً. وبعد مقتل الخليفة عثمان ﷺ انتقل إلى بيت المقدس، فمات فيها في خلافة معاوية[٣].

يعد تميماً من أوائل القصاص في الإسلام، في المدينة المنورة، وقد كان من قراء القرآن في صدر الإسلام، وكان قد استأذن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ليقص في مسجد النَّبي ﷺ فقد روي عن السائب بن يزيد قوله: «لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا أبي بكر ﷺ، كان أول من قصّ تميم الداري استأذن عمر بن

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣٢/١.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٥٢/٣.

(*) ابن حزم، جوامع السيرة، ص٢٨٣.

(٣) ينظر: خليفة، الطبقات، ص٧٠ وص٣٠٥. النووي، تهذيب الأسماء، ١٣٨/١-١٣٩. الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٩٠/١.

الخطاب ﷺ أن يقص على النَّاس قائماً فأذن له...»[١]، وقيل إنَّهُ استأذن عمر مرتين «فأبى أن يأذن له ثمَّ استأذنه فقال: إن شئت»[٢] ثمَّ استمر بعد ذلك أيام الخليفة عثمان ﷺ.

وكان لتميم وقت محدد للقصص هو قبيل صلاة يوم الجمعة، فيذكر أن الخليفة عمر ﷺ، قال له: «عظ قبل أن أخرج في الجُمُعة فكان يفعل ذلك يوماً واحداً»[٣].

وفضلاً عن جهود تميم الداري في مجال القصص، فقد كان في عداد أهل الفتوى من الصحابة أيام الخلفاء الراشدين ﷺ[٤].

محمد بن كعب القرظي:

كان القرظي من قصاص المدينة الذين درسوا القرآن[٥]، وكان له نشاط في المجال القصصي، فذكر عنه أنَّهُ كان يقصّ في المسجد النبوي[٦]، وذكره ابن الجوزي في أعيان المذكورين من أهل المدينة[٧]، وأورد بعضاً من قصصه، ونقل عن عبد الله بن حبيب قوله: «كان محمد بن كعب يقص فبكى رجل، فقام وقطع، وقال: من الباكي؟ قالوا: من بني فلان قال: كأنَّه كره ذلك»[٨]، ولذلك اشتهر في القصص شهرة كبيرة في المدينة[٩].

وكانت وفاته وهو يقص وهذا دليل على كثرة ملازمته لمجالس القصص، قال ابن الجوزي: «وقال بعضهم: كان محمد بن كعب يقصّ، فسقط عليه وعلى أصحابه

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٩٠، وينظر، السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تح. محمد لطفي الصباغ، ط٢ بيروت، ١٩٨٤، ص٢٢٣.
(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٩٠، وينظر، السيوطي، تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تح. محمد لطفي الصباغ، ط٢ بيروت، ١٩٨٤، ص٢٢٣.
(٣) السيوطي، تحذير الخواص، ص٢٣٩.
(٤) ابن سعد، الطبقات (ط بيروت)، ٢/٣٧٢-٣٧٤.
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٥٨-٤٥٩، وينظر ترجمته في مبحث التفسير.
(٦) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/١٩٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/٤٢٢.
(٧) ابن الجوزي، القصاص والمذكّرين، ص٥٦-٥٧.
(٨) ن.م، ص٥٦.
(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٥٨-٤٥٩.

مسجد فقتلهم...»[١].

مسلم بن جندب الهذلي المدني (ت ١٠٦هـ):

أبو عبد الله، مسلم بن جندب الهذلي المدني القاضي، وكان من فصحاء الناس، وهو من طبقة التابعين وكان معلم عمر بن عبد العزيز، وكان يقضي بغير رزق، توفي سنة ١٠٦ هجرية[٢].

يعدّ مسلم بن جندب من كبار القصّاص، «وكان قاصّ مسجد النَّبي ﷺ بالمدينة، وكان إمامهم وقارئهم»[٣] وفضلاً عن ذلك فهو من القراء الجيدين وقد أشار عمر بن عبد العزيز إلى جودة قراءته فقال: «من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب»[٤].

سلمة بن دينار، أبو حازم (ت ١٤٠هـ):

عالم المدينة وقاضيها، ويلقب بالزاهد[٥]، كان زاهداً فضلاً عن كونه قاصاً فقيل في ذلك: «كان عابداً زاهداً، وكان يقصّ بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة»[٦].

كان خلفاء بني أمية يعرفون فضله ومنزلته، فكانوا يبعثون إليه إذا قدموا المدينة، كما حصل ذلك بينه وبين سليمان بن عبد الملك لدى زيارة الأخير للمدينة، وأجمل ابن سعد القول في منزلته العلمية فقال: «كان ثقة، كثير الحديث»[٧]. توفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة أربعين ومائة[٨].

---

(١) ابن الجوزي، القصاص والمذكّرين، ص٥٦-٥٧.
(٢) ينظر لذلك: خليفة بن خياط، طبقات، ص٢٥٧. الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٣٦٧-٣٦٨.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٣٦٧-٣٦٨.
(٤) ن.م، ١/٣٦٨.
(٥) ينظر لذلك: أبو نعيم، حلية الأولياء، ٣/٢٢٩. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٨٨. بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ٦/٢١٦.
(٦) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة)، ١/٣٣٢-٣٣٣.
(٧) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة)، ١/٣٣٢-٣٣٣.
(٨) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/١٤٤. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٥٤.

عطاء بن السائب (ت ١٣٣هـ)، وقيل (١٣٦هـ):

هو عطاء بن السائب بن مالك الثقفي، أبو السائب، روى عن أبيه والحسن وغيرهم، وعنه روى أبو حنيفة، والسفيانان، وشعبة وخلق، رحل من المدينة إلى الكوفة إذ استقر به الأمر فيها، وتأخرت وفاته، حتى قيل إنَّهُ تغير واختلط في آخر حياته، توفي بالكوفة سنة ١٣٣هـ، وقيل ١٣٦هـ[١].

كان يسمى قاصّ أهل المدينة، وهو الذي طلبت منه عائشة (رضي الله عنها) تحديد أوقات معلومة يقص فيها على الناس، يروى عن الشعبي قوله: «قالت عائشة لابن أبي السائب قاص أهل المدينة: ثلاثاً لتتابعني عليهن أو لأناجزنك، قال: وما هن، بل أتابعك أنا يا أم المؤمنين، قالت: اجتنب السجع في الدعاء فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك، وقصّ على النَّاس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فثنتين، فإن أبيت فثلاث...، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديثهم فتقطع عليهم حديثهم، ولكن اتركهم، فإذا حدوك عليه، وأمروك به فحدثهم...»[٢].

قال عنه الإمام أحمد: «ثقة رجل صالح من خيار عباد الله»[٣]، وقال النسائي: «ثقة في حديثه القديم إلاَّ أنَّهُ تغير»[٤]. وهذا يعني أن حياته في المدينة كانت موضع ثقة في علميته بها، إذ إن التغير حصل له في الكوفة.

عطاء بن يسار (ت ١٠٣هـ):

أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، مولى ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين (رضي الله عنها) ولد سنة ١٩هـ. أخو سليمان وعبد الملك وعبد الله بني يسار. وهو من كبار التابعين[٥]. سمع ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن سلام، وأبا

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ليدن)، ٢٣٥/٦. خليفة، طبقات، ص١٦٤. الذهبي، العبر، ١٨٤/١. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٧.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٩١/١. البخاري، صحيح، ٩١/٨-٩٢، وعنده أن ابن عبَّاس قال له ذلك (مع اختلاف بعض ألفاظ الحديث).

(٣) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٧.

(٤) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٦٧.

(٥) ينظر: ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ١٢٩/٥-١٣٠. النووي، تهذيب الأسماء، ٣٣٥/١. =

أيـــوب، وابـــن عمر، وابن عباس، وأبا هريرة، وأبا سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وزيد بن خالد، ومولاته ميمونة (رضي الله عنهم جميعاً). وروى عنه جماعات كثيرة مـــن الـــتابعين وأتـــباع الـــتابعين منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو من أقرانه، وعمـــرو بن دينار، ومحمد بن عمر بن عطاء، ومحمد بن إبراهيم التيمي، وحبيب بن أبي ثابت، وصفوان بن سليم... وغيرهم[١].

أثـــنى بعض العلماء عليه ووثقوه، فقال ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث»[٢] وقال العجلي: «مدني تابعي ثقة»[٣].

أمَّا نشاطه العلمي في مجال القصّ: فإنَّه يعد من مشاهير الوعاظ والقصاص في المديـــنة، وكان يعقد مجالس الوعظ والقصص في مسجد النَّبي ﷺ، قال ابن وهب: «حدثني ابن زيد عن أبيه قال: كنا نجالس عطاء بن يسار، فقال أبي وأبو حازم: ما رأيـــنا رجلاً قط كان أزين لمسجد رسول الله ﷺ من عطاء بن يسار، وفي رواية أبي حازم «ما رأيت رجلاً ألزم لمسجد رسول الله ﷺ من عطاء»[٤].

ويـــبدو أن ذكره ارتبط بالقصص في المدينة المنورة، قال العجلي: «ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة»[٥]، وقال البستي وابن حجر: «كان صاحب قصص وعبادة وفضل»[٦].

«وقـــد زار كـــلاً من الشام ومصر، وأقام بكل منهما مدة، فكان أهل الشام يكـــنونه أبـــا عـــبد الله، وأهـــل مصر يكنونه أبا يسار»[٧]. وذكر أن وفاته كانت

=

الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/٩٠-٩١.

(١) النووي، تهذيب الأسماء، ١/٣٣٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٢١٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات (ط ليدن)، ٥/١٢٩.

(٣) العجلي، معرفة الثقات، ٢/١٣٨.

(٤) البسوي، المعرفة والتاريخ، ١/٥٦٥.

(٥) العجلي، معرفة الثقات، ٢/١٣٨.

(٦) البستي، مشاهير، ص٦٩. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٢١٨.

(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٢١٨.

بالإسكندرية (بمصر) سنة (١٠٣هـ)، وقيل غير ذلك[١].

الموضوعات التي تناولتها القصص:

كانت الموضوعات التي تتناولها القصص عند أهل المدينة متنوعة ومتباينة، منها ما يتعلق بقصص الأنبياء، والأمم السابقة للإسلام، ومنها ما يتعلق بأمور تخص العقيدة الإسلامية، ومنها ما يتعلق بالسيرة النبوية (المغازي)، ومنها ما يتعلق بالعبادات والأحكام، وأحاديث عامة تتعلق بالترغيب والترهيب وأخرى بحياة الصحابة وغير ذلك.

فلو أخذنا نماذج القصص التي نسبتها الروايات إلى عطاء بن يسار مثلاً للوقوف على جانب من طبيعة موضوعاتها لوجدناها شملت ما يأتي (وهي على سبيل المثال لا الحصر): حملة أبرهة الحبشي على مكة (الكعبة)[٢]، فضائل أهل اليمن[٣]. ووصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب عندما أرسله إلى اليمن[٤]، مرض أسامة بن زيد ومعاملة الرسول ﷺ الطيبة له[٥] وغيرها.

ومن أمثلة القصص التي أوردتها المصادر عن محمد بن كعب القرظي نختار ما يلي: قصة قوم لوط[٦]، قصة قوم شعيب[٧]، قصة موسى وبني إسرائيل[٨]، قصة النّبي سليمان وبعض معجزاته[٩]، قصة إسماعيل الذبيح[١٠]، قصة دخول المسيحية أرض نجران[١١]، نزول الوحي[١٢]، قصة الإسراء والمعراج[١٣]، قصة ذهاب النّبي ﷺ إلى

---

(١) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٩. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/٢١٨.
(٢) الطبري، تاريخ، ٢/١٣٧.
(٣) الواقدي، المغازي، ٢/٥٨٦.
(٤) ن.م، ٣/١٠٧٩.
(٥) الواقدي، المغازي، ٣/١١٢٥.
(٦) الطبري، تاريخ، ١/٣٠٦.
(٧) ن.م، ١/٣٢٩.
(٨) ن.م، ١/٤١٨-٤٢١.
(٩) الطبري، تاريخ، ١/٤٨٧-٤٨٨.
(١٠) ن.م، ١/٢٦٩-٢٧٠.
(١١) ن.م، ٢/١٢١.
(١٢) البلاذري، أنساب الأشراف، (تحـ. حميد الله)، ١/٢٥٥.
(١٣) البلاذري، أنساب الأشراف، (تحـ. حميد الله)، ١/٢٥٥.

الطائف وما لقي من أهلها[١]، ليلة هجرة الرسول (من مكة إلى المدينة)[٢]، تعذيب عمار بن ياسر ووالداه[٣]، ومن قصص المغازي: غزوة العشيرة[٤]، بدر[٥]، غزوة أحد[٦]، غزوة الخندق[٧]، غزوة السويق[٨]، غزوة بني النضير[٩]، معركة مؤتة[١٠]. ومن أخبار الفتوح. قصة تحرير العرب المسلمين لأفريقية وصلحهم مع أهلها[١١].

على أننا يجب أن نفرق بين القصص الهادف وبين القصص الذي يريد به صاحبه عرض الدنيا ويملأ قصصه بالخرافة والأقوال الكاذبة. وإزاء ذلك فقد وقف بعض علماء المدينة من القصص موقفاً حذراً، ولا سيما من التيار الخرافي فيها، وقد نسب إلى الرسول ﷺ في ذلك قوله: «لا يقص على النَّاس إلاَّ أمير أو مأمور أو مراء»[١٢] وفي هذا ما يدل على التحذير من أن يكون القاص غير مؤهل لهذا العمل.

ويظهر أن جماعة من القصّاص أرادوا الإساءة إلى هذا الفن، وهم الذين يزوّرون حديث النَّبي ﷺ ويكذبون في أحاديثهم، فروي عن جماعة من علماء أهل المدينة أنهم ذمّوا مثل هذا النوع من القصص الذي رافق ظهوره ما أصاب المسلمين من فتن وحروب، فروي عن عبد الله بن عمر ﷺ أنَّهُ «خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلاَّ القاصّ، ولولاه لما خرجت»[١٣].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٤١٩.
(٢) الطبري، تاريخ، ٢/٣٧٢.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، (تحـ. حميد الله)، ١/٢٥٨.
(٤) الطبري، تاريخ، ٢/٤٠٨-٤٠٩.
(٥) الواقدي، المغازي، ١/٧٣.
(٦) الطبري، تاريخ، ٢/٥٢٩.
(٧) ابن هشام، السيرة، ١/٢٣١-٢٣٢.
(٨) الواقدي، المغازي، ١/١٨١.
(٩) ن.م، ٢/٥١٧.
(١٠) ن.م، ٤/٢٥٦.
(١١) الطبري، تاريخ، ٤/٢٥٦.
(١٢) ابن ماجة، السنن، ٢/١٢٣٥، وعند الهيثمي، رواية أخرى: «لا يقص إلاَّ أمير أو مأمور أو متكلف». مجمع الزوائد، ١/١٩٠. السيوطي، تحذير الخواص، ص٢٢٤-٢٢٥.
(١٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ١/٣٤. وينظر: السيوطي، تحذير الخواص، ص٢٤٨.

الخاتمة

لقـــد شمل هذا البحث دراسة الحياة الفكرية في المدينة المنورة لمدة قرنين من الـــزمن هما أخصب القرون عطاءً فكرياً في تاريخ الإسلام، في مدينة شهدت نزول القـــرآن، ونهلت من علم النبوة، وفيها من الصحابة الذين رووا العلم وعلموه عدد كبير، وكذا من جيل التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ما يفوق عدد من قبله، وما أن يـــأتي الجـــيل العلمي الثالث وهو جيل أتباع التابعين، حتى تصبح المدينة أساساً لمـــذهب فقهي انتشر في المشرق والمغرب وهو مذهب الإمام مالك، وتتبلور فيها مدرسة علمية فقهية عمادها النص والأثر.

أقـــول: لقد كانت في المدينة أبان قرنين من الزمن نهضة علمية يصعب حصر تفصيلاتها ودقائقها، ويكفي أن يشار في دراسة الجوانب الحضارية والعلمية دائماً إلى أعـــلام المدنـــيين الذين وضعوا أسس النهضة العلمية في العالم الإسلامي، كالخلفاء الراشـــدين والعـــبادلة الأجلاء، (عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مســـعود، وعـــبد الله بن عمرو بن العاص...)، وإمام التابعين سعيد بن المسيب، والإمـــام الزهـــريّ، وربـــيعة بن أبي عبد الرحمن، ونافع بن أبي عبد الرحمن، وعلم أعلامها الإمام مالك بن أنس وغيرهم كثير.

هـــذه الجمهـــرة الواسعة من الأئمة الأعلام تركت آثاراً كبيرة في نهضة علمية واســـعة لم تقتصر على المدينة حسب بل امتدت لتشمل سائر أرجاء الدولة العربية الإسلامية.

ومن تتبعنا لمسيرة الحياة الفكرية في المدينة خلال مدة دراستنا يمكننا أن نعطي صـــورة موجـــزة لما توصلنا إليه من النتائج وما برز في البحث من ظواهر حضارية ومميزات علمية، من ذلك:

١. أن المديـــنة تســـنمت دفة القيادة في الدولة العربية الإسلامية منذ السنة الأولى

للهجـــرة، وكانت خلال هذه المدة تمثل مركز جذب فكري، إلى جانب كونها مركـــزاً قـــيادياً (سياسياً وإدارياً). هذه المرحلة تعد من أدق المراحل في تاريخ المدينة، بل في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، فما جرى عليه العلم في المدينة في كل نواحي الحياة، عدّ من أسس التشريع والتنظير فيما بعد، وهذا يكفيها فخراً.

٢. ومـــن خـــلال بحثنا للنشاط التعليمي وطبيعته، ومؤسساته تبين لنا أن المدينة شـــهدت بفضل الإسلام نشاطاً علمياً واسعاً فقد اتخذ التعليم من القرآن الكريم مادتـــه الأساسية منذ عهد الرسالة، وكان من أوائل معلمي القرآن قبيل الهجرة النـــبوية مصعب بن عمير، وما أن يهاجر النَّبي ﷺ إلى المدينة حتى يكون حفظ القـــرآن وتدوينه الشغل الشاغل للفكر في المدينة، وفي المدينة كان يجري تعليم القـــادمين إليها من الداخلين في الإسلام، فكانت مدرسة أهل الصفة في داخل المسجد النبوي في عهد النَّبي ﷺ، وكان يجري فيها تعليم القرآن الكريم ومبادئ الإســـلام. ومنذ العهد النبوي أيضاً تتخذ مراكز معينة للتعليم فكانت هناك دار للقـــراء هـــي دار مخرمة بن نوفل، وما أن يأتي العهد الراشدي حتى يتسع نطاق النشاط التعليمي وتتنوع أغراضه. فيشهد هذا العهد نشوء الكتاتيب، ففي عهد الخلـــيفة عمر ﷺ أصبحت الكتاتيب الخاصة بتعليم الصبيان ذات طابع رسمي، وهـــذا الأمـــر قـــد أثبتناه في البحث وهو يشكل رداً على من ذهب إلى نشوء الكتاتـــيب، كـــان متأخراً إلى العهد الأموي. وينهض المسجد النبوي بالجهد الأساســـي للتعليم في المدينة فيشهد الحلقات العلمية الكبيرة التي كان يتصدرها كـــبار الصـــحابة كأُبيّ بن كعب، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وابن عبَّاس وغيرهـــم، ويتصـــدرها في عهد التابعين سعيد بن المسيب، وربيعة بن أبي عبد الـــرحمن، وابـــن هرمـــز، ونافع مولى ابن عمر، وكثير غيرهم، وفي عهد أتباع الـــتابعين الإمام مالك بن أنس، وأبو بكر بن محمد بن حزم، وعبد العزيز بن أبي ســـلمة، وآخرون، وكان يجري في هذه الحلقات العلمية تعليم القرآن والحديث والفقه والمغازي... وما إلى ذلك.

٣. أن المديـــنة شـــهدت نهضة علمية شاملة ارتكزت في أهم جوانبها على القرآن الكـــريم فظهرت فيها مدرسة خاصة بالقراءات القرآنية، كان أساسها جماعة من

الصحابة منهم أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، ثمّ توجت هذه المدرسة بقراءة العالم الإسلامي إلى اليوم. وفي الجانب الآخر من علوم القرآن الذي هو علم التفسير ظهرت في المدينة أيضاً مدرسة للتفسير كان على رأس رجالها من الصحابة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، ثمّ ازدهرت هذه المدرسة وتطورت في عهد التابعين على يد اثنين من كبارهم وهم زيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي، وفي عهد أتباع التابعين انتهت إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقد تركوا لنا علماً ثرّاً في هذا الجانب، حوته كتب التفسير المتقدمة كتفسير الطبري، وكان عماد مدرسة المدينة التفسيرية – في الغالب – هو العمل بالنص دون الولوج في الرأي.

٤. وفي جانب آخر من علم أهل المدينة تظهر مدرسة ثانية في غير علوم القرآن ألا وهي مدرسة الحديث التي كان عمادها جلة من الصحابة، منهم أبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وأم المؤمنين عائشة وغيرهم ﷺ ممن أكثر رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، ثمّ تزعم هذه المدرسة كبار التابعين منهم سعيد بن المسيب، وابن شهاب الزهري، وعروة بن الزبير،... وغيرهم، وممن كان لهم أبلغ الأثر في خدمة الحديث رواية، ووقفوا بوجه المحاولات التي تريد النيل من حديث رسول الله ﷺ، ثمّ شهدت المدينة مدونات في الحديث في عهد التابعين كان أساسها الزهري، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيرهم، وأخيراً فإن المدينة قد سبقت غيرها في وضع أول تدوين منظم ومبوب للحديث النبوي الشريف تمثل في كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس.

٥. وإلى جانب الحديث برزت مدرسة فقهية مدنية الطابع أيضاً، تستند في فتاواها وتشريعاتها إلى النصوص، وتعمل بالأثر، وكان على رأس هذه المدرسة من الصحابة عمر بن الخطاب ﷺ وابنه عبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وغيرهم، ثمّ تلامذتهم من بعدهم أمثال نافع مولى ابن عمر، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الرحمن بن هرمز، وسالم بن عبد الله بن عمر، والزهري، وآخرين، كلهم يبلور فكرة العمل بالمأثور من النصوص، ولا يميل إلى إعمال الرأي في التشريع، وقد وفرت لهم بيئة المدينة الغنية بمعلومات أهلها من المأثور

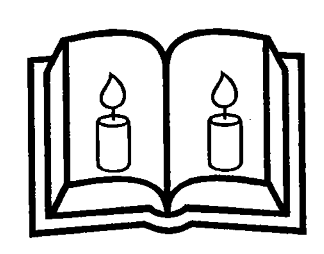
ثروة فقهية كبيرة، ثمَّ ما تلبث هذه المدرسة أن تتوج بمذهب فقهي خاص بأهل المدينة تمثل في الإمام مالك بن أنس الذي اعتمد مذهبه – بعد كتاب الله وسنة رسوله – على تقديم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد غير القوي، وعلى فتوى الصحابي المدني، وهكذا يبدو لنا هذا المذهب الفقهي بطابع مدني صرف، ويترك لنا خير سجل شاهد على ذلك وهو كتاب الموطأ.

٦. ثمَّ تبرز المدينة وتتصدر جانباً آخر من العلوم الإسلامية الأساسية هو علم التاريخ والسيرة النبوية، فقد تبين لنا من خلال البحث أن رواد علم السيرة والتاريخ هم مدنيون، وقد أسهموا في وضع أسس هذا العلم، فرسخوا علم الإسناد في الروايات التاريخية، وذلك لكون هذه المدرسة ارتبطت بالمحدثين، وبرز رجالها منذ وقت مبكر وذلك في نهاية القرن الأول، متمثلة في أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير، ثمَّ تشهد هذه المدرسة تطوراً آخر على يد الزهري، الذي وضع أول إطار واضح للسيرة النبوية، وتابع جهوده تلامذته من بعده وهم موسى بن عقبة وأبو معشر السندي ومحمد بن إسحاق، ويتوج الأخير جهود من قبله من مؤرخي السيرة بوضع كتاب جامع لها يعدّ الأساس الآن في هذا العلم هو كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، الذي وضعه ابن هشام في صورته النهائية بعنوان السيرة النبوية. ويختم الواقدي هذه المدرسة بجهوده الكبيرة في التدوين التاريخي، وعلى رأسها كتاب المغازي الذي يعد من مرجعيات علم السيرة القلائل، ولم تقتصر مدرسة المدينة التاريخية على علم السيرة فقط وإن كان هو أساس مادتها بل جاوزته إلى العهود التاريخية التالية، وتركت لنا الروايات والمدونات في ذلك، وبهذا يمكننا، أن نقول إن مدرسة المدينة التاريخية هي أم لباقي المدارس الكبرى، لها أسبقيتها وسماتها وشموليتها.

٧. وللمدينة سبق في مجال آخر من مجالات الحياة الفكرية هو الجانب الأدبي فمعلوم أنها من بين المدن العربية القلائل قبل الإسلام التي كانت تموج بشعرائها، وما أن يأتي الإسلام حتى يكون الشعر من بين أسلحته الدفاعية، ويبرز شعراء الرسالة يذبّون عنها كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. وما أن يأتي العصر الأموي حتى تزدهر المدينة بشعرائها من أشراف بيوتات المدينة ومن

مواليهم، وذلك بسبب ازدهار حياتها الاقتصادية، وبالرغم من خفة هذه الموجة الأدبية (الشعرية)، في العصر العباسي الأول غير أنها لم تفتأ أن تشهد أبرز شعرائها قبيل منتصف القرن الثاني وهو إبراهيم بن علي بن هرمة، وفي الجوانب الأخرى من الحياة الأدبية نلحظ ازدهاراً للخطابة التي اعتمدها الإسلام وسيلة من وسائله التشريعية، فجعل لأيام معينة في الأسبوع وفي السنة منبراً لهذا الفن، وهي الجُمُعة من كل أسبوع وأيام الأعياد، فضلاً عن دواعي الجهاد، وما إلى ذلك، فكانت الخطابة الدينية والسياسية هي أبرز السمات المميزة لهذا الفن من القول في المدينة في العهود المتتالية، وتشهد المدينة نشاطاً أدبياً في القصص الذي أغناه الإسلام بما ورد في القرآن من قصص وأخبار الأمم الماضية، وما ورد في الأحاديث، فضلاً عن القرآن، من مواعظ وعبر، فيبرز عدد من القصاص والوعاظ يغنون هذا الجانب منهم مسلم بن جندب، وعطاء بن السائب، ومحمد بن كعب وغيرهم يتخذون من المساجد — خاصة — أماكن لنشاطهم القصصي.

٨. ومما يدل على الأهمية العلمية التي كانت تتزعمها المدينة من بين مدن الدولة العربية الإسلامية أن نشأت لها صلات فكرية مع باقي المدن العربية فنشطت البعثات العلمية منذ العهد النبوي والراشدي من المدينة إلى اليمن والشام والعراق ومصر وغيرها، وبالمقابل كان يفد على المدينة آلاف العلماء وطلبة العلم ينهلون من علم أهل المدينة، ولذلك توثقت صلات فكرية وعلمية بين المدينة وسائر المدن الأخرى، في عهد التابعين وأتباع التابعين، وفي القرن الثاني وصل تأثير الفقه المدني إلى مصر والمغرب والأندلس، وفيهما تبلور مذهب مالك، حتى إن الشمال الأفريقي والأندلس ظلاً رمزاً للمذهب المالكي إلى قرون تلت، وفي بعضها إلى اليوم.



المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات:

* الأزكوي، سرحان بن سعيد (مجهول الوفاة):

١. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب/بغداد، تحت رقم ٢٥٠٠.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩/٨٩٢م):

٢. أنساب الأشراف، مخطوطة الرباط، نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، بغداد، تحت رقم ١٦٣٤-١٦٤٤.

* الدويهي، اسطيفانوس، (ت ١٨٤٢م):

٣. تاريخ المسلمين، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، بغداد/برقم ١٣.

* العامري، عماد الدين يحيى بن أبي بكر (ت ٨٩٣هـ-١٤٣٣م):

٤. غربال الزمان المفتتح لسيد ولد عدنان ﷺ...، مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ١١٤٢، عن نسخة المتحف البريطاني.

* علي بن عيسى (مجهول الوفاة):

٥. عجائب البلدان والجبال والأحجار...، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، بغداد، تحت رقم ١٤.

ثانياً: المصادر والمراجع والرسائل الجامعية:

* ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧ أجزاء، محمد إبراهيم البناء وآخرون، القاهرة،

١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٢. الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
٣. اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ أجزاء، مكتبة المثنى، بغداد، بلا.ت.
* أحمد أمين (د.):
٤. ضحى الإسلام، مجلدان، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا.ت.
٥. فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
* الأحمدي: علي بن حسين علي:
٦. مكاتيب الرسول ﷺ، المطبعة العلمية، قم، ١٣٧٩هـ.
* الأحوص: عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت حوالي ١٠٥هـ/٧٢٣م):
٧. ديوان الأحوص، جمع وتحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
* أرسطوطاليس:
٨. الخطابة ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
* الأزرقي: أبو الوليد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م):
٩. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جزءان، ط٢، تحقيق رشدي الصالح، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
* الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (ت ٣٥٦هـ/١٩٦٦م):
١٠. الأغاني، أ. طبعة محمد أفندي ساسي المغربي، مطبعة التقدم، مصر، بلا.ت، ب. دار الكتب المصرية، (ج١-١٦)، القاهرة، ١٩٥٨م.
* ابن أعثم: أحمد بن عثمان الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩١٦م):
١١. الفتوح، ٨ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٨٦م.
* الأعظمي: محمد مصطفى (د.):
١٢. دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.
* الآمدي: سيف الدين علي بن محمد (ت ٦٣١هـ/١٢٣٣م):

١٣. الإحكـــام في أصـــول الأحكام، جزءان، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

* أمينة أحمد حسن (د.):

١٤. نظـــرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول ﷺ، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م.

* الأهواني: أحمد فؤاد (د.):

١٥. التربية في الإسلام، أو التعليم في رأي القابسي، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

* الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م):

١٦. الـــتعديل والتجـــريح، ٣ أجزاء، تحقيق أبي لبابة حسين، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧. المنتقى، شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، ٧ أجزاء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣٢م.

* الباشا: عبد الرحمن رأفت:

١٨. صـــور من حياة الصحابة، عدة أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

* الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

١٩. إعجاز القرآن بهامش الإتقان للسيوطي، ط دار الندوة، بيروت، بلا.ت.

* البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):

٢٠. التاريخ الكبير، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند: ق١ ج١، ج٣، ج٤، (ط١) ١٣٦١/١٣٧٨هـ. ق٢ ج١، ج٢ (ط٢) ١٣٨٢/ ١٣٨٤هـ.

٢١. الجامع الصحيح، ٩ أجزاء، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

* البخاري: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م):
٢٢. كشف الأسرار في أصول فخر الإسلام البزدوي، مجلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
* ابن بدران: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الدمشقي (ت ١٣٤٦هـ):
٢٣. تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ط٢، دار السيرة، بيروت، ١٩٧٩.
* البروسوي: الشيخ إسماعيل حقي (ت ١١٣٧هـ/١٧٢٤م):
٢٤. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، ٤ مجلدات، تحقيق محمد علي الصابوني، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠.
- بروكلمان: كارل.
٢٥. تاريخ الأدب العربي، ٥ أجزاء، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار وآخرون، ط ٤، القاهرة، ١٩٧٧م.
* البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
٢٦. المجروحين من المحدثين، جزءان، نشره عزيز بك القادري، المطبعة العزيزية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٢٧. مشاهير علماء الأمصار، نشره: م. فلايشهمر، القاهرة، ١٩٥٩م.
* البسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م):
٢٨. المعرفة والتاريخ، ٣ أجزاء، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
* البغدادي: إسماعيل باشا محمد (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م):
٢٩. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط٣، بالأوفسيت، طهران، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م.
* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):
٣٠. أنساب الأشراف، ج١، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، بلا.ت، ج٣، تحقيق المحمودي، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، بلا.ت.

٣١. فتوح البلدان، باعتناء رضوان محمد رضوان، بيروت، ١٩٨٣م.

* البليهشي: محمد صالح:

٣٢. المدينة المنورة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، بلا.ت.

* بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن (د.):

٣٣. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

* البهاري الهندي: محب الله بن عبد الشكور (ت ١١١٩هـ/١٧٠٧م):

٣٤. مسلّم الثبوت، جزءان، نشره فرج الله زكي الكردي، مطبعة كردستان العلمية، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

* البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

٣٥. السنن الكبرى: ١٠ مجلدات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٣٦. معرفة السنن والآثار، جزءان، تحقيق أحمد صقر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

* الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م):

٣٧. السنن أو الجامع الصحيح، ٥ أجزاء، ط٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

* التهانوي: محمد علي الفاروقي (ت ق١٢هـ/ق١٨م):

٣٨. كشاف اصطلاحات الفنون (موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية)، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٧م.

* ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الدمشقي (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):

٣٩. مقدمة في أصول التفسير، تحقيق جميل الشطي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٣٦م.

* الثوري: سفيان (الإمام):

٤٠. تفسير سفيان الثوري، تحقيق امتياز علي عرشي، بيروت، ١٩٨٣.

* الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):
٤١. البيان والتبيين، ٤ أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
* جاد المولى: محمد أحمد وآخرون:
٤٢. أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦١.
* جبور: جبرائيل سليمان:
٤٣. عمر بن أبي ربيعة، جزءان، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
* جرجي زيدان:
٤٤. تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٣٠.
* ابن الجزري: محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م):
٤٥. تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ/١٩٦١.
٤٦. غاية النهاية في طبقات القراء، نشره: ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ/١٩٣٢.
٤٧. النشر في القراءات العشر، تصحيح، علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.
* آل جعفر: مساعد مسلم (د.):
٤٨. الموجز في علوم الحديث، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٩م.
* ابن جماعة: بدر الدين محمد بن إبراهيم الكناني (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
٤٩. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، نشره محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٤م.
* جواد علي:
٥٠. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٠م.

* ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
٥١. تلبيس إبليس، ط٢، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ١٣٦٨هـ.
٥٢. صفة الصفوة، ٤ أجزاء، ط٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن/الهند، ١٣٨٨/١٩٦٨م.
٥٣. القصاص والمذكّرين، نشره مارلين سوارتز، دار المشرق، بيروت، ١٩٧١م.
٥٤. مناقب عمر بن الخطاب، تحقيق زينب القاروط، ط٣، بيروت، ١٩٨٧م.
* جولد تسيهر: اجناتس:
٥٥. مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
* ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م):
٥٦. الجرح والتعديل، ٩ أجزاء، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
* حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):
٥٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
* الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م):
٥٨. المستدرك على الصحيحين في الحديث، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، بلا.ت.
٥٩. معرفة علوم الحديث، باعتناء السيد معظم حسين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.
* الحامد: عبد الله بن حامد:
٦٠. شعر الدعوة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

* ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م).
٦١. المحبّر، باعتناء إيلزة ليختن، دائرة المعروف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٦١ هـ/١٩٤٢م.
* ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):
٦٢. الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ أجزاء، دار العلوم الحديثة، (عن الطبعة الخديوية المصرية، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م).
٦٣. تهذيب التهذيب، ١٢ مجلد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.
٦٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٥ جزء، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت (عن طبعة بولاق) ١٣٠١هـ.
* ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
٦٥. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
٦٦. جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عبّاس وناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر، بلا.ت.
٦٧. المحلى، ٨ أجزاء، المكتب التجاري، بيروت، بلا.ت.
٦٨. ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان...، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
* حسن خالد:
٦٩. مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* حسين عطوان:
٧٠. الشعراء من مخضرمي الدولتين العباسية والأموية، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٤م.

* حمادة: محمد ماهر:
٧١. المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):
٧٢. الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
* ابن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني (الإمام) (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م):
٧٣. العلل ومعرفة الرجال، نشره وعلق عليه فوج بيكت وآخرون، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٦٣م.
٧٤. المسند، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، بلا.ت.
* أبو حيان الأندلسي: أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٥٤هـ/١٣٥٣م):
٧٥. البحر المحيط (التفسير الكبير)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.
* الخزرجي: صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م):
٧٦. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٣ج، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد، القاهرة، بلا.ت.
* الخضري: محمد:
٧٧. أصول الفقه، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٣م.
٧٨. تاريخ التشريع الإسلامي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٢٠م.
٧٩. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق محيي الدين الجراح، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٣م.
* الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٩٧٣م):
٨٠. تقييد العلم، تحقيق وتصدير يوسف العش، ط٢، دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤م.
٨١. تاريخ بغداد، ١٤ جزء، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا.ت.

٨٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، جزءان، تحقيق محمد الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٨٣. الكفاية في علم الرواية، منشورات المكتبة العلمية/المدينة المنورة، بلا.ت.
* الخطيب التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م):
٨٤. شـــرح ديـــوان الحماسة لأبي تمام، مجلدان، عالم الكتب، بيروت، عن طبعة بولاق، مصر، ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م.
* الخطيب: محمد عجاج:
٨٥. السنة قبل التدوين، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م):
٨٦. العبر وديوان المبتدأ والخبر...، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧م.
٨٧. المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
* ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
٨٨. وفـــيات الأعـــيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ مجلدات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٢م.
* خليفة بن خياط: شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):
٨٩. التاريخ، جزءان، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٦٧م.
٩٠. الطبقات، تحقيق أكرم العمري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.
* خليل طوطح:
٩١. التربية عند العرب، المطبعة التجارية، القدس، بلا.ت.
* ابن خير الأشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م):
٩٢. فهرسة ما رواه عن شيوخ، ط٢، باعتناء فرنسيشكه قدارة، مؤسسة الخانجي، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
* الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):
٩٣. كتاب السنن، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ.

* الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م):
٩٤. الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق عبد المهيمن طحان، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٩٥. التيسير في القراءات السبع، تصحيح أوتوبرتزل، استنبول، مطبعة الدولة، ١٩٣٠م.
* أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: (٢٧٥هـ/٨٨٨م):
٩٦. سنن أبي داود، ٤ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بلا.ت.
* الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م):
٩٧. طبقات المفسرين: جزءان، تحقيق محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٢م.
* درويش: محمد طاهر:
٩٨. الخطابة في صدر الإسلام، جزءان، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.
* الدسوقي: محمد:
٩٩. في تاريخ القرآن وعلومه، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٣م.
* الدهلوي: ولي الله أحمد شاه (ت ؟):
١٠٠. حجة الله البالغة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، بلا.ت.
- الدوري: عبد العزيز (د.):
١٠١. بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة، الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م.
١٠٢. دراسة في سيرة النَّبي ﷺ، ومؤلفها ابن إسحاق، نشر المجمع العلمي العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥م.
١٠٣. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط٤، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م.
* الدوري: غامس خضير حسن:
١٠٤. زيد بن ثابت ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية. رسالة

ماجستير على الآلة الكاتبة، (غير منشورة) كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٨م.

* الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

١٠٥. الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠م.

* الديوه جي: سعيد:

١٠٦. التربية والتعليم في الإسلام، الموصل، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

* الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١٠٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جزء المغازي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٨. تذكرة الحفاظ، مجلدان، ط٣، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٠٩. تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي عنهم، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٩٠م.

١١٠. سير أعلام النبلاء، ٢٣ مجلد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

١١١. العبر في خبر من غبر، ج١، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

١١٢. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١١٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

* الذهبي: محمد حسين (د.):

١١٥. التفسير والمفسرون، دار العلم للملايين، بيروت، بلا.ت.

١١٦. الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة...، مطبعة دار التأليف، مصر، ١٣٨٨هـ/

١٩٦٨م.
* الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (كان حياً سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م):
١١٧. مختار الصحاح، باعتناء سميرة خلف الموالي، بيروت، بلا.ت.
* الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م):
١١٨. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (٤ ج)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.
* ابن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
١١٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٥، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* روزنثال: فرانز:
١٢٠. علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.
* الزبيدي: محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):
١٢١. تاج العروس من جواهر القاموس، (جـ١-١٠)، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
* زامباور: أدوارد فون:
١٢٢. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، نقله إلى العربية زكي محمد حسن وآخرين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
* الزبير بن بكار: أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):
١٢٣. الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م.
١٢٤. جمهرة نسب قريش وأخبارها، (جـ١) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
* الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي (ت ٣٣٧هـ/٩٣٨م):
١٢٥. أخبار أبي القاسم الزجاجي، تحقيق عبد الحسين المبارك، وزارة الثقافة

والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
* الزرقاني: محمد عبد العظيم:
١٢٦. مناهل العرفان في علوم القرآن، (جزءان)، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
* الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م):
١٢٧. الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
١٢٨. أعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق مصطفى المراغي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
١٢٩. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
* الزرو: خليل داود:
١٣٠. الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١م.
* الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م):
١٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، لبنان، (بلا.ت).
* أبو زهرة: محمد:
١٣٢. تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت (بلا.ت).
١٣٣. الخطابة، أصولها، تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب دار الفكر العربي، ١٩٣٤م.
١٣٤. مالك حياته وعصره، ط٢، مصر، ١٩٥٢م.
١٣٥. محاضرات في مصادر الفقه الإسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
* زيدان: عبد الكريم (د.) بالاشتراك مع عبد القهار العاني.

١٣٦. علوم الحديث، بغداد، ١٩٨٠م.

١٣٧. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المطبعة العربية، بغداد، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

* الزين: إبراهيم:

١٣٨. معاجم الرجال (جعفر الصادق، مالك، أبو حنيفة)، دار العلم للجميع، بيروت، (بلا.ت).

* الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا:

١٣٩. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.

* السامرائي: خليل إبراهيم، وثائر حامد محمد:

١٤٠. المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

* السايس: محمد علي:

١٤١. تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

* السباعي: مصطفى حسني:

١٤٢. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

* السجستاني: أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م):

١٤٣. المصاحف، نشره آرثر جفري، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٥٥هـ/١٢٣٦م.

* ابن سحنون: أبو عبد الله محمد بن سحنون (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):

١٤٤. آداب المعلمين، ط٢، (طبع مع كتاب التربية في الإسلام للأهواني)، البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م.

* السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن القاهري (٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
١٤٥. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (طبع مع كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» لروزنثال) مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.
١٤٦. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٣ج، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
١٤٧. الفخر المتوالي فيمن انتسب إلى النَّبي ﷺ من الخدم والموالي، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* سزكين: فؤاد:
١٤٨. تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبو الفضل، القاهرة، ١٩٧١م.
* ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م):
١٤٩. الطبقات الكبرى، (٩ أجزاء) طبعة ليدن باعتناء أدوارد سخاو، ١٩٠٤-١٩٠٨، و(٨ أجزاء)، طبعة بيروت، ١٩٦٠م.
١٥٠. الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة، تحقيق زياد محمد منصور، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٩م.
* سعد مرسي أحمد، وسعيد إسماعيل علي:
١٥١. تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.
* السعدي: عبد القادر عبد الرحمن (د.):
١٥٢. أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٨٦م.
* ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م):
١٥٣. طبقات الشعراء، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٩١٣م.
* السمهودي: نور الدين علي بن أحمد المدني (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
١٥٤. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الطباعة الخديوية، مصر، ١٢٨٥هـ.

١٥٥. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، دار الطباعة الخديوية، مصر، ١٢٨٥هـ.
*السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م):
١٥٦. الروض الأنف، في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، (٤ مجلدات) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.
* ابن سيد النَّاس: محمد بن محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م):
١٥٧. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
١٥٨. الإتقان في علوم القرآن، (٤ أجزاء) دار الندوة الجديدة، بيروت، عن طبعة القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
١٥٩. تاريخ الخلفاء، ط٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
١٦٠. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، ط٢، تحقيق محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ١٩٨٤م.
١٦١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
١٦٢. تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، (٣ أجزاء)، دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت.
١٦٣. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
١٦٤. المستطرف في أخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٦٣م.
* الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م):
١٦٥. الموافقات في أصول الشريعة، (٤ ج)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، بلا.ت.

* الشافعي: محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م):

١٦٦. الرسالة، طبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٠م.

* شاكر مصطفى:

١٦٧. التاريخ العربي والمؤرخون، (جـ١)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

* شحاته: عبد الله محمود:

١٦٨. تاريخ القرآن والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

* الشرباصي: أحمد:

١٦٩. الأئمة الأربعة، دار الجيل، بيروت، بلا.ت.

* الشريف: أحمد إبراهيم (د.):

١٧٠. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٧١. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

* شعبان محمد إسماعيل (د.):

١٧٢. أصول الفقه، تاريخه ورجاله، دار المريخ، الرياض، ١٩٨١م.

* شكري فيصل:

١٧٣. حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢م.

* الشكعة: مصطفى (د.):

١٧٤. رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١م.

* شلبي: أحمد (د.):

١٧٥. تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤م.

* شلبي: محمد مصطفى:
١٧٦. المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* شوقي ضيف (د.):
١٧٧. تاريخ الأدب العربي، (٤ أجزاء)، ط٦، دار المعارف، ١٩٧٦-١٩٧٧م.
١٧٨. الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
* الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م):
١٧٩. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، (٨ مجلدات)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
* الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ/١٣٧٤م):
١٨٠. طبقات الفقهاء، ط٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨١م.
* الشيزري: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م):
١٨١. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، بلا.ت.
* الصابوني: محمد علي:
١٨٢. صفوة التفاسير، (٣ مجلدات)، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* الصالح: صبحي:
١٨٣. علوم الحديث ومصطلحه، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
١٨٤. مباحث في علوم القرآن، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
* ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م):
١٨٥. علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة،

١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

* الصنعاني: محمد بن إسماعيل اليمني (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٨م):

١٨٦. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، (مجلدان)، تحقيق إبراهيم عمر، دار الحديث، القاهرة، بلا.ت.

* طاش كبرى زاده: أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م).

١٨٧. مفتاح السعادة ومصباح السيادة (مجلدان)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

* طبارة: عفيف عبد الفتاح (د.):

١٨٨. روح الدين الإسلامي، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

* الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م):

١٨٩. المعجم الكبير، (٢٥ج)، تحقيق حمدي عبد المجيد، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٨٤-١٩٩٠م.

* الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م):

١٩٠. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠-١٩٧٦.

١٩١. جامع البيان في تفسير آي القرآن، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣٢٣هـ.

* ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

١٩٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بلا.ت.

* طلس: محمد أسعد (د.):

١٩٣. التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

* الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م):
١٩٤. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باعتناء بولس راوس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٩٨٤م.
* العاني: عبد القهار داود عبد الله (د.):
١٩٥. دراسات في التفسير والمفسرين، بغداد، ١٩٨٧.
* العاني: سامي مكي (د.):
١٩٦. دراسات في الأدب الإسلامي، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
* ابن عبَّاس: عبد الله بن عبَّاس (ت ٦٨هـ/٦٨٧م):
١٩٧. تفسير ابن عبَّاس (منسوب إليه)، القاهرة، ١٩٦٠م.
* العباسي: أحمد بن عبد الحميد (ت ق١٠هـ):
١٩٨. عمدة المختار في مدينة المختار، ط٥، تصحيح الشيخ محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، بلا.ت.
* ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):
١٩٩. الاستيعاب في أسماء الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر)، مصر، ١٣٢٨هـ.
٢٠٠. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، الطباعة المنيرية، مصر، بلا.ت.
٢٠١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧ جزء)، مجموعة من المحققين، الرباط، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
* ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):
٢٠٢. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

* ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢١٤هـ/٨٥٩م):

٢٠٣. سيرة عمر بن عبد العزيز، رواية الإمام مالك بن أنس وأصحابه، ط٥، نشر أحمد عبد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م.

* ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي (٣٢٨هـ/٩٣٩م):

٢٠٤. العقد الفريد، ط٣، (٨ج)، تحقيق عبد الحميد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* عبد المطلب: رفعت نوري (محقق):

٢٠٥. صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ، القاهرة، ١٩٨٥م.

* أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٢٨م):

٢٠٦. الأموال، شرحه عبد الأمير علي مهنا، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٨م.

* العبيدي: داود سلمان:

٢٠٧. أبو هريرة رجل لا ينسى، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م.

* عبد الوهاب خلاف:

٢٠٨. مصادر التشريع الإسلامي في ما لا نص فيه، ط٣، دار العلم، الكويت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

* العجلي: أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م):

٢٠٩. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث... (جزءان)، تحقيق عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

* ابن عدي: عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م):

٢١٠. مقدمة الكامل في ضعفاء الرجال، صبحي السامرائي، بغداد، ١٩٧٧م.

* ابن عراق: أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٥م):

٢١١. تنزيه الشريعة المرفوعة...، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م):
٢١٢. تاريخ مدينة دمشق، م١، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٥١م، م ١٠، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، بلا.ت.
* ابن عطية: عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الملك الغرناطي (ت حوالي ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، ومؤلف مجهول:
٢١٣. مقدمتان في علوم القرآن، نشره آرثر جفري، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤م.
* العكش: إبراهيم علي:
٢١٤. التربية والتعليم في الأندلس، دار الفيحاء - دار عمار، الأردن، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* العلي: صالح أحمد (د.):
٢١٥. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٩م.
٢١٦. الدولة في عهد الرسول ﷺ (جزءان)، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م.
* ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):
٢١٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، بيروت، ١٩٧٩م.
* العمر: سمير صالح حسن:
٢١٨. عثمان بن عفان ﷺ سيرته ودوره السياسي، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٩٠م.
* العمري: أكرم ضياء (د.):
٢١٩. المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
* عياض: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ/١٠٨٣م):
٢٢٠. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق أحمد صقر، دار

التراث، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

٢٢١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (٣ جزء) تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الرباط، المملكة المغربية، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٥م.

* الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م):

٢٢٢. إحياء علوم الدين، دار الندوة الجديدة، بيروت، بلا.ت.

٢٢٣. المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م.

* غنيمة: محمد عبد الرحيم (د.):

٢٢٤. تاريخ الجامعات الإسلامية، تطوان، المغرب، ١٩٥٣م.

* فاروق حمادة:

٢٢٥. مصادر السيرة النبوية وتقويمها دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

* ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م):

٢٢٦. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

* فلهاوزن: يوليوس:

٢٢٧. تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨م.

* فنسنك: أ.ي:

٢٢٨. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، بريل، ليدن، هولندا، ١٩٦٩م.

* القابسي: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القيرواني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

٢٢٩. الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ط٢، ملحق مع كتاب التربية في الإسلام للأهواني، القاهرة، ١٩٥٥م.

* القاسمي: محمد جمال الدين (ت ١٩١٤م):
٢٣٠. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ط٢، تحقيق محمد بهجة البيطار، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م.
٢٣١. محاسـن التأويل (تفسير القاسمي)، دار إحياء الكتب العربية، (البابي الحلبي)، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
* ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
٢٣٢. الشـعر والشـعراء (طـبقات الشعراء)، م١، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢، و(مجلدان)، طبعة دار المعارف، مصر، تحقيق أحمد محمد شاكر، بلا.ت.
٢٣٣. عيون الأخبار، (٤ أجزاء)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٣٤. المعارف، تصحيح محمد إسماعيل الصاوي، المطبعة الإسلامية بالأزهر، مصر، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
* ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م):
٢٣٥. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، دار الفكر، بيروت، تحقيق علي نويهض، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
* القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل القرن الرابع الهجري):
٢٣٦. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، (٣ج)، تحقيق محمد علي الهاشمي، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* القرشي: محمد بن محمد بن أحمد (المعروف بابن الأخوة)، (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م):
٢٣٧. معـالم القـربة في أحكام الحسبة، نشره روبن لوي، دار الفنون، كمبريدج، ١٩٣٧م.
* القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م):
٢٣٨. الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا.ت.
* القيسي: أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م):
٢٣٩. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ط٢، (جزءان) تحقيق

محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

* ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م):

٢٤٠. أعـــلام المـــوقعين عـــن رب العالمين (٤ ج)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

* الكاندهلوي: محمد يوسف (ت ١٩٦٥م):

٢٤١. حـــياة الصـــحابة، (٣ أجزاء) دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد — الهند، ١٣٧٩هـ.

* الكبيسي: أحمد عبيد (د.):

٢٤٢. فلســـفة نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

* الكبيسي: أحمد عبيد (د.)، وصبحي محمد جميل (د.):

٢٤٣. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٧م.

* الكبيسي: محمد فضيل محمد (د.):

٢٤٤. منهج الواقدي وموارده في كتاب المغازي، رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

* الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير الحسني:

٢٤٥. نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية)، (جزءان) دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا.ت.

* ابـــن كـــثير: عمـــاد الـــدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

٢٤٦. الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، دار الفكر، بيروت، بلا.ت.

٢٤٧. البداية والنهاية، ط٤، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨١م.

٢٤٨. تفســـير القـــرآن العظيم، (٤ ج)، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ١٣٨٨هـ/

١٩٦٩م.
* الكردي: راجع عبد الحميد (د.):
٢٤٩. شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٢٥٠. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
* الكرماني: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي البغدادي (ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م):
٢٥١. شرح صحيح البخاري، المطبعة البهية، مصر، ١٩٣٧م.
* لبيد إبراهيم أحمد (د.):
٢٥٢. الخلافة الراشدة، دار الحكمة، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٢٥٣. عصر النبوة، دار الحكمة، بغداد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
* ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م):
٢٥٤. السنن، جزءان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.
* مالك بن أنس: الإمام (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م):
٢٥٥. الموطأ. أ. رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ب. رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، ١٩٧١م.
* المباركفوري: أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م):
٢٥٦. مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، بلا.ت.
* المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م):
٢٥٧. الكامل في اللغة والأدب، (جزءان)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٥هـ/

١٩٨٥م.

* المتقي الهندي: علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م):

٢٥٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

* محمد الحسيني عبد العزيز:

٢٥٩. الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، الكويت، ١٩٧٣م.

* محمد فؤاد عبد الباقي:

٢٦٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤٥م.

* محسن: محمد محمد سالم (د.):

٢٦١. القراءات وأثرها في علوم العربية، جزءان، القاهرة، ١٩٨٤م.

* مدكور: محمد سلام:

٢٦٢. مدخل الفقه الإسلامي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤م.

* المرغيناني: علي بن أبي بكر عبد الجليل الرشداني (٥٩٣هـ/١١٩٦م):

٢٦٣. الهداية شرح بداية المبتدي، (مجلدان)، البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٢٦٤. التنبيه والإشراف، دار التراث، بيرت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢٦٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٦، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م):

٢٦٦. الجامع الصحيح (٨ أجزاء)، دار التحرير، القاهرة، عن طبعة إستنبول، ١٣٢٩هـ.

* المشهداني: هاشم عبد ياسين:
٢٦٧. عبد الله بن مسعود ومدرسته في تفسير القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، على الآلة الكاتبة، كلية الشريعة، بغداد، ١٩٩٠م.
* المقدسي: مطهر بن طاهر:
٢٦٨. البدء والتاريخ، ١-٦، نشرة كلمان هوار، باريس، ١٩١٦م.
* المقرّي التلمساني: أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م):
٢٦٩. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (٨ أجزاء)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
* ملكة أبيض (د.):
٢٧٠. التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
* ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م):
٢٧١. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م.
* منير الدين أحمد (د.):
٢٧٢. تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم...، ترجمة سامي الصفار، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* موسى: محمد يوسف:
٢٧٣. الفقه الإسلامي، مدخل لدراسة ونظام المعاملات فيه، ط٣، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
* مؤلف مجهول: (كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي):
٢٧٤. الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
* مؤلف مجهول:
٢٧٥. العيون والحدائق في أخبار الحقائق، (٤ ج)، تحقيق دي غويه، بريل، ليدن،

١٨٦٩م.

* مؤلف مجهول:

٢٧٦. مولد المصطفى (قبس من السيرة النبوية)، دمشق، بلا.ت.

* النجم: عبد الرحمن عبد الكريم (د.):

٢٧٧. البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

* ندوي: عبد الحميد مظاهري:

٢٧٨. الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨١م.

* ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٢٧٩. الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

* النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م):

٢٨٠. السنن، ٤ أجزاء، بشرح السيوطي وحاشية السندي، الدار المصرية – اللبنانية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م):

٢٨١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (١٠ج)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

* النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م):

٢٨٢. تهذيب الأسماء واللغات، (٣ج) دار الكتب العلمية، بيروت، بلا.ت.

* النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٢٢م):

٢٨٣. نهاية الإرب في فنون الأدب، (٢١ج) دار الكتب المصرية، القاهرة، بلا.ت.

* هادي حسين حمود (د.):

٢٨٤. القراء دورهم في الحياة العامة في صدر الإسلام والخلافة الأموية، رسالة دكتوراه على الآية الكاتبة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٤م.

* هاشم جميل عبد الله (د.):
٢٨٥. فقـه الإمام سعيد بن المسيب، ٤ أجزاء، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
* ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م).
٢٨٦. السـيرة النـبوية (مجلدان)، ط٢، تحقيق مصطفى السقا، وآخرون، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
* الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت حوالي ٣٤٤هـ/٩٥٥م):
٢٨٧. صـفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م.
* هورفتس: جوزيف:
٢٨٨. المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، القاهرة، ١٩٤٩م.
* الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).
٢٨٩. مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد، (١٠ج)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.
* الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م):
٢٩٠. المغـازي، ط٣، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* ابن الوردي: سراج الدين عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):
٢٩١. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٨٨٥م.
* إلياس: عبد الوهاب خضر:
٢٩٢. نظام العطاء الإسلامي، دراسة في نشأته وتطوره، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، الموصل، ١٩٨٥م.
* اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي اليمني (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م):
٢٩٣. مـرآة الجـنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢،

مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

* ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦م/١٢٢٧م):

٢٩٤. معجم البلدان، (٥ج)، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

* اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٢٩٥. التاريخ، جزءان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

* أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م):

٢٩٦. الخراج، ط٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

* البوطي: محمد سعيد رمضان (د.):

٢٩٧. السنة المصدر الثاني للتشريع، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٦، القسم الثاني، بغداد، ١٩٨١م.

* الجبوري: يحيى وهيب (د.):

٢٩٨. الأدب الإسلامي في عصر النبوة، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١، لسنة ١٩٧٦-١٩٧٧م.

* جودة: جمال محمد داود (د.):

٢٩٩. القصص والقصاص في صدر الإسلام بين الواقع التاريخي والنظرة الفقهية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٣٣-٣٤ (السنة ١٠) أيلول – كانون الأول، ١٩٨٩م.

* حسين أمين (د.):

٣٠٠. المساجد الإسلامية وأثرها في نشر التعليم، مجلة الأستاذ، كلية التربية – بغداد، مجلد١٢، لسنة ١٩٦٣-١٩٦٤م، بغداد، ١٩٦٦م.

* الحكيم: حسن عيسى علي (د.):

٣٠١. محمـــد بن إسحاق وريادته في تدوين السيرة النبوية، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤ لسنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

* الخولي: محمد أمين:

٣٠٢. تعليق على مادة (تفسير) دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية).

* الدوري: قحطان عبد الرحمن (د.):

٣٠٣. علوم الحديث الشريف، حضارة العراق، (ج٧)، مجموعة من الباحثين، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٧م.

* ديلافيدا: ليفي:

٣٠٤. السيرة، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية.

* رمضان عبد التواب:

٣٠٥. القراءات القرآنية وحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، مجلة منبر الإسلام، العدد١١ لسنة ٢٥، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

* شاكر محمود عبد المنعم (د.):

٣٠٦. كتاب النَّبي ﷺ، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤، لسنة ١٩٧٧م.

* عبد الله فياض (د.):

٣٠٧. التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، مجلة الأستاذ، كلية التربية، بغداد، العدد١٢ لسنة ١٩٦٣-١٩٦٤. بغداد، ١٩٦٦.

* العسلي: خالد صالح (د.):

٣٠٨. التربية العربية قبل الإسلام، التربية العربية الإسلامية (المؤسسات والممارسات)، إصدار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، ١٩٨٩م.

٣٠٩. عاصم بن عمر بن قتادة، مجلة كلية الآداب، العدد الثامن، نيسان، ١٩٦٥، بغداد، ١٩٦٥م.

٣١٠. المؤاخاة في عهد الرسول ﷺ، مجلة دراسات للأجيال، العددان الرابع والخامس، السنة الرابعة، بغداد، ١٩٨٣م.

* العلي: صالح أحمد (د.):

٣١١. الرواية والأسانيد وأثرهما في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ١، المجلد ٣١، ١٩٨٠م.

٣١٢. العطاء في الحجاز، مستل من مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٠، لسنة ١٩٧٠م.

* العمري: أكرم ضياء (د.):

٣١٣. التعليم في عصر السيرة والراشدين، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، المجمع الملكي، الأردن، ١٩٨٩م.

* فاروق عمر (د.):

٣١٤. دور الموالي ومركزهم في المجتمع الإسلامي، مجلة آفاق عربية (عدد الاستشراق)، ١٩٨٩م.

* القاضي: عبد الفتاح:

٣١٥. القراءات بين حقيقة التوقيف ودعوى الاجتهاد، بحوث قرآنية، إصدار المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م.

* لبيب السعيد (د.):

٣١٦. دراسة في القراءات القرآنية، بحوث قرآنية، إصدار المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م.

* محمد عمارة:

٣١٧. عمر والتشريع الاقتصادي «عمر نظرة عصرية جديدة» المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

* مجهول:

٣١٨. الرواية في عهد الصحابة والتابعين وتدوين السنة، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، ١٢، السنة ٢٥ ذو القعدة/ذو الحجة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

* مجموعة مؤلفين:

٣١٩. الموسوعة الفقهية، ط٣، ١٩ مجلد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

* النعمة: إبراهيم:

٣٢٠. تفسير رشيد بن الشيخ صالح الموصلي الذي يحمل عنوان «أولى ما قيل في آيات التنزيل» مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٩٦، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.



فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

AL-ḤAYĀT AL-FIKRIYAH FĪ AL-MADĪNAH AL-MUNAWARAH

FĪ AL-QARNAYN AL-ʾAWAL WAL-ṮĀNI LIL-HIJRAH

(The intellectual Life in Medina during first and second century of the Hegira)

by

Dr. ʿAdnān ʿAli Al-Farāji

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH

Beirut-Lebanon